الدعوة السلفية

مقالات في مفهومها، تاريخها، وتباينها عن جماعات العنف والتطرف

فهرس الموضوعات

الباب الثاني

جماعات العنف والتطرف

الباب الثالث

الحركات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد،،

فهذه مقالاتي حول الدعوة السلفية والفارق بينها وبين جماعات التطرف والغلو، وألحقتُ بها بعض المقالات التي تناولتُ فيها الجماعات الإسلامية الأخرى، وهي تغطي الفترة من عام ١٩٩٩م، وحتى أواخر عام ٢٠١١م.

والدعوة السلفية اليوم هي محط بحث ونظر الكثيرين خاصة مع التطورات الجديدة التي تشهدها المنطقة العربية عقب ثورات «الربيع العربي» التي أبرزت السلفيين في واجهة الأحداث مما أحدث صدمة عند السلفيين وغيرهم من انتشارهم الواسع ودورهم في الشأن العام.

وأصبح السلفيون والسلفية موضع نقاش وجدل إعلامي وسياسي، ولأن كثيراً من هذا الجدل يعتمد على معلومات وتحليلات لخصوم الدعوة السلفية من العلمانيين والإسلاميين سواء كانوا من السياسيين أو الإعلاميين لغياب الحضور السلفي الفاعل في قطاع الإعلام ومراكز الدراسات السياسية فإن النتيجة كانت ترويج الكثير من الإشاعات والأضاليل عن السلفية والسلفيين، مما جعل جزءاً كبيراً من جهود السلفيين يتركّز برد الاتهامات ومعالجات آثار الفخاخ الإعلامية، عن عرض حقيقة الدعوة السلفية وتاريخها

وإنجازاتها الحضارية والعلمية والمجتمعية.

ومساهمة في بيان حقيقة الدعوة السلفية ودورها البناء في الماضي والحاضر جمعت هذه المقالات التي تعالج هذه القضايا، للمشاركة في النقاش السلفي الداخلي حول الدور المرتقب للسلفية في المرحلة القادمة، والنقاش الخارجي حول السلفية بتقديم وجهة نظر سلفية مغايرة للنظرة السوداء الرائجة في وسائل الإعلام تجاه الدعوة السلفية.

وهذه الرؤية هي رؤية شخصية تحتمل الصواب والخطأ، ويكفيها أن تنال فضل المحاولة في التعاطي الإيجابي مع قضايا المرحلة والدفاع عن دعوة شريفة تنتسب للصحابة الكرام رضوان الله عليهم وتتمسك بالوحي المعصوم، وأرحب بأي نقد بناء أو ملاحظة علمية لإثراء الحوار وتوسيع دائرة المعرفة.

أسامة شحادة

عمان - الأردن
Osaosa2000@hotmail.com

الباب الأول

الدعوة السلفية

حول الدعوة السلفية...
إجابات على أسئلة حسام تمام

«الغد» (١٨/ ٥/ ٢٠٠٧)

طرح الأستاذ حسام تمام مجموعة من الأسئلة المهمة حول الدعوة السلفية، في مقالته: (أسئلة الزمن السلفي)، والإجابة عنها من أصحاب الشأن السلفي مهم للغاية؛ حتى تتضح صورة وحقيقة الدعوة السلفية للجميع؛ لأن من حقهم أن يعرفوا ذلك؛ ولأنه يؤدى إلى تفاعل وتدارك لمواضع القصور والخلل، كما أن هذه المعرفة توفر علينا وعلى الآخرين عناء البحث الطويل دون وصول للحقيقة؛ كما حدث مع التيارات والحركات الإسلامية الأخرى، فرغم أن ماكينة البحث والدراسات والمؤتمرات عن الحركات والتيارات الإسلامية انطلقت منذ أكثر من ربع قرن عقب ثورة الخميني؛ إلا أن مخرجات هذه الأبحاث لا تزال ضعيفة ومشتتة، ونتائجها متضاربة جدّاً؛ بحيث أن آخر ما خرجت به هذه الدراسات -كما يقول الباحث خليل العناني- هو نفي وجود اعتدال في الحركات والتيارات الإسلامية كافة!!

من هنا أحببت أن أطرح بعض الملاحظات حول الدعوة السلفية، مساهمة في توفير بعض الإجابات على أسئلة الأستاذ تمام.

١- الدعوة السلفية في المفهوم الإسلامي تخالف مفهومها في الموروث الغربي الذي ينظر نظرة سلبية للسلفية الخاصة به؛ وهي مرتبطة بصراع الكنيسة والعلم والمعرفة والعقل، بينما في الإسلام الأمر بخلاف ذلك، ففي العصر الذهبي للسلفية -وهو عصر النبي ﷺ وأصحابه من بعده- لم يكن هناك صراع مع العلم أو العقل، بل على العكس كان فداء بعض أسرى المشركين هو تعليم الصبيان الكتابة والقراءة، وتم اقتباس معارف عسكرية من الفرس؛ كحفر الخندق في حياة النبي ﷺ، واقتباس النظم الإدارية من فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

وفي عصرنا الحديث لا ينكر أحد دور الرموز السلفية في محاربة الأمية والجهل والخرافة، والحث على اكتساب المعارف العلمية، ونشر المدارس، وإصدار المجلات والصحف؛ كأمثال رشيد رضا، وعبد الحميد بن باديس، والقاسمي، وغيرهم.

فليست الدعوة السلفية انغلاق أو جمود وتحجر؛ كما يشيع ذلك خصومها من الداخل والخارج، بل الدعوة السلفية هي من فرضت على الفقه الإسلامي المعاصر فتح باب الاجتهاد، وطرح الفقه المقارن، والاعتماد في الأحكام على الأحاديث الصحيحة فقط؛ لتقليل مساحة الخلاف بين المذاهب الفقهية.

والدعوة السلفية هي التي نبهت على أهمية مقاصد الشريعة ودورها في إيجاد حلول للمشاكل العصرية، والباحثون اليوم لا يستغنون عن كتب رموز السلفية في ذلك؛ كـ «الموافقات للشاطبي»، و«إعلام الموقعين» لابن قيم الجوزية.

ويمكن الرجوع لكتاب «السلفية وقضايا العصر» للدكتور عبد الرحمن الزنيدي لمزيد من الإطلاع.

٢- تثار شبهة حول الصراع بين السلفية والمذاهب الأربعة، وهذا الصراع وهمي في الحقيقة، ولكن الصراع هو بين السلفية والتكلس والتعصب المذهبي؛ الذي يريد حصر الإسلام في مذهب فقهي ونفي ما عداه، ولذلك لو تأملنا لوجدنا أن الكتاب المعتمد في العقيدة عند السلفيين هو «شرح الطحاوية» لأبي العز الحنفي، ويعد كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي حجة السلفيين في فهم القرآن والسنة، وكتاب «الاعتصام» و«الموافقات» عمدة السلفيين في منهجهم؛ وهما للشاطبي المالكي، أما الإمام أحمد ابن حنبل؛ فالسلفيون منتسوبون له في العقيدة والمنهج، وكثير منهم على مذهبه في الفروع.

وقد بين موقف السلفيين من المذاهب الأربعة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في رسالته «السلفيون والأئمة الأربعة».

وكثيراً ما يتردد تقسيم الدعوة السلفية إلى سلفية تقليدية أو علمية، وسلفية إصلاحية، وسلفية جهادية، وهذا تقسيم لعل الصديق «محمد أبو رمان» يحوز على ملكية حقوقه الفكرية! وهذا التقسيم في نظري غير صحيح ولا سليم، وليس نتيجة دراسة واسعة ومعمقة للواقع السلفي، بل هو قد يكون رؤية شخصية لواقع الدعوة السلفية في الأردن في لحظة ما، كما أن هذا التقسيم يواجه إشكالات كثيرة من ناحية عدم وجود فواصل حقيقية بين مكوناته، ولا يتوفر مكان لكثير من التجمعات السلفية فيه!!

وهــذا التقــسيم للــدعوة الــسلفية -أيــضاً- يــستبطن تنــاقض في الموقــف تجــاه بعــض أقــسامه بــين الــذم لــه بالمجمــل، وتأييــد مواقفــه بالقطعة!!

٣- فمـثلاً مـا يطلـق عليـه: «التيـار الـسلفي التقليـدي»، ويـراد بـه: العلمـاء، والمـشتغلون بالتـأليف والتحقيـق، ويوصـمون بـأنهم منعزلـون عـن الـشأن العـام، وأنهـم في قبـضة الـسلطة، ومتـأخرون عـن حركـة المجتمـع؛ هـؤلاء ليـسوا كتلـة واحـدة تحمـل نفـس الخـصائص في كافـة الـدول، وهــذا التيــار الــذي يــسمونه: «تقليــدي»؛ تجــد أن «المــثقفين والمتنويون من الإسـلاميين»؛ سـواء مـن خـرج مـن عبـاءة تنظيمـه، أم مـن تـولى منـصباً رسميـاً باسـم تنظيمـه؛ حـين يـصطدم بـالواقع يعـود لـنفس المواقف الـتي يتبناهـا التيـار «التقليـدي»، والـتي لا تجـد شـعبية في الـشارع؛ كفتوى الـشيخ ابـن بـاز بجـواز الـسلام مـع اليهـود، أو الاسـتعانة بأمريكـا في تحريـر الكويـت، فهـل التيـار «التقليـدي» سـابق ومتقـدم بمواقفـه علـى الآخرين الذين يدعون الاستنارة والمعاصرة؟!!

وهـذا التيـار فيـه كـثير مـن المـدركين لأهميـة الإعـلام، والتـصدي لإرشـاد النـاس في ديـنهم ودنيـاهم؛ فـبرزوا علـى الفـضائيات، وقـدموا خطابــاً ســلفيّاً مميــزاً، أســقط كــثير مــن مقــولات بعــض الإســلاميين باستحالة وجود إعلام لا يتقيد بقواعد الإعلام الغربي العامة.

٤- مـا سمـوه: «التيـار الـسلفي الجهـادي» ويقـصدون بـه: جماعـات القاعدة -غالباً-، ومن سـار علـى نهجهـا، وهـذا اسـم غـير صـحيح؛ فـلا هم سلفيون! ولا هم جهاديون!!

فالــسلفية هــي: اتبــاع الكتــاب والــسنة علــى طريقــة الــصحابة

الكرام في العقيدة، والفقه، والأخلاق، والمنهج، والسياسة الشرعية.

وهؤلاء في تبنيهم لتكفير بعض المسلمين ليسوا على منهج السلف، وفي منهجهم القائم على القتل والتفجير ليسوا على منهج السلف، وطريقتهم في الجهاد لا توافق أحكام الشريعة الإسلامية، التي منعت من قتل الأبرياء، وتخريب المنشئات.

وإذا كان هذا هو التيار السلفي الجهادي؛ فماذا نسمي الجماعات السلفية التي قامت بالجهاد ضد المحتلين لديارها؛ كما في الشيشان والفلبين وأرتيريا وأفغانستان والعراق؛ دون أن تتورط في تكفير أو قتل للمسلمين أو الأبرياء؟؟؟

وبحسب بعض الباحثين؛ فإن من شارك من السعوديين في الجهاد الأفغاني يقدرون بـ (٤٠) ألف مجاهد، لم يتورط منهم مع القاعدة على أبعد تقدير ألف شخص، فلماذا يخطف اسم الجهاد لقلة بسيطة على حساب الغالبية العظمى؟؟

والعجيب أنهم لا يسمون أنفسهم بهذا الاسم! ومن تسمى به في الجزائر نبذه لينضم للقاعدة، مع أنه من المعلوم أن غالبية قادة هذه الجماعات من خلفيات حركية وحزبية غير سلفية، وصف الأستاذ محمد أبو رمان من ينسبون للتيار السلفي الجهادي أو القاعدة بغزة في مقاله: (جيش للإسلام أم الفوضى؟!) فقال: «التقطوا (الخطاب السلفي الجهادي)، ويتبنون رسالة القاعدة، وإن كان مستواهم الثقافي والفكري يمتاز بالضحالة، بل وتشير معلومات أن عدداً كبيراً منهم حديثوا عهد بـ «الإسلام السياسي»، وهذا حال أكثر مجموعات القاعدة؛ فعلى أي أساس ينسبهم للسلفية؟؟!

٥- هناك تغافل وتجاهل لوجود تيار سلفي كبير يؤمن بالعمل الجماعي، وبعضه يمارس العمل السياسي؛ كما في الكويت، والبحرين، والسودان، والهند، وباكستان، وغيرها.

وهذا التيار قدم حقيقة الطرح السلفي في رؤيته السياسية والاقتصادية، فلماذا لا تدرس هذه التجارب؛ والتي تجاوز عمر بعضها ربع قرن، بدل ترويج الشائعات عن سلوكيات السلفيين إذا وصلوا إلى السلطة؟؟؟

٦- أظن أننا بحاجة لوضع معايير جديدة لتقسيم وتصنيف التجمعات السلفية، وهذا الاختلاف نابع من كون السلفية دعوة لها أسس نظرية متفق عليها، وهي: توحيد الله ﷻ، اتباع النبي ﷺ، تزكية النفس بالأخلاق الفاضلة.

وللدعوة السلفية أصول عملية متغيرة بحسب الزمان والمكان، والبيئة المحيطة، والنظرة للدور الممكن القيام به، ولذلك قد تتباين التوجهات حتى في نفس البلد.

واعتماداً على دراسة سابقة لي حول الجماعات السلفية في العالم -وهي غير منشورة- يمكن لي طرح تقسيم جديد للتجمعات السلفية، وهو قائم على رؤية تركيبية؛ وليست مسطحة لهذه التجمعات، وتقوم على المحاور التالية[1]:

العلمية، الدعوية، الجماعية أو التنظيمية، السياسية، البرلمانية، الجهادية، **مثال**:

(١) هذا التصنيف أصبح بحاجة لتعديل وتطوير بعد ما شهدته التجمعات والجماعات السلفية من تطورات عقب الثورات العربية سنة ٢٠١١م.

١) جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر، يمكن توصيفها بأنها جماعة سلفية علمية إلى حد ما، دعوية نشيطة، منظمة، وليست سياسية أو برلمانية أو جهادية.

٢) جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت، يمكن توصيفها بأنها جماعة سلفية علمية إلى حد ما، دعوية نشيطة، منظمة، سياسية وبرلمانية.

٣) مركز الألباني في الأردن، يمكن توصيفه بأنه جماعة سلفية علمية جداً، دعوية إلى حد ما، ليست منظمة، وليست سياسية أو برلمانية أو جهادية.

وهذه المحاولة في تقسيم وتوصيف التجمعات السلفية أظنها أدق وأقرب للواقع من التصنيف السابق، والقضية بحاجة لمزيد درس وبحث؛ آمل أن أتمكن من إتمامها في المستقبل.

السلفية منهج وحدة وتجديد

«الغد» ١/ ٧/ ٢٠١١

كلما هممت بالتوقف عن الكتابة حول السلفية حتى أتناول قضايا أخرى تفاجأك الصحف والمواقع بمقالات وأخبار وكتب تتناول السلفية وتتعرض لها، وغالب هذه المواد هي من اعداد المناوئين للسلفية أو من غير ذي الصلة بها، ولكون السلفية اليوم - مع تبدل الأوضاع وتغير الأحوال- لها حضور شعبي كبير جداً ومؤثر إن سُمح للديمقراطية بالعيش الكريم في البلاد الإسلامية بعد (ربيع الثورات العربية)، ولأن السلفية غدت تشكل التحدى الفكري الحقيقي للأفكار الوافدة على أمتنا تحت شعارات العلمانية والإشتراكية والليبرالية، كما أن السلفية هي السد أمام الأفكار البدعية في الأمة كالخوارج والشيعة وغلاة التصوف والقاديانية وغيرها، لكل هذا فإن الهجوم على السلفية هجوم كبير ومتعدد الأغراض والمنفذين

لذلك أجد من اللازم المواصلة في توضيح جوانب هامة من طبيعة السلفية تم تشويهها عمداً من قبل الخصوم، أو بسبب التحكم غير الموضوعي لبعض الباحثين بمحاولة تطويع السلفية لنظريات سياسية واجتماعية ومعرفية من أرضية علمانية مادية غربية، وفي هذا

جناية كبيرة على السلفية وعلى العلم والمعرفة.

فلقد عانى العالم أجمع من محاولة تطويعه لصالح نظريات وخرافات الغرب/ العلمانية/ الحداثة/ العولمة، فمثلاً خرافة كون العلمانية جسر للديمقراطية والسلام وإنهاء الحروب ثبت فشلها خاصة مع الحروب القمعية للسلطات العلمانية الحداثية ضد شعوبها في ليبيا وسوريا، وخرافة قرب انتهاء الدين وانتصار العلمانية والمادية فكانت النتيجة تزايد المد الديني في كل العالم حتى وصل البيت الأبيض، وخرافة الإصلاح باتباع سياسة السوق المفتوح وما جرته من ديون وكوارث للشعوب وتخمة للنخب!!

وهكذا فإن جعل الغرب ونظرياته هي المقياس الذي يوزن به العالم خطأ جسيم، ومن دلائل هذا اتجاه الشارع في الغرب للأديان الشرقية والطب الشعبي والأكل الآسيوي وهكذا.

ولذلك لفهم السلفية لا ينبغى أن نستحضر النظريات العلمانية ونحاكم بها السلفية الإسلامية، فإذا كان الغرب عرف نوع من التعصب والإنغلاق باسم العودة للجذور فهي سلفية غربية تحمل صفاته وملامحه ومشاكله، ولا علاقة لنا بها.

فالسلفية هي العودة للأصول، لكن الأصول الإسلامية أصول محفوظة ربانياً ومثبتة علمياً وتاريخياً، بخلاف ما سواها من الأصول عند الآخرين.

ومن جهة اخرى فإن الأصول الإسلامية وهي القرآن والسنة الصحيحة الثابتة لا تعانى من مشكلة التعارض مع العلم أو الواقع، وهي المشكلة التي تعاني منها الأصول الأخرى.

وملاحظة ثالثة إن مشكلة المسلمين نبعت من الإبتعاد عن

الأصول المحفوظة فتولد عن ذلك تفشي الجهل والتقليد والخرافات، بخلاف الأصول عند الأخرين فلكونها غير محفوظة فقد دخلها الخطأ والتحريف فتعارضت مع العلم والواقع فحين تجاوزوها تفشى العلم والمعرفة عندهم وتخلصوا من الخرافات والأوهام، وكان هذا بعد أن احتكوا بالمسلمين في الأندلس فعرفوا الفرق بين الأصول الإسلامية وأصولهم!!

وبهذا يتبين لنا أن محاولة البعض مثل د.عمار حسن مساواة الأصوليات الإسلامية والمسيحية واليهودية هي محاولة خاطئة، لأنه يخلط بين تصرفات الحركات الإسلامية المسلحة المصرية والمدانة سلفياً وبين السلفية!! ومن ثم ينبني استنتاجات كبيرة على فرضيات خاطئة، كما أنه لا يلحظ الفرق بين إعمال النصوص الإسلامية والتي تحث على العلم والعمل والعدل والتفكير والاجتهاد وبين نصوص الآخرين التي تمجد القتل والعنصرية وتقفل باب التفكير والعلم.

ومن الأخطاء الشائعة تقسيم السلفية إلى سلفيات متعددة ومتضاربة، كمحاولة لتفسير تنوع النشاطات والاهتمامات السلفية، وفي الحقيقة بدلاً من التفسير يتم التشويه للسلفية ولو أخذنا كتاب «السلفية المحافظة» (د.محمد أبو رمان وحسن أبو هنية) كمثال، لوجدنا تشتيت لصورة السلفية وتجنى عليها فهو يقرر «أن السلفية «اتجاه يدعو إلى الإقتداء بالسلف الصالح واتخاذهم قدوة ونموذجاً في الحاضر»، وبرغم أنه تعريف يشوبه نوع قصور لأنه يغفل أن اتخاذ السلف قدوة في جانب فهمهم للأصول (القرآن والسنة)، لا أن السلفية محصورة في نمط حياة السلف، ومعلوم أن القرآن والسنة

فيهمـا إشـارات ودلالات لكافـة الأوضـاع والمـستجدات يـتم اسـتنباطها من خـلال آليـة القيـاس وهـي المـصدر الرابـع للتـشريع، وهـو مـا يقـضى علـى الإشـكال الـذي أورده «يبـدو أن الإصـطلاح التـاريخي للـسلفية لا يـدل علـى مـضمون محـدد يتطـابق في دلالتـه علـى جماعـة بعينهـا وينفيهـا عن أخرى»، فإن كان يبحـث عـن نمـط حيـاة وطريقـة عمـل موحـدة فلـن يجد مثل هذا، وإن كـان يبحـث عـن نهـج للفهـم للـدين وتطبيقـه وطريقـة تعامل موحدة مع الأصول (القرآن والسنة) فهو موجود!!

ولـذلك فـإن الـزعم بـأن هنـاك سـلفية تاريخيـة وسـلفية وهابيـة وسـلفية إصـلاحية وسـلفية وطنيـة وسـلفية حركيـة تتغـاير وتتـضارب هـو زعـم موهـوم، لأن جميـع هـذه الـسلفيات موحـدة في موقفهـا مـن القـرآن والـسنة وأداء العبـادات ونبـذ البـدع والـشركيات وتفعيـل مـنهج الاجتهـاد بالـضوابط الـشرعية المعروفـة لأهلـها، ولا خـلاف بينهـا في ذلك أبداً.

بـل إن هـذه الـسلفيات (المزعومـة) حـين كانـت تتعاصـر كانـت تتعـاون وتتكامـل، مثلمـا حـصل مـن رشـيد رضـا الـذي يدعونـه رأس الـسلفية الإصـلاحية تجـاه الـسلفية الوهابيـة -الـتي ترمـى بالتـشدد- فقـد كان رشيد رضـا متعاونـاً معهـا ناشـراً لأدبياتهـا مـدافعاً عنهـا فكتـب عـدة مقـالات في صـحيفة الأهـرام المـصرية للـدفاع والتعريـف بالوهابيـة وسياسـات دولتهـا نـشرت فيمـا بعـد في كتـاب «الوهـابيون والحجـاز»، وهـذا البـشير الإبراهيمـي زميـل عبدالحميـد بـن باديس في قيـادة جمعيـة علمـاء المـسلمين بـالجزائر والـتي يـصنفونها علـى الـسلفية الوطنيـة، يقـول عـن الوهابيـة ومـا ترمـى بـه مـن شـدة وعنـف «الوهـابيين قـوم مـسلمون

يـشاركونكم في الانتـساب إلى الإسـلام، ويفوقـونكم في إقامـة شـعائره وحـدوده، ويفوقـون جميـع المـسلمين في هـذا العـصر بواحـدة وهـي أنهـم لا يقـرون البدعـة، ومـا ذنـبهم إذا مـا أنكـروا مـا أنكـره كتـاب الله وسـنة رسـوله، وتيـسر لهـم مـن وسـائل الاسـتطاعة مـا قـدروا بـه علـى تغـيير المنكـر؟ أإذا وافقنـا طائفـة مـن المـسلمين في شـيء معلـوم مـن الـدين بالـضرورة، وفي تغـيير المنكـرات الفاشـية عنـدنا وعنـدهم - والمنكـر لا يختلـف حكمـه بـاختلاف الأوطـان - تنـسبوننا إلـيهم تحقـيرا لنـا ولهـم، وازدراء بنـا وبهـم، وإن فرقـت بيننـا وبيـنهم الاعتبـارات؛ فـنحن مالكيون بـرغم أنـوفكم، وهـم حنبليـون بـرغم أنـوفكم، ونحـن في الجزائـر وهـم في الجزيـرة. ونحـن نعمـل في طـرق الإصـلاح الأقـلام، وهـم يعملـون فيهـا الأقـدام، وهـم يعملـون في الأضـرحة المعـاول ونحـن نعمـل في بانيها المقاول».

فلمـاذا نريـد أن نخلـق فواصـل وحـدود موهومـة وسـلفيات متعددة ومتـضاربة، بـدلاً مـن الإعـتراف بالحقيقـة وهـي أن الـسلفية مـنهج مُوَحد ومُوحِد عبر التاريخ، لكنـه يتعامـل مـع مـا يواجهـه مـن قـضايا قـد تختلـف زمانـاً ومكانـاً وقـد تجتمـع كمـا في هـذه الأمثلـة، فالوهابيـة لم تعـانى مـشكلة الإسـتعمار ولـذلك غـاب البعـد الـوطني نوعـاً مـا، وأمـا رشـيد رضـا فقـد واجـه ضـياع الهويـة الـسياسية والحـضارية فركـز علـى هـذا الجانـب وأولاه اهتمامـه، وإن كانـت مـسيرة رضـا قـد تطـورت بحـسب تطـور الوضـع الـسياسي والـديني، فحـين ترسـخت الكماليـة في تركيـا والوهابيـة في نجـد والحجـاز تغـيرت أولوياتـه لتـصبح أكثـر شـرعية، ليأسـه مـن إصـلاح الخلافـة العثمانيـة وأملـه بالـدعوة الوهابيـة الـصاعدة، وكـذا الحـال في الجزائـر فتركيـز ابـن بـاديس علـى تعلـيم الجزائـريين كـان

بسبب التحدى الفرنسي الذي يقوم على تجهيل الشعب الجزائري عبر هدم المدارس الأهلية وفرض اللغة الفرنسية في مدارسه مما نفر الشعب عن التعلم، فأسس جمعية علماء الجزائر لذلك.

فليست سلفيات بقدر ما هي استجابات سلفية متنوعة لتحديات متعددة، لكنها تنبع من نفس الأصول ولا تتناقض معها، فهذه الرموز رغم اختلاف أولوياتها تشترك في نفس المعتقد والمنهج لفهم الشريعة ورفض البدع والشركيات والخرافات، وتدعو للعلم والعمل وفتح باب الاجتهاد الذي أغلق التقليد والتعصب.

أما ما نشهده اليوم من تنوع الاجتهادات السلفية في التعامل مع الواقع المعاصر، فهذا قسمين:

قسم ليس من السلفية وإن ردد الإعلام صبح مساء أنهم سلفيين كتنظيم القاعدة، ونوع هو بسبب أمراض نفسية كالحسد والغيرة وليس له علاقة بالسلفية، وكما قيل «المعاصرة حرمان».

وقسم هو من باب اختلاف المجتهدين في الحكم على قضية محددة، فأصول هذه الاجتهادات السلفية واحدة ولكن الخلاف يقع بينهم بسبب اختلاف فهمهم للواقع واختلاف تقديرهم للمصالح والمفاسد، أو قد يكون بسبب الخلاف في فهم حجية الدليل الشرعي.

وهذا الخلاف في فهم الواقع والمصالح يعود لأسباب ذاتية في الرموز والقادة غالباً، فكثير من التجمعات السلفية المعاصرة هي في الأصل تجمعات محلية محدودة، لكن تنامى الصحوة الإسلامية وتفوق الخطاب السلفي وثورة الإتصالات جعلت من بعض الأراء المحلية السليمة في بيئة معينة ذات صبغة عالمية ولا يلزم صوابها عالمياً،

ولذلك نقل عن الشيخ ابن عثيمين أنه قال بعد رجوعه من العلاج خارج السعودية في آخر حياته «لو سافرت قبل ذلك لتغيرت بعض الأمور» ويقصد بعض فتاواه.

ولكن تبدل الأحوال اليوم وسهولة الإتصالات جعلت كثيراً من الآراء تتقارب وتتوحد لكن هذا يحتاج بعض الوقت كما هو معلوم من طبيعة البشر والأفكار.

وأختم بالإشارة أن وضع هذه الحدود والفواصل غير دقيق بتاتاً، فما يطلقون عليه السلفية التقليدية أو العلمية أو المحافظة هي في داخلها متنوعة ومتعددة بحسب مقاييسهم، فموقف الألباني من الإستعانة بالأمريكان ضد العراق كان على خلاف موقف علماء السعودية وهم زملاء وأصدقاء، ولكن تعدد زوايا النظر للامور يولد هذه التباين رغم وحدة الأصول، ومن الطريف هنا قصة الألباني مع ابن باز، حين نقل للألباني تحذير ابن باز من السرعة في قيادة السيارة، فعلق الألباني أن سبب هذا التحذير عدم معرفة ابن باز بلذة السرعة في القيادة، فعلق ابن باز أن من يقول هذا لم يجرب عناء دفع الديات عن حوادث السيارات!!

مصطلح «السلفية» بين التعميم والإختطاف

«الغد» (٣/ ١٢/ ٢٠٠٤)

مصطلح «السلفية» من المصطلحات التي يكثر تردادها اليوم بين الناس بعامة، والنخب السياسية والمثقفة بخاصة، بل حتى الدوائر الغربية توليها مزيداً من الاهتمام؛ وذلك ناتج من الربط الخاطيء بين السلفية وكثير من «أعمال العنف» التي نعايشها.

ومع كثرة تكرار هذا المصطلح؛ إلا أن مفهومه ملتبس على كثير من الباحثين، بل وكثير من «السلفيين الجدد» -إذا صح التعبير-، لأسباب متعددة، من أهمها:

ندرة الكتابات المنهجية في تأصيل هذا المفهوم بشموله المعرفي من أتباع المنهج السلفي والكتابات السطحية لكثير من الباحثين دون تعمق وبحث في الفكر السلفي؛ فكثير من الباحثين حين يستعرض الحركات والجماعات السلفية يلجأ إلى التقسيم التالي: السلفية الإصلاحية (الأفغاني، ومحمد عبده)، السلفية الوطنية (علال الفاسي)، السلفية الجهادية (السنوسية، والمهدوية)، وفي العصر الحاضر يمثل للسلفية الجهادية بالجماعة الإسلامية والجهاد بمصر، وجهيمان في السعودية، وحركة أبو يعلى بالجزائر، ومن ثم تنظيم القاعدة، وللسلفية الإصلاحية بالدعاة في السعودية، وجبهة الإنقاذ

بـالجزائر، وهنـاك الـسلفية التقليديـة؛ ويقـصدون بهـا: العلمـاء الـسلفيين المنشغلون بالعلم والدعوة؛ دون تصادم مع الأنظمة القائمة.

وهــذا التقريــر والتقــسيم مجانــب للــصواب، وذلــك أن الــسلفية ذات مـضمون محـدد وواضـح؛ لكـن إذا جهلـه بعـض النـاس أو أطلقـوه على غير محله؛ فهذه مشكلتهم؛ وليست مشكلة المصطلح!

والـسلفية هـي التـزام فهـم الـصحابة والتـابعين لأصـول الـدين، والتـزام طـريقتهم في فهـم النـصوص الـشرعية ومـنهج الاجتهـاد عمومـاً؛ وإن خالف ما قرره الصحابة والتابعين لجهل بالمسألة أو تأويل.

فهــذا هــو مفهــوم الــسلفية الــشرعي، لكــن درج المفكــرون المعاصرون والمترجمـون غـير المختـصون علـى إطـلاق مـصطلح «الـسلفية» على مجموعتين:

المجموعــة الأولى: كــل تيــار أو جماعــة تتمــسك بالمنــابع الفكريــة الخاصــة بهــا، فتراهــم يطلقــون مــصطلحات مثــل: الــسلفية اليهوديــة والماركسية، وغيرها.

ولـذلك حـين درس هـؤلاء تـاريخ بعـض الشخـصيات والحركـات الإســلامية وجــدوها تــرفض تــرك الــدين، والانجــرار خلــف المدنيــة الغربيــة، أو الانــصهار في ثقافــة المحتــل؛ فــأطلقوا عليهــا مــصطلح: شخـصيات سـلفية، أو حركـات سـلفية، وهـذا لا يـصح، فمـثلاً الأفغـاني ومحمــد عبــده؛ فــإنهم لم يكونــوا علــى معتقــد الــسلف أو طــريقتهم، فالأفغـاني الـراجح أنـه شـيعي! وعبـده كـان عقلانيّـاً، وبعـضهم يجعلـه في طـرف المحتـل، وكـذلك المهدويـة هـي حركـة صـوفية غلـت حتـى ادعـت العـصمة لمؤسـسها الـذي كفـر كـل مـن أنكـر مهديتـه، فكيـف يـصح أن

يطلق على هؤلاء اسم السلفية، وهم يخالفون معتقد السلف وطريقتهم في فهم الدين؟! وهم -أيضاً- كانوا على خلاف مع العلماء السلفيين المعاصرين لهم؟ فهذا من تعميم مصطلح «السلفية».

ونوع آخر من التعميم، وهو إذا تشابه موقف، أو قناعة تيار، أو مصلح في قضية بعينها مع المنهج السلفي؛ أدخله البعض في مسمى السلفية، فتراهم يقولون: «سلفية البنا، وسلفية المودودي...»، وهذا لا يصح؛ لأن للبنا والمودودي منهجاً مستقلاً يلتقي مع السلفية في محاور أساسية، ولكنه يخالفها في محاور أخرى أساسية، تنقض إطلاق مسمى السلفية على من أخذ بها.

المجموعة الثانية: التيارات «الجهادية» التي تستقي فكرها من كتابات لشخصيات سلفية تاريخية؛ مع القطيعة للرموز المعاصرة التي تنتمي لهذه الشخصيات.

وهذه التيارات غالباً ما كانت نشأتها منفصلة تماماً عن التيار السلفي المعاصر لها في بلدها، بل هي جزء من حركات تعادي السلفية، لكن لما وجدت أن قياداتها ترفض «الجهاد» لجأت لمقولات سلفية اجتزاتها عن سياقها من جهة، ولم تتبنى بقية المنظومة الفكرية لها في أبواب الشريعة الأخرى، ولذلك تجد هذه الجماعات الجهادية لا تعرف من السلفية إلا البراء من الحكام والطواغيت السياسين، وليس لهم اهتمام يذكر بأصل التوحيد؛ وهو إفراد الله بالعبادة، فتجد أن مسائل الشرك والبدع لا وجود للحديث عنها -غالباً- عندهم.. إن لم يقعوا فيها!!

ومع ذلك تجدهم يعتبرون أنفسهم السلفيون فقط، ومن رفض

قولهم من العلماء السلفيين الذين أوصلوا لهم منهج السلف لما بلغوا سن التكليف، أو تابوا من فسقهم؛ فإنهم ينبزونهم بألقاب بشعة... وهذا من خطف مصطلح «السلفية».

ونوع آخر من الخطف لمصطلح «السلفية»؛ هو: قصر السلفية على من تبنى مسائل محددة مما كثر فيه الجدال مؤخراً، وكأن السلفية تحولت من منهج للفهم والعمل إلى مذهب محدود في قضايا مقننة!!

وعليه؛ فإن مصطلح «السلفية» يطلق ويراد به معنيان:

الأول: وهو المعنى الشرعي الدقيق الذي يطلق على كل من التزم فهم الصحابة والتابعين لأصول الدين، والتزام طريقتهم في فهم النصوص الشرعية، ومنهج الاجتهاد عموماً؛ وإن خالف ما قرره الصحابة والتابعون لجهل بالمسألة أو تأويل.

وهؤلاء لهم أعلام معروفة لا تخفى، ولا تنقطع في كل عصر ومصر، فمن سار في ركابهم فهو السلفي على الحقيقة.

الثاني: وهو معنى عام يقصد به كل المسلمين الذين يتمسكون بما يعرفونه أو يظنونه حقيقة الإسلام ضد دعوات التغريب ونبذ الدين، ويستخدمه أهل الإعلام والساسة.

إن الباحث المنصف الذي يريد أن يستعرض الحركات السلفية القديمة والمعاصرة لا بد له من أن يعرف القضايا الكبرى التي يقوم عليها المنهج السلفي، وهي:

- الدعوة للتوحيد، ومحاربة الشرك والوثنية والخرافة.
- الإقتداء والتأسي بالنبي ﷺ، ونبذ البدع.

- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
- نشر العلم، ومحاربة الجهل.
- تزكية النفس بالأخلاق النبوية.

وبعد معرفة هذه القضايا؛ يبحث عن الجماعات والحركات التي تنهض فعلاً بهذه الأسس؛ فتكون هي الجماعات والحركات السلفية المعاصرة، وليس من أخذ بجزئية من المنهج السلفي، أو إدعاها زوراً وبهتاناً!!

السلفية وتجني الإعلام

«الغد» ١٥/ ٤/ ٢٠١١

تتداول وسائل الإعلام في هذه المرحلة مصطلح السلفية بشكل كثيف ولافت للنظر، وخاصة بعد أن أعلنت نتائج التصويت على التعديلات الدستورية في مصر والتي كشفت عن قوة التيار الإسلامي المصري (السلفيين والإخوان) الذي حصل على ١٤ مليون مؤيد مقابل ٤ ملايين للعلمانيين والناصريين واليساريين، أي أكبر بثلاثة أضعاف!!

الحملات الإعلامية الجائرة ضد التيار الإسلامي وخاصة السلفيين في الفضائيات والصحف والمواقع الإلكترونية المصرية سابقة على الثورة المصرية، مثل حملات مجلة (روز اليوسف) المتواصلة على السلفية والتي كان أبرزها قبل ١٠ أيام من الثورة المصرية التهجم والتجني على «الدعوة السلفية في الإسكندرية» حين نشرت في ١٥/ ١/ ٢٠١١ مقالاً لرئيس التحرير -أنذاك- عبدالله كمال بعنوان: «أخطر رجل ضد مصر - ياسر برهامي وسلفية إسكندرية»، أما هذه الأيام فشهدنا ترويج أكاذيب وإشاعات ضدهم مثل: السلفيين يقتلون الأقباط ويخطفون الفتيات غير المحجبات ويهدمون الاضرحة (الغد نشرت الخبر بعد أن برأت النيابة المصرية السلفيين من

ذلك!!).

أمـا القنـوات والـصحف غـير المـصرية فبـدأت تنـشر تقـارير وتحقيقـات تحـذر مـن الـسلفيين وأنهـم يـشكلون خطـراً علـى مـصر والدول العربية وغيرها!!

أمـا عنـدنا في الأردن فقـد تبرعـت وسـائل الإعـلام بـإطلاق إسـم الـسلفية علـى فعاليـات واعتـصامات أعـضاء الجماعـات الإسـلامية الثوريـة، والـتي لا ترفـع إسـم الـسلفية أصـلاً!! كمـا قامـت صـحيفة السبيل بحملـة ضـارية علـى أبـرز قـادة «مركـز الإمـام الألبـاني» الـشيخين علـي الحلـبي ومـشهور حـسن، كمـا هاجمـت الـشيخ سمـير مـراد، وذلـك بـسبب مـواقفهم الـسلبية مـن الثـورات العربيـة القائمـة، والغريـب أن مـا اعترضـت عليـه الـسبيل مـن الـسلبية تجـاه الثـورات العربيـة هـو عـين موقفها السلبي من الثورة السورية في بدايتها!!

وتتنـوع أسـباب تجنـى الإعـلام علـى الـسلفية، لكنهـا تجتمـع في ثلاث أسباب أساسية هي:

١ – قـوة وانتـشار التيـار الـسلفي في كـثير مـن الـدول، بـسبب قـوة المـنهج الـسلفي لاعتمـاده علـى القـرآن والـسنة الـصحيحة وفتحـه لبـاب الاجتهـاد، ورفـضه لكـل البـدع والخرافـات المنـسوبة للإسـلام والـتي لا تقبلـها حتـى الفطـر الـسليمة والعقـول الراجحـة، ونبـذه لـلآراء والاجتهـادات الـتي تخـالف الأدلـة الـشرعية، وتميـز علمـاء ودعـاة المـنهج الـسلفي بـسعة العلـم الـشرعي وشموليـة الـدعوة الـتي يقـدمونها للنـاس عبر مختلف الوسائل العصرية.

وهـذا الحـضور والقـوة للمـنهج الـسلفي والقبـول الـشعبي لا

تتحمله كثير من القوى العلمانية كاليسارية والليبرالية لأنها تفسد عليها مخططاتها في تغيير هوية المجتمعات الإسلامية عبر ترويج قيم الحداثة الغربية - وخاصة الإلحادية والانحلالية منها - والأنماط الإجتماعية المظهرية الإستهلاكية، فضلاً عن سعي المنهج السلفي لتحكيم الشرع الرباني في حياة المسلمين.

كما أن الحضور السلفي لا تتقبله بعض القوى الإسلامية كالشيعة والأحباش والطرق الصوفية المنحرفة، لأن المنهج السلفي ينسف المكاسب المالية الباطلة لقادتها وسدنتها بدعوى خمس آل البيت أو النذور والهبات للأضرحة والمزارات، كما أنه يكشف زيف أفكارها وسلبية أعمالها على الإسلام والمسلمين.

٢- من أسباب التجني الإعلامي على السلفية أيضاً أن أغلب المراجع المعتمدة إعلامياً هي من إنتاج خصوم السلفية وتحمل تقييم سلبي تجاهها، وهذا نابع بشكل أساسي من الجهل عند أصحاب النية السليمة أو الظلم عند أصحاب اللؤم والحقد.

ومنبع الجهل بالسلفية هو اقتصار البعض على كتابات المخالفين للسلفية في التعريف بها، فمثلاً كتاب «السلفية المحافظة» للزميلين د.محمد أبو رمان وحسن أبو هنية (صدر ٢٠١٠)، ورغم أن الزميلين من المطلعين والقريبين من واقع الدعوة السلفية إلا أنهم وقعوا في أخطاء تاريخية وتحليلية ليست بالهينة – ولأهميته سأعود له في مقال خاص لاحقاً - فمثلاً حين أرادوا تعريف السلفية (ص١٧) أحالوا القارئ على ٩ مراجع ٢ منها – لنفس المؤلف- تتبنى وجهة نظر السلفية، و٧ مراجع تنقد وتعادى السلفية، وهذا لايصح

منهجياً، للباحث إيراد شبهات وإشكالات الخصوم على التعريف لا أن تعتمد تعريف الخصم لخصمه!!

ومثال أخر كتاب «السلفي اليتيم» للأستاذ حازم الأمين (صدر ٢٠١١)، فرغم أنه مخصص بالكامل لقادة جماعات الإسلام المسلح والثوري إلا أنه أطلق عليهم إسم السلفي رغم أنه لم يتعرض لمعنى هذا الإسم ولم يورد فيه أي إشارة لهؤلاء القادة الذين يصفون أنفسهم بأنهم سلفيين!! ولكن المؤلف اعتمد الخطأ الإعلامي الدارج والذي هو أحد صناعه بمقالاته وكتابه، ومن الأخطاء الغريبة واللافتة للنظر من مثل المؤلف والذي يعد من الخبراء بشؤون الجماعات الإسلامية خطأه مرتين في عزو كتاب «الفريضة الغائبة» لسيد قطب وهو لمحمد عبد السلام فرج (ص ١٧، ٢٠)، وخطأ أخر طريف وهو وصفه لوجبة غداء في بيت أنصار الزرقاوي: «محضرين من المطبخ أطباقاً توزع حول صينية الكبسة الفلسطينية» ومعلوم أن الكبسة أكلة سعودية!! (ص٧٥)، فإذا كانت هذه الأخطاء في القضايا البديهية تصدر من خبير فكيف سيكون حال وسائل الإعلام حين تعتمد على مثل هذه المراجع؟؟

ومثال ثالث كتاب «السلفية المعاصرة الألبانية» من منشورات مركز المسبار بدبي (صدر ٢٠٠٨)، ففي مقدمة رئيس المركز تركي الدخيل - الصحفي المعروف- (ص٦) يقول: «ويعرض أسامة عوض ترجمة وافية لسيرة ومسار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ومراحل تطوره المختلفة، من سوريا إلى تدريسه في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، حتى إقامته الأخيرة في منطقة الزرقاء بالأردن»،

والألباني لم يسكن الزرقاء بل سكن في جبل هملان ودفن فيه! والكتاب كله لم يرد فيه أي معلومة حول مكان سكن الألباني أو دفنه، ولم يشر أي مرجع لحياة الألباني لسكنه في الزرقاء فمن أين جاء بها الدخيل؟؟

هذه أمثلة سريعة تبين مدى هشاشة الدقة العلمية في هذه المراجع - المعتمدة إعلامياً- التي تتصدى للتعريف بالسلفية ونقدها وتقويمها، فلذلك سيكون من الطبيعي أن تقدم السلفية إعلامياً بصورة مشوهة وسلبية.

٣- السبب الثالث هو تقصير السلفيين المعاصرين في التواصل مع الإعلام، فرغم أن علماء المنهج السلفي وقادته كانوا مبادرين في مطلع القرن الماضي لإنشاء المجلات والصحف السيارة لما للإعلام من دور ومكانة في توصيل الدعوة وإبلاغ الرسالة مثل: رشيد رضا ومحب الدين الخطيب وتقي الدين الهلالي وعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي ومحمد حامد الفقي ومحمد بن إبراهيم.

لعل من أمثلة الفارق بين وعي قادة السلفية السابقين والمعاصرين لأهمية الإعلام قول رشيد رضا في كتابه «الوهابيون والحجاز»: «رأينا أن من الواجب علينا أن نبين لهم ما عندنا من العلم بذلك في جريدة يومية واسعة الانتشار، فأنشأنا بضع مقالات نشرناها في جريدة «الأهرام» اليومية»، فرغم أنه يملك مجلة المنار، لكنه الوعي باختلاف شريحة قراء المنار عن شريحة قراء الأهرام، كما أن الحدث السياسي لا يصلح معه الإنتظار لبحثه في مجلة شهرية، وهذا الوعي بأهمية الإعلام وعي مفقود عند كثير من رموز السلفية المعاصرة

وخاصة في الأردن.

والخلاصة أن قوة الحضور السلفي ستكون موضع اهتمام من الإعلام، ولأن الإعلام يعتمد على مصادر غير نقية فستكون المعالجة الإعلامية في الغالب مشوهة وسلبية، ولن يتحسن مستوى الموضوعية في نقاش وعرض السلفية إلا إذا تجاوز الإعلاميين هذه المراجع الناقصة وإذا حصل تواصل حقيقي ومهني بين السلفيين والإعلاميين، وهي مسئولية مشتركة من كلا الطرفين.

السلفية ضحية أحداث الزرقاء!!

«الغد» ٢٢/ ٤/ ٢٠١١

للأسف أن ما حذرت منه في مقالى الأسبوع الماضى من تجنى الإعلام على الدعوة السلفية، تعاظم وتكثف بعد الأحداث المدانة والمؤسفة التي جرت في الجمعة الماضية بالزرقاء.

فخرجت علينا وسائل الإعلام، الصحف والكتاب بعناوين صارخة حملت السلفيين كافة وزر هذه المجموعة المحدودة، وقد شهد يومي السبت والأحد تجييشاً وتحشيداً ضد السلفية بالعموم، حتى خشي كثير من السلفيين على أنفسهم من ردة فعل البعض، وهذا التجييش المنلفت شكل إساءة بالغة وتجنى سيء على آلاف الأردنيين السلفيين الذين لهم منهج واضح ومعلن بالإلتزام بالأحكام الشرعية في قضايا السياسة وغيرها، يقوم على رفض العنف والتكفير، بل إن بعض السلفيين من شدة مبالغته في هذا الموقف الرافض للتكفير والعنف طالما هوجم وشتم من الكتاب والصحفيين بأنه عميل ومرتبط بالسلطة وأن وظيفته تبرير السياسات الرسمية، فكيف تم تناسي هذا كله من قبل الإعلاميين في لحظة وتم تحويل أصبع الهجوم والاتهام عن الفاعل الحقيقي وهم من يسمون بالتكفيريين أو السلفيين الجهاديين إلى تعميم التهمة لجميع السلفيين!!؟

هـل كتابنـا وإعلاميينـا يجهلـون الفـرق بـين الـسلفية والـسلفيين وبـين هـؤلاء؟؟ هـل هـم فعـلاً لا يعلمـون أن الـدعوة الـسلفية المنتـشرة في العـالم تـرفض هـذه الأفكـار؟ هـل يمكـن أن نـصدق أنهـم لم يقـرأو رسـالة عمـان – الـتي يمجـدونها في كتابـاتهم – والـتي تعتمـد الـسلفية مـع بقية المذاهب؟

هـل فعـلاً أن محللينـا ومعلقينـا الـسياسيين لا يعلمـون عـن مـشاركة ودور العديـد مـن الـسلفيين أفـراداً وجماعـات في الـشأن العـام والـسياسي تحديداً؟

والسؤال المهم هـل هـذا الهجـوم المعمـم علـى الـسلفيين عـن جهـل وحـسن نيـة أم هـو هجـوم مقـصود ومـبرمج لغايـات وأهـداف؟؟ هـل يمكن أن نجد جواباً؟

إن الـسلفية والـسلفيين هـم أكـبر الـضحايا مـن أحـداث يـوم الجمعـة فرجـال الأمـن أصـيب مـنهم ٨٣ فـرداً، والثـوريين أصـيب مـنهم عـشرات، لكـن الـسلفيين وهـم ألـوف أصـيبوا كلـهم حـين كالـت لهـم وسائل الإعلام التهم بالباطل بأنهم متطرفون وإرهابيون وتكفيريون.

وبعـد تنبيـه بعـض وسـائل الإعـلام تم تعـديل وتلطيـف بعـض العبـارات وتم الـسماح بظهـور أراء الـسلفيين المدينـة لهـذه الأحـداث، وإن كـان الكـثير مـن الإعلامـيين لا يـزال يخلـط في حديثـه بـين الـسلفية والسلفيين وبين الجهاديين والثوريين.

الحملـة الإعلاميـة الجـائرة علـى الـسلفية حملـة لا تقتـصر علـى الإعـلام الأردنـي المحلـي بـل يـشارك بهـا الإعـلام العربـي بعامـة خاصـة أنهـا تتـزامن مـع اغتيـال الناشـط الإيطـالى في غـزة والتخويـف مـن المـد

السلفي في مصر.

وهكذا تشتبك الأمور وتتعقد وتتداخل الأجندات والمصالح، والضحية هي السلفية، ورغم أنها الحاضر الأبرز في وسائل الإعلام، ومع هذا لا يدعى أبنائها ودعاتها للحديث والمشاركة بتوضيح وجهة نظرها في ما يكال لها من اتهامات.

ولتوضيح هذه الصورة المتشابكة والمشوه والتي ضحيتها السلفية أركز على النقاط التالية:

١- ما يسمى بالجهادية أو السلفية الجهادية هو تيار مستقل ومنفصل تماماً عن الدعوة السلفية بأطيافها المختلفة، ولذلك هو وحده من يتحمل تبعات أفعاله، ويجب على الإعلام أن يكون موضوعياً ودقيقاً في تحديد الجهة المذنبة.

٢- السلفية منهج لفهم الإسلام يقوم على إلتزام فهم الصحابة واتباعهم (السلف) للقرآن والسنة والاجتهاد في المسائل المستجدة على طريقتهم، لأن الصحابة وأتباعهم هم الذين تلقوا القرآن والسنة مباشرة وفهموا المراد منهم وعملوا بمقتضى هذا الفهم، فكانت النتيجة أن شهدت البشرية أعظم حضارة إنسانية في أقصر مدة وأكبر مساحة وأكثر تنوع بين الشعوب، وبقيت هذه الحضارة تتزايد وتتطور طالما تمسكت بمنهج الصحابة/ السلف، ولما بدء تأثير الثقافات والديانات الأخرى يظهر في الأمة بدأت المسيرة تتضعضع حتى انحطت الأمة عن مرتبة القيادة والهداية.

٣- إن السلفية بأطيافها المتنوعة هي الأصل وهي القاعدة العريضة، وهي تشترك في التمسك بالقرآن والسنة وتطبيق السنن

ومحاربة الخرافات والبدع والشعوذات والحث على التعلم ومحاربة الجهل، ونبذ العنف والتكفير.

والدعوة السلفية بأطيافها المتعددة هي سابقة تاريخياً على ما يعرف بالجهادية أو السلفيين الجهاديين بل هي أقدم من جماعة الإخوان المسلمين، فجماعة أهل الحديث في الهند تأسست سنة ١٩٠٦م، وجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر تأسست سنة ١٩٢٦م، أما في السودان فتأسست سنة ١٩٣٩م.

٤- الدعوة السلفية تتوزع بين تيارات فردية وجماعية، فهناك جماعات سلفية تقوم على جهد فردي كما هو حال الشيخ أبو اسحاق الحويني ومحمد حسان في مصر اليوم، أو العلامة الألباني والشيخ مقبل الوادعي في اليمن، وبعضها شكل تنظيمات وجماعات مثل جماعات أهل الحديث في شبه القارة الهندية وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر والسودان وجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت وجمعية التربية بالبحرين، أو جمعية الكتاب والسنة بالأردن وجمعية الحكمة باليمن، أو الدعوة السلفية بالأسكندرية.

وهناك تيارات سلفية ترفض العمل السياسي ومنها من هو منخرط به مثل أهل الحديث في الهند وأنصار السنة في السودان وإحياء التراث بالكويت والتربية في البحرين، والسلفيين في مصر بعد الثورة.

٥- مشاركة السلفيين بالعمل السياسي أمر قديم وليس مستجداً، فرموز الدعوة السلفية كانوا في طليعة القادة السياسيين الوطنيين في مطلع القرن الماضي وشاركوا في الجماعات والأحزاب

السياسية أنذاك مثل «حزب العربية الفتاة» والذي كان الشيخ كامل القصاب ممثله لدى الشريف حسين، وكان محب الدين الخطيب ورشيد رضا أعضاء بارزين بحزب «اللامركزية الإدارية العثماني»، وأسس علال الفاسي حزب الإستقلال في المغرب.

أما عن المشاركة في البرلمانات فأقدم ما وقفت عليه مشاركة العلامة إحسان إلهي ظهير في انتخابات عام ١٩٧٧ في الباكستان، وفي الكويت والسودان والبحرين هناك نواب ووزراء سلفييون.

٦- للدعوة السلفية جهود عظيمة في وجه التحديات التي واجهت الأمة الإسلامية، فرموز الدعوة السلفية أمثال رشيد رضا ومحب الدين الخطيب كانت لهم مساهمات كبيرة في وجه المؤامرات الإستعمارية ونشر الوعي السياسي بوحدة الأمة والأخطار التي تتهددها وتهيئة البيئة لنشأة الحركات الإسلامية وخاصة الإخوان المسلمين حيث كان حسن البنا تلميذاً لرشيد رضا ومحب الدين الخطيب.

وكان للدعوة السلفية شرف الجهاد دفاعاً عن الأمة الإسلامية أمام الغزو الأوروبى ففي الهند حركة الشهيد أحمد عرفان وفي الجزائر جمعية علماء الجزائر بقيادة ابن باديس وشارك العلامة حامد الفقي بالجهاد ضد الإنجليز في مصر وفي فلسطين لا ينكر دور الحاج أمين الحسيني تلميذ مدرسة الدعوة والإرشاد التي أسسها رشيد رضا وجهاد الشيخ عز الدين القسام وكامل القصاب، كما شاركت جماعة أنصار السنة المصرية في الجهاد بفلسطين سنة ١٣٥٧هـ حين اسست جماعة أنصار فلسطين، وكذلك الشيخ الألباني سنة ١٩٤٨.

وفي زمننا المعاصر كان للعلماء والجماعات والجمعيات والسلفية دور بارز في التفاعل مع قضايا المسلمين فدعموا حركات التحرر والجهاد الوطني في فلسطين وأفغانستان وغيرها، وأغاثوا المنكوبين والملهوفين وأنشأوا لهم المدارس والمعاهد والمستشفيات وغيرها.

رؤية سلفية في تفجيرات فنادق عمان

«الدستور» (١٣/ ١١/ ٢٠٠٥)

فكما دارت الدائرة على بعض الدول الإسلامية والعربية بنشر الفتن فيها بالتفجير والقتل والإرهاب؛ امتدت يد الجريمة إلى الأردن الآمن يوم الأربعاء الموافق (٩/ ١١/ ٢٠٠٥)، والمتأمل في توقيت هذه الجرائم التي استهدفت الأردن يحس أنها تأتي عقوبة للأردن على مبادرته الطيبة والمميزة تجاه القضايا الإسلامية والعربية العادلة، في هذا الوقت العصيب الذي نمر فيه؛ على الرغم من مواقفه الإيجابية في محاربة جدار الفصل العنصري في فلسطين، ودعم الأهل هناك، ودعم ورعاية الجهود المبذولة لحماية عروبة العراق ووحدته، وغيرها من القضايا والمواقف الداعمة للقضايا الإسلامية والعربية العادلة.

وعليه؛ فإن هذه الجريمة -الأخيرة بإذن الله- من تفجير الفنادق الأردنية، وقتل من فيها من الآمنين من المسلمين والمسلمات، وغيرهم؛ وذلك دون ذنب فعلوه، أو جرم اجترحوه، وقد أظهرت الصور لهذا الفرح الذي أفسدوه قتلهم للمحجبات من المسلمات، فهل هذا نصرهم للدين؟!

وعليه؛ فإن هذا الفعل الأثيم ليس بريئاً من التهمة، فإن الاعتداء على الأبرياء جريمة لا يتسامح فيها، والاستهانة بمثل هذه الأمور يوقع صاحبها في

الإثم إلى أن يلقى الله -تعالى-، فإن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم محترمة لا يجوز التعدي عليها إلا بالحق، وليس هذا الفعل من الحق في شيء، والله -تعالى- يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء:٣٣]، ويقول: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، ويقول النبي ﷺ: «**لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»، بل عظم رسول الله ﷺ القتل حتى شدد في قتل المعاهد والذمي؛ فقال ﷺ: «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**».

وعليه؛ فنحن نوجه الإدانة الكاملة للفعل والفاعل أيّاً كانت وجهته، وأيّاً كان انتماؤه، ونتوجه إلى أهل القتلى بالتعزية، وأهل الجرحى بالدعاء لهم بالشفاء العاجل.

وهذه الأعمال المروعة، والفتن النكراء التي جاءت نتيجة لسلسلة من المفاهيم والنظرات السياسية والشرعية المضللة؛ التي تلبست بلباس الإسلام، وتحدثت بلسان المسلمين؛ صاغتها أدمغة مشبوهة، تأثرت بالخطاب الثوري.

ومن مظاهر انحرافاتهم وشبهاتهم الخطيرة:

١- الحكم الجائر على الأعيان بالتكفير.

٢- الطعن في علماء الأمة واتهامهم.

٣- الجرأة على الدماء المعصومة.

٤- تأجيج الصراع بين الأنظمة والشعوب؛ وخاصة الدول الداعمة لقضايا العرب والإسلام العادلة.

وهذه الشبهات والانحرفات لا ينفع لردعها الاكتفاء بالإستنكار، والشجب، والاتهام بسوء النية؛ إنما يكون ذلك بتفنيد شبهاتهم، والرد عليها؛ ردّاً مؤصلاً تأصيلاً علميّاً.

ونحن نرى أن الجهود التي بذلت لحرب هذه الأفكار الضالة لم تصل للمطلوب، ولا بد من تركيز الجهود علميّاً، والجهات التي توجه لها بطريقة أكثر فاعلية بنشر المفاهيم الصحيحة للإسلام بين عامة المسلمين وعدم الاكتفاء بالمؤتمرات الرسمية التي لا تصل لعامة الشباب المستهدف من هؤلاء الضالين، أو البرامج الإعلامية الرسمية غير الجدية؛ لعدم كفاية الإعداد المطلوب.

وفي الختام؛ ندعم كل الجهود التي تحارب التطرف -فكراً وسلوكاً- الرسمية والشعبية منها، ونهيب بكل المخلصين بالتكاتف في مكافحة التطرف والإرهاب، ونثمن الجهود المباركة للأجهزة الرسمية والأمنية، ووعيها في عدم تعميم التهمة، وعدم مجابهة الظلم بالظلم.

ونتوجه بالنصيحة المخلصة للمخدوعين بهذه الأعمال الإجرامية أن يتقوا الله في الأمر، والرجوع لأهل العلم وذوي الشأن؛ حتى لا يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١١-١٢].

اللهم اهدنا، وسددنا، وعلمنا، وفهمنا.

السلفية ونبذ العنف والتكفير (١)

«الغد» ٣/ ٦/ ٢٠١١

من ميزات الدعوة السلفية الكثيرة نبذها المبكر للعنف والتكفير، وهذا يرجع لعصر الصحابة الكرام الذين هم السلف الصالح الذين نسير على منهجهم اليوم، فالصحابة/ السلف تربوا في مدرسة النبوة القائمة على قاعدة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع الرفق من شيء إلا شانه» (صحيح الجامع ٥٦٥٤).

ولذلك حين ظهر الخوارج في عصر عثمان وعلي رضي الله عنهما نبذهم الصحابة وأنكروا عليهم استخدام الشدة والعنف والتكفير مع المسلمين، وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية منهج الخوارج بقوله: «ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم، أحدهما: خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة... والثانية أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان».

وعلى هذا المنهج سار السلفيون في هذا العصر مقتدين

بالصحابة/ السلف، في نبذ العنف والشدة والاغتيالات والتفجيرات والتكفير، وفيما يلى بعض المواقف لأعلام السلفية المعاصرة التي وللأسف لا يعرفها كثير من السلفيين فضلاً عن عامة الناس، مما جعل بعض الصحفيين والكتاب يشكك في حقيقة موقف السلفيين من دعاة العنف والشدة والتكفير الذين أطلق الإعلام عليهم بغير حق لقب «السلفية الجهادية».

١- كتب العلامة أحمد محمد شاكر وهو عضو هيئة علماء جماعة أنصار السنة المحمدية، مقالاً بعنوان «الإيمان قيد الفتك» بجريدة الأساس ٢/ ١/ ١٩٤٩م، تعليقاً على اغتيال رئيس الحكومة المصرية محمود فهمي النقراشي ٢٨/ ١٢/ ١٩٤٨ في عهد الملك فاروق، وذلك من قبل أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بسبب قرار النقراشي حل الجماعة، مما استدعى الأستاذ حسن البنا لأن يتبرأ من القاتل ومحرضيه بمقاله المشهور «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»، قال العلامة أحمد شاكر:

«روع العالم الإسلامي والعالم العربي بل كثير من الأقطار غيرهما باغتيال الرجل، الرجل بمعنى الكلمة النقراشي...

إن الله سبحانه توعد أشد الوعيد على قتل النفس الحرام في غير آية من كتابه ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]... وهذا حديث في القتل (السياسي) لا يحتمل تأويلاً فقد كان بين الزبير بن العوام وبين علي بن أبي طالب ما كان من الخصومة (السياسية) التي انتهت بوقعة الجمل فجاء رجل إلى الزبير بن العوام فقال: أقتل لك علياً؟ قال: لا، وكيف

تقتله ومعه الجنود؟ قال: ألحق به فأفتك به، قال: لا، إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن». حديث الزبير بن العوام ١٤٢٩ من مسند الإمام أحمد بتحقيقنا. أي أن الإيمان يقيد المؤمن على أن يتردى في هوة الردة فإن فعل لم يكن مؤمنا.

... وإنما الإثم والخزي على هؤلاء الخوارج القتلة مستحلي الدماء، وعلى من يدافع عنهم ويريد أن تتردى بلادنا في الهوة التي تردت فيها أوروبة بإباحة القتل (السياسي) أو تخفيف عقوبته، فإنهم لا يعلمون ما يفعلون، ولا أريد أن أتهمهم بأنهم يعرفون ويريدون والهدى هدى الله»إ.هـ

العجيب أن كثير من دعاة العنف اليوم يبجلون العلامة أحمد شاكر ويعتبرونه من العلماء المتبوعين لكنهم في الحقيقة يخالفونه ولا يطيعونه لأنهم يقتطعون بعض عباراته وتعليقاته العلمية عن سياقها، ويقومون بتطويعها لأرائهم، ولذلك من درس سيرة العلامة شاكر يجد أنه مع تأصيلاته العلمية الدقيقة إلا أنه لم يتورط بأفعال متهورة ومنافية للشرع على طريقة هؤلاء الغلاة، بل كان دقيقاً في التشخيص دقيقاً في المعالجة والتطبيق، لكن الجهلة لا يرون إلا لونين أبيض أو أسود، بخلاف العلماء الذين يعرفون خير الخيرين وشر الشرين!!

٢- موقف العلامة محب الدين الخطيب - صاحب المطبعة السلفية ومكتبتها، وأحد الأعلام الذين أسسوا للدعوة الإسلامية المعاصرة- من رفض فكرة الثأر والانتقام لمقتل الأستاذ حسن البنا، بحسب ما يذكره الشيخ أحمد الباقوري وهو العضو السابق بمكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين والذي كان مرشحاً ليخلف

الأستاذ حسن البنا في قيادة الجماعة، يذكر الباقوري في كتابه «بقايا ذكريات» أنه عقب اغتيال الأستاذ حسن البنا في ١٢/ ٢/ ١٩٤٩ من قبل الحكومة رداً على مقتل النقراشي، فكر بعض أعضاء الجناح الخاص بالانتقام للبنا باغتيال أحد القيادات السياسية المصرية، وأنهم كلفوه باستشارة الأستاذ حسن الهضيبي والحاج أمين الحسيني مفتى القدس والعلامة السلفي محب الدين الخطيب في موضوع الانتقام للبنا، وأن الهضيبي «لم يجبنى بقول يؤثر عنه» وأن الحاج أمين قال: «لقد جربنا العنف فلم نجد فيه خيراً من قريب أو بعيد»، وأن محب الدين «ما كاد يسمع كلمة الثأر للامام الشهيد حتى تغير وجه وتعثرت الكلمات في لسانه، ثم قال: هذه أعمال بلقانية لا خير فيها لدنيا أو لدين،... وفي آخر مرة قابلته فيها (يقصد البنا) قلت له: إن تعليم الشعب أمور دينه وتربيته على أدب الإسلام، تجعل الحكم يسعى إليك سعي المريض إلى الطبيب يطلب عند الشفاء، أو سعي المعدم إلى الغني يستعينه على تحصيل الغذاء والكساء...فلما لم يقتنع المرشد برأي تركت جماعة الإخوان»، ويعقب على هذا الباقوري بقوله: «وليس يخفى أن الأستاذ محب الدين الخطيب كانت له سمعة طيبة، وقد كان يتحدث إلى الإخوان كلما سنحت له الفرصة بهذا الحديث الذي تحدث به إلى الإمام الشهيد، ولذلك تأثر كثيرٌ منهم بهذا الرأي الذي كان يستند إلى الأصل الذي قامت عليه الدعوة المحمدية، وبذلك يكون أول خارج على نظام الجماعة في عهد الإمام الشهيد حسن البنا هو الأستاذ محب الدين الخطيب».

وهذا النص يكشف بوضوح عن التباين المنهجي بين الدعوة السلفية وجماعة الإخوان المسلمين.

٣- يقول الشيخ أحمد فريد وهو أحد رموز الدعوة السلفية في الإسكندرية أنه حين قامت جماعة «المسلمين/ التكفير والهجرة» في عام ١٩٧٧ بقتل الشيخ الذهبي، قام الشباب السلفي في الجامعات المصرية بارتداء تي شيرت مكتوباً عليه: «الجماعة الإسلامية ندعو لله عز وجل ونتبرأ من جماعة التكفير وقتل الذهبي» في تنقلاتهم في وسائل الموصلات، وهذا التصرف على بساطته اليوم، إلا أنه في وقته (عام ١٩٧٧) يعد أقوى وسائل الإعلام والإعلان التي يملكها طلبة في الجامعات.

وينبه الشيخ أحمد فريد أن الشيخ محمد إسماعيل المقدم - الذي كان أعلمهم أنذاك- بدء يدرس لشباب الجماعة الإسلامية في المعسكرات الطلابية كتاباً يرد على جماعة التكفير.

٤- وقد أعلنت جماعة أنصار السنة المحمدية ادانتها لعملية اغتيال السادات، فأصدرت بذلك بيان نشر في مجلتها التوحيد عدد محرم ١٤٠٢هـ جاء فيه: «تستنكر جماعة أنصار السنة المحمدية أشد الاستنكار كل أشكال العنف، وتعلن أن ما ترتب على ذلك من اغتيال الرئيس الراحل محمد أنور السادات يمثل خروجاً على أحكام الدين... فالإسلام لا يعرف العنف في فرض الرأي، ولا يعرف النزول إلى لغة الرصاص..».

وهو ما توصلت له الجماعة الإسلامية في مراجعاتها بعد ٣٠ سنة، من أن الخروج على السادات واغتيال كان خطأ شرعياً وسياسياً كبيراً.

٥- الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وهو أحد الرموز السلفية

المعاصرة المهمة، منذ مطلع الثمانينات كتب محذراً وناقداً في كتابه «فصول في السياسة الشرعية» وغيره من الكتب من ثقافة العنف التي بدأت تتشكل هناك في مصر، والتي رصد نموها بنفسه من خلال زيارته لموطنه لأنه مقيم في الكويت، وأطلق على هذه الثقافة مسمى «المفهوم الجديد للجهاد عند بعض الشباب المسلم» والتي تتمحور حول: تكفير المجتمع أفراد وحكومات، اعتبار المساجد مساجد ضرار، الخروج والجهاد هو الحل وأن الوسائل السلمية لا تنفع، استخدام الخداع باعتبار أننا في حرب مع السلطات المرتدة، جواز الاغتيال، وغيرها من الأفكار.

٦- أصدرت جماعة أنصار السنة المحمدية العديد من البيانات المنددة بالتفجيرات والاغتيالات التي قامت بالجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد في مصر في حقبة التسعينات، مثل محاولات اغتيال رموز السلطة عام ١٩٩٣ وحادثة الأقصر ١٩٩٧.

السلفية ونبذ العنف والتكفير (٢)

«الغد» ١٠/ ٦/ ٢٠١١

ذكرنا في مقال الأسبوع الماضي أن من ميزات الدعوة السلفية الكثيرة نبذها المبكر للعنف والتكفير، ويعود ذلك إلى عصر الصحابة الكرام، الذين أبطلوا حجج الخوارج بالحوار العلمي، كما صنع ابن عباس رضي الله عنه، وكسروا شوكتهم حين اعتدوا على أموال ودماء المسلمين فحاربهم علي رضي الله عنه، وعلى هذا المنوال لا يزال السلفيون في هذا العصر؛ فهم الذين تصدوا لمناظرة ومحاورة دعاة العنف والتكفير في كل بلد ظهر فيه الغلو والتكفير، وفي الأسبوع الماضي استعرضنا أبرز الجهود السلفية المعاصرة التي جرت في مصر لكونها نقطة البداية التي ظهر فيها العنف والتكفير في العصر الحاضر، ونواصل اليوم استعراض بقية الجهود في حقبة السبعينات والثمانينات الميلادية في الشام والجزيرة، والجزائر نهاية الثمانينيات، وصولاً إلى ظهور تنظيم القاعدة وتسيده لمشهد العنف والتكفير.

١- في سنة ١٩٧٣ تفشت فكرة تكفير المجتمع لدى مجموعة من الإخوان المسلمين في مخيم البقعة في الأردن بقيادة محمد رأفت عضو مكتب قيادة الجماعة، من خلال تبنيهم لمناهج سيد قطب الخاصة بتنظيم ٦٥ في مصر وأسسوا جماعة «طليعة البعث الإسلامي»، وحين

عجزت جماعة الإخوان عن التصدي لهذه الأفكار استنجدت بالشيخ الألباني من سوريا، والذي كان على صلة جيدة بجماعة الإخوان في سوريا والأردن، وله دروس بينهم ولقاءات مع قياداتهم، فتم عقد عدة لقاءات مع هذه المجموعة أسفرت عن توبتها واقلاعها عن فتنتها، وبحسب تعبير محمد رأفت: «ولولا الله تعالي أن تداركنا بلطفه وفضله ويسر لنا الأستاذ الألباني لحدث أن تأصلت فكرة الغلاة من الخوارج في العصر الحاضر».

٢- في السبعينات كانت الأمور تتأزم في سوريا وتسير باتجاه التصادم بسبب ظلم وعسف نظام البعث واحتقاره للإسلام، وكان الشيخ الألباني يحذر من التهور والإنجرار إلى صدام مسلح مع النظام، وأن ذلك لن يجلب إلا الشر على الدعوة الإسلامية، وكان هذا الموقف للشيخ سبب لاتهامه باليهودية من قبل بعض المتعجلين والمتهورين، وكان يسخر بعض هؤلاء من موقف ومنهج الألباني بقولهم: أشغل الناس بتحريك السبابة في الصلاة، ونحن نشغلهم بتحريكها في الجهاد!! فكانت النتيجة أنهم بتسرعهم وتهورهم جلبوا الشر والكارثة لأنفسهم ولمن حولهم منذ ٣٠ سنة، والآن فهموا أن السلمية في التغيير التي ينادى بها الشيخ الألبانى هي السبيل الأفضل للشعوب حين تواجه أنظمة ديكتاتورية وبوليسية.

٣- حين تسلل بعض أفراد جماعة التكفير والهجرة اتباع شكري مصطفى بين جماعة جهيمان واستقطبوا بعض قادتهم مثل فيصل محمد، قام الشيخ الألباني بمناقشته واعادته للصواب في هذا الباب سنة ١٩٧٧، وقد سبق للشيخ مقبل الوادعي أن ناقش بعض

اتباع شكري في منزل فيصل بخصوص تكفيرهم للمسلمين.

٤- لما ألف جهيمان رسالته «رفع الإلتباس عن ملة من جعله الله إماماً لِلناس»، اعترض عليها الشيخ ابن باز وأمره بإضافة فقرة عليها قبل توزيعها، مما جعل جهيمان يصنع ختم يدوى لهذه الفقرة ويختم النسخ بها يدوياً، كما أن الشيخ عبد الرحمن عبدالخالق قام بالرد على هذه الرسالة بمجموعة من المقالات والخطب والدروس، كما أنه ناظر جهيمان في مخيمهم بمني في موسم الحج لسنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، حول جوهر هذه الفكرة التي تزعم أن منهج إبراهيم عليه السلام هو تكسير الأصنام، فرد عليه الشيخ عبدالرحمن بأنه مقتضى هذه الفكرة أن النبي ﷺ هو أول من رغب عن سنة إبراهيم عليه السلام؛ لأنه لم يحطم الأصنام بمكة ١٣ سنة!!

٥- حين بدأ جهيمان وجماعته يعتقدون أن المهدي ظهر بينهم، كثر سؤالهم للشيخ الألباني في موسم الحج لسنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م، عن ظهور المهدي، لكن الشيخ الألباني رفض ذلك، وأنكر عليهم الاستناد إلى المنامات في إثبات ظهور المهدي وأن هذا بخلاف المنهج العلمي السلفي، ثم بين لهم أن الأحاديث النبوية تنص على أن المهدي سيكون شامياً وليس سعودياً!!

٦- وحين قام جهيمان واتباعه بجريمة احتلال الحرم وقتل المسلمين فيه، قام العلماء السلفيون جميعاً بإدانة جهيمان والإنكار عليه واعتبارهم فئة ضالة، فهيئة كبار العلماء بالسعودية أصدرت بياناً جاء فيه: «بناء على ما تقدم فإن هيئة كبار العلماء تعتبر هذه الفئة فئة ضالة لاعتدائها على حرم الله وعلى مسجده الحرام وسفكها الدم الحرام وقيامها بما يسبب فرقة المسلمين

وشق عصاهم وبذلك دخلت تحت قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥] وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾[البقرة: ١١٤].

وقول الألباني: «ومثل جماعة (جهيمان) السعودي،... ثم قضى الله على فتنتهم بعد أنْ سفكوا كثيراً من دماء المسلمين، وأراح الله -تعالى- العباد من شرهم».

٧- تبنت مجلة المجتمع الكويتية في عدد ١٠/ ١١/ ١٩٨١ فكرة جديدة بتحديد الصراع للحركة الإسلامية بالصراع مع الأنظمة الحاكمة، في مقالها الرئيسي الذي حمل عنوان «حصر دائرة الصراع»، جاء في المقال: «إن العدو الفعلي واليومي لمسيرة الحركة الإسلامية هو الأنظمة» وقولهم «لابد لكي تكون الحرب ناجحة وتحقق أهدافها من حصر دائرة الصراع وتوجيه كل الناس للهدف الصحيح، وبالكيفية الصحيحة»، وهو الذي لو تم المضي به كان سيفتح باب شر كبير في الكويت، لولا أن تم التنبيه على خطورة هذا الطرح وانحرافه عن الحق، وقد تصدى لذلك الشيخ عبدالرحمن عبد الخالق بمقاله «ماذا تريد مجلة المجتمع بالتحديد؟» فنّد فيه هذه الأفكار ووضح أنها بوابة للتكفير للحاكم وبطانته ومن ثم أعضاء إداراته وبعد ذلك إعلان الحرب الأهلية في فتنة تأكل الأخضر واليابس، وإثر هذا المقال تم تصويب المسار في مجلة المجتمع بعد إغلاقها لبرهة، وتعرض الشيخ عبدالرحمن للكثير من الاتهامات والشتائم من شباب الإخوان!

٨- في نهاية الثمانينات جاء انتصار جبهة الإنقاذ الجزائرية في الإنتخابات البلدية ١٩٩٠م، ومن ثم الفوز بالانتخابات البرلمانية

١٩٩١ وما أعقبها من انقلاب الدولة والجيش على فوز الجبهة، فدخلت الجزائر في دوامة من العنف والتطرف والتكفير عملت أجهزة أمنية وسياسية جزائرية على تغذيتها ودعمها سراً لتبقى مصالحها في أمن وأمان.

وقد اضطلع علماء السلفيين بدور كبير في إطفاء هذه الفتنة، فقد كان للشيخ ابن باز والشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين وغيرهم من العلماء والدعاة وطلبة العلم دور بارز في النصح من خلال استقبال الشباب والقادة الجزائريين واجراء المكالمات مع الشباب في الجزائر بل مع المقاتلين في الجبال لحثهم على إنهاء الفتنة وترك القتال والقبول بالمصالحة، وهو ما تحقق أخيراً، وقد فصّل هذه الجهود عبد المالك الرمضاني في كتابه «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر».

٩- منذ أن ظهر تنظيم القاعدة وبدء ينفذ عملياته الإرهابية وموقف العلماء السلفيين موقف واضح ومعلن: أن هذا الفكر الذي يتبنى التكفير واستحلال أموال ودماء المسلمين والمستأمنين من غير المسلمين هو فكر ضال ومنحرف، وأن القائمين بهذه الأفعال الإجرامية من أفراده هم مستحقون للعقوبة في الدنيا والآخرة.

بل إن البيانات والقرارات الصادرة عن هيئة كبار العلماء وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء تنص على أن تنظيم القاعدة متقرر لدى العلماء ضلال مسلكهم، وشناعة جرمهم، وأنهم بأقوالهم وأفعالهم ما جرّوا على الإسلام والمسلمين إلا الوبال والدمار، وكل عاقل فضلاً عن عالم يدرك انحراف هذا المسلك، وأنه

لا يجوز لمسلم أن ينتسب إلى تنظيم القاعدة، ولا أن يرضى بأفعاله، ولا أن يتكتم على المنتسبين إليه لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لعن الله من آوى محدثاً» رواه مسلم.

وهو الموقف الذي يشاركهم فيه بقية العلماء السلفيين في العالم، وليس هناك من جهة قامت بمقاومة هذا الفكر بالفكر والنقاش والحوار إلا الدعوة السلفية عبر المحاضرات والمقالات والكتب والمناظرات، وله في ذلك آلاف المواد المنشورة وبمختلف اللغات، وتوثيق وتحليل هذه الجهود تصلح أن تكون موضوع لعدة رسائل علمية لدرجة الماجستير والدكتوراة.

هذا هو حقيقة موقف السلفية عبر التاريخ والجغرافيا من العنف والتكفير، ولذلك كان طعن أفراد وقادة جماعات العنف والتكفير تنصب دوماً على العلماء السلفيين لما لهم من دور كبير في مقاومتهم والقضاء على فتنتهم.

السلفية والجهاد

«الغد» ١٧/ ٦/ ٢٠١١

بعـد أن استعرضـنا أبـرز المواقـف الـسلفية المعاصـرة النابـذة للعنـف والتكفير، فإنـه يلـزم عـرض الجانـب المقابـل لـذلك وهـو الإسـهام الكـبير للسلفية في جانـب الجهـاد وجانـب الـسياسة الـذي نرجـأه للمقـال القـادم، ففــي الوقــت الــذي رفــضت الــدعوة الــسلفية بجــزم عــد العمليــات العــسكرية الــتي تــستهدف الــبلاد الإســلامية وأهلــها مــن الجهــاد، فــإن الــدعوة الــسلفية وعلمائهــا كــانوا قــادة الجهــاد الــصحيح أو مــن قادتــه دفاعــاً عــن الإســلام وأهلــه وأرضــه في وجــه المحــتلين والغــازين مــن كــل بقعـة وملـة، وهـذا هـو سـبب العـداء الحقيقـي للـسلفية مـن أعـداء الأمـة الإســلامية، ففــي الوقــت الــذي اســتطاع فيــه المحــتلين تطويــع أصــحاب البـدع والخرافـات ليكونـوا عونـاً لهـم في الإسـتيلاء علـى بـلاد الإسـلام كمـا فعـل الطـرقيين الـصوفيين في المغـرب والجزائـر وغيرهمـا، أو حـين أنـشأ الإحـتلال فرقـاً ضـالة تبطـل فريـضة الجهـاد كالقاديـانيين الأحمـديين في الهنــد – والــتي كثفــت نــشاطها مــؤخراً في الأردن والــبلاد العربيــة- فـإن الـدعوة الـسلفية وعلمائهـا بقيـت رأس الحربـة في جهـادهم وقتـالهم، وإن نبــز مــؤخراً فــيهم مــن ينــتقص الجهــاد عــبر أصــوات عاليــة لكنهــا بائـسة، لنكـرات لـيس فـيهم مـن ترفـع لـه الـرؤوس ولـيس لهـم واقـع حقيقي على الأرض!

فالجهاد في سبيل الله عزوجل فريضة شرعية وهو قوام الدين لقوله ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وقد عده بعض العلماء الركن السادس للإسلام لما للجهاد من مكانة عظيمة في الإسلام، قال الامام الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء، ولا ينقضهما»، والجهاد فريضة قديمة كالصلاة والصوم في شرائع الأنبياء السابقة.

والجهاد لا تستغنى عنه أمة الإسلام كما لا تستغنى الأمم الأخرى عن جيوشها وقواتها، أليست الحرب مجرد امتداد للسياسة بطريقة أخري، كما يقول الإستراتيجيون!! لكن الإسلام جعل للجهاد ضوابط وأصول تجعله لخدمة الحق والعدل كما شهد بذلك التاريخ، ومن هنا كان عقلاء من تورط في العنف من الشباب حين يكبر وينضج يعود لقول ونهج العلماء السلفيين في الجهاد، كما في كافة مراجعات الجهاديين، وفيما يلي ذكر بعض تاريخ الجهاد السلفي العسكري المعاصر ضد المحتلين والغزاة من كل ملة وبقعة:

ففي فلسطين كان العلامة رشيد رضا هو أول من حذر من الخطر الصهيوني الذي يتهدد فلسطين، وقام مفتى القدس الحاج أمين الحسيني - تلميذ رشيد رضا وخريج مدرسته مدرسة الدعوة والإرشاد بالقاهرة- بنشاط بارز في حرب الصهيونية وتأسيس الجمعيات السرية العسكرية لحرب الإنجليز واليهود مثل جمعية«الكف الأسود» والتي غيرت اسمها لجمعية «الفدائية» سنة ١٩١٩، كما أن

للحاج أمين دور بارز في إشعال ثورة موسم النبي موسي بالقدس سنة ١٩٢٠، كما أن اليهود ألقوا بالمسؤولية على الحاج أمين في اندلاع ثورة البراق بالقدس سنة ١٩٢٩، وهو ما واصل الحاج أمين القيام به نصرة للأقصي وفلسطين فأشعل الثورة الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ بفلسطين.

أما جهاد الشيخ عز الدين القسام ورفيق دربه الشيخ كامل القصاب فأشهر من أن يذكر به، لكن الغائب من تاريخ القسام والقصاب هو سلفيتهما!! فرغم اشتغالهما بالجهاد وحرب الإنجليز والصهيونية إلا أنهما كانا أيضاً يحاربان الخرافة والبدعة والطرقية وقد دخلا في مناظرات ونقاشات عديدة حول ذلك، منها ردهما على مفتى عكا عبدالله الجزار ورئيس المحكمة الشرعية فيها محمد خزيران، في كتاب بعنوان «النقد والبيان في رد أوهام خزيران»، وهو مطبوع طبعتين طبعة بتحقيق زهير الشاويش وطبعة بتحقيق مشهور حسن، وبعد استشهاد القسام واصل تلاميذه الجهاد في فلسطين بقيادة الشيخ فرحان السعدي وعبدالرحيم الحاج حتى استشهادهم، وانضم بعض من تبقي إلى جيش الجهاد المقدس تحت قيادة الحاج أمين أو جيش الإنقاذ. وفي سنة ١٩٤٨ ذهب الشيخ الألباني إلى فلسطين للمشاركة في الجهاد ضد اليهود.

أما في سوريا فقد كان للعلامة محب الدين الخطيب والشيخ كامل القصاب دور بارز في حث الدمشقيين على الجهاد وتسليح الناس من خلال اللجنة الوطنية العليا، وبعد معركة ميسلون ١٩٢٠ ضد الفرنسيين، كان الشيخ كامل القصاب على رأس قائمة المطلوبين

للإعدام من قبل السلطات الفرنسية، فهرب للسعودية ثم عاد إلى حيفا وشارك القسام في الجهاد كما تقدم.

وفي مصر شارك الشيخ العلامة حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية في المعارك التي خاضتها المقاومة المصرية ضد الاحتلال البريطانى لمصر مطلع الحرب العامية الثانية، كما أنه كان يقوم بتحريض المصريين على ذلك من خلال طباعة وتوزيع المنشورات، كما أن جماعة أنصار السنة بمصر كونت جماعة أنصار فلسطين للمشاركة في الجهاد ضد اليهود والإنجليز هناك.

وفي المغرب فإن السلفيين بقيادة الشيخ بو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي دعموا جهاد الأمير عبد الكريم الخطابي في ريف المغرب، وكان نتاج جهود الدكالي والعربي أن قام طلابهم بقيادة الحركة الوطنية ضد فرنسا وأشهرهم علال الفاسي، الذي أعلن انطلاق المقاومة المسلحة ضد فرنسا سنة ١٩٥٣ بسبب نفيها للملك محمد الخامس وأنشأ لذلك جيش تحرير المغرب.

وفي الجزائر فإن دور جمعية علماء المسلمين التي تأسست سنة ١٩٣١ بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس دور معروف ومعلن في تهيئة الشعب الجزائري للثورة على فرنسا، ولما قامت الثورة سنة ١٩٥٤ أعلنت عن مناصرتها للثورة حيث أصدر نائب الرئيس الشيخ الفضيل الورتلاني بياناً بارك فيه الثورة، وكذلك موقف رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي الذي خطب من إذاعة صوت العرب بالقاهرة لدعم الثورة، وكثير من قيادات الثورة كانوا أعضاء بارزين في جمعية العلماء منهم: الشيخ عبدالرحمن شيبان والشيخ محمد

خير الدين والشيخ إبراهيم مزهودي والشيخ أحمد توفيق المدني والشيخ العربي التبسي والأديب أحمد رضا حوحو، والشيخ الأمين العمودي.

ولا يقتصر هذا الجهاد السلفي على العرب، ففي الهند بعد أن تعاون السيخ مع الإنجليز على حرب دولة المغول الإسلامية، قام الشيخ أحمد عرفان الشهيد تلميذ العلامة شاه ولى الله الدهلوي بالجهاد ضدهم، بعد أن أسس دولة له في شمل الهند من سنة ١٨٢٦ حتى استشهد في معركة بالاكوت سنة ١٨٣١، واستمر اتباعه بالجهاد ضد السيخ والإنجليز.

وفي أفغانستان كان الشيخ جميل الرحمن زعيم جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة أحد أول ثلاثة أشخاص منذ عام ١٩٧٥ أعلنوا الجهاد بأفغانستان بعد سيطرة الشيوعيين الروس.

فهذه بعض المحطات السريعة من تاريخ الجهاد السلفي المعاصر دفاعاً عن الإسلام والمسلمين في وجه الغزاة والمحتلين، وذلك لبيان شيء من مسيرة الدعوة السلفية في مقابل الجهود التي تحاول تشويهها بالإفتراء أن الدعوة السلفية دعوة متقاعسة وتخاذلة عن نصرة الإسلام والأمة، أو في وجه من يحاولون ربط السلفية بالعنف والتكفير والإرهاب.

السلفية والسياسة

«الغد» ٢٧/ ٦/ ٢٠١١

مصطلح السياسة جاء من كلمة (ساس) بمعنى تسيير الأمور ورعاية الشئون، كما في الحديث «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كُلما هلك نبي خلفهُ نبيٌ» (متفق عليه)، ولذلك فالسياسة تعني في العرف والاصطلاح اليوم: قيادة الناس والاهتمام بالأمور العامة، وشؤون الحكم، والعلاقات بين الدول.

فالسياسة جزء أصيل من الدين والشريعة التي جاء بها النبي ﷺ والأنبياء من قبله أيضاً، فالنبي ﷺ جاء لإنشاء أمة وإقامة نظام ودولة تقيم العدل والحق وتحارب الظلم والفساد، بل إن التسليم بحكم وقضاء النبي علامة على صحة الإيمان ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، أما بعض الأنبياء السابقين مثل داود وسليمان عليهما السلام فقد كانوا ملوكاً أنبياء.

والنبي ﷺ لم يمارس السياسة عقب هجرته للمدينة فحسب، بل لقد مارس النبي ﷺ كثيراً من أعمال السياسة قبل هجرته، لأن السياسة مفهوم أوسع من مفهوم الحكم، فالنبي ﷺ أوجد جماعة سرية في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ثم أصبحت جماعة معلنة،

تستخدم كل آليات الإعلام في ذلك العصر من الحديث الشخصي ومخاطبة النخب السياسية في المنتديات كدار الندوة أو الإتصال الجماهيري كوقوفه على جبل الصفا ومخاطبة أهل مكة ولذلك نزلت سورة «تبت»، وذلك من أجل الدعوة لتغيير نظام المجتمع وفكره. كما إنه طلب الحماية والنصرة من قادة قريش وغيرهم، كما أنه أرسل بعض الصحابة للحبشة فيما يشبه اللجوء السياسي اليوم، وعقد معاهدة العقبة الأولى والثانية بمكة قبل الهجرة.

والسياسة في الإسلام تدور مع الحق والعدل اللذين هما مقصود الشريعة، ولذلك قال الإمام ابن عقيل الحنبلي: «السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول، ولا نزل به وحي»، وعلق عليه الإمام ابن القيم بقوله: «فلا يقال: إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع، بل هي موافقة لما جاء به، بل هي جزء من أجزائه. ونحن نسميها (سياسة) تبعًا لمصطلحكم. وإنما هي عدل الله ورسوله ظهر بهذه الأمارات والعلامات، فقد حبس رسول الله ﷺ في تهمة، وعاقب في تهمة لما ظهرت أمارات الريبة على المتهم؛ فمن أطلق كل متهم وحلَّفه وخلَّى سبيله -مع علمه باشتهاره بالفساد في الأرض، وكثرة سرقاته، وقال: لا آخذه إلا بشاهدي عدل- فقوله مخالف للسياسة الشرعية...».

ويعترف الدكتور القرضاوي بريادة العلماء السلفيين في مجال السياسة فيقول: «إني لم أجد من الفقهاء -في تاريخنا- من تكلم عن السياسة الشرعية وشرحها فأحسن شرحها، وكَشَفَ اللثام عن

مفهومها، وبيَّن الفرق بين السياسة العادلة، والسياسة الظالمة، وأن الأولى إنما هي جزء من الشريعة، وليست خارجة عنها، ولا قسيمًا لها، مثل الإمام ابن القيم».

فالسياسة من صميم الدين وعلماء السلفية هم من علموا الأمة السياسة الشرعية وبينوا للناس والحكام الفرق بين السياسة الحق والسياسة الباطلة المخالفة للشريعة الإسلامية، وعلى منوالهم نسج علماء السلفية المعاصرين.

فاهتمامهم بشؤون الأمة ومشاركتهم في تحمل قضاياها والسعي لرفعة شأن المسلمين كان الشغل الشاغل لهم في مطلع القرن الماضي، وسأحاول بيان شيء من نشاطهم السياسي في النقاط التالية:

١- قلما وجدت جمعية أو هيئة او حزب يهدف للإصلاح إلا ورأيت العلماء السلفيين من قادته ومؤسسيه، فعلال الفاسي هو أول زعيم للحزب الوطني المغربي سنة ١٩٣٧، وعبدالحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي أسسوا جمعية علماء المسلمين بالجزائر للحفاظ على الهوية الإسلامية في مقابل المخططات الفرنسية، وأما رشيد رضا فقد شغل المواقع السياسية التالية: سكرتير حزب الاتحاد السوري، وعضو حزب اللامركزية العثمانى، وشارك في الحكومة الفيصلية بسوريا، ومحب الدين الخطيب من مؤسسي جمعية النهضة العربية وجمعية الشوري العثمانية، وتعاون مع جمعية العربية الفتاة وحزب اللامركزية وكان له دور بارز لعقد المؤتمر العربي سنة ١٩١٣ بباريس، وكامل القصاب كان ممثل جمعية العربية الفتاة لدى الشريف حسين بمكة، وكان لهم نشاط سابق زمن السلطان عبد الحميد

للمطالبة بالدستور، ولذلك تعاونوا مع الإتحاديين قبل أن ينكشف لهم تآمرهم على الخلافة والإسلام باسم محاربة الإستبداد الحميدي، وما أصدق قول الملك عبدالله بن الحسين المؤسس في مذكراته ص٢٧: «ولقد زعم الناس أن عبد الحميد كان ظالماً، لقد كذب الناس. والله لم يكن بالظالم ولكنه الحذر المتحوط. ولقد عُرف بعد أن ذهب أنه لم يقتل أحداً ولم ينفذ حكم اعدام في محكوم أبداً، إلا مرة واحدة...ولئن أحصى الناس ما وقع بعده من صلب وتشريد وإدارات عرفية، وصولات في شام ويمن من الحكومات الإتحادية، لعلم أن ظلم عبد الحميد بالنسبة إلى أفعالهم كان عدلاً محضاً».

٢- تعاون العلماء السلفيين مع حكام عصرهم، إما بالاستشارة أو تولى بعض المسؤوليات الرسمية، فالشيخ كامل القصاب والعلامة محب الدين الخطيب تعاونوا مع الشريف حسين بمكة فكان محب الدين مؤسس جريدة القبلة بمكة، ومن أثار الخطيب والقصاب السياسية فيما يخص الأردن أنهم أصحاب فكرة ألوان العلم الأردني الحالي على الشريف حسين الذي كان يعتمد العلم الأحمر (علم أبي نمي) أحد جدود الأشراف.

ومعروف أن رشيد رضا كان شبه مستشار ووزارة إعلام للملك عبد العزيز بن سعود، كما كان للعلماء السلفين مساعي حميدة في الإصلاح بين ملوك العرب في الجزيرة وهم: الشريف حسين بمكة، والملك عبد العزيز بنجد، والإمام يحيى باليمن، ومحاولة توحيد وجمع كلمتهم.

وكان لعلماء جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر تواصل دائم مع

حكام مصر كالملك فؤاد والملك فاروق وعبد الناصر والسادات عبر اللقاء أو المكاتبة، وثقها عادل السيد في كتابه «الحاكمية والسياسة الشرعية».

٣- كما أن بعضهم ذهب للمنظمات العالمية كعصبة الأمم للدفاع عن قضايا المسلمين في فلسطين وسوريا والمغرب وغيرها، وبعضهم دخل في صراعات سياسية كبرى مع المحتلين الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين للحفاظ على الهوية الإسلامية واللغة العربية.

كما أننا يجب أن لا نغفل عن تجربة سياسية مهمة وهي تجربة الشيخ صديق حسن خان وهو العالم السلفي الذي تولى حكم مملكة بهوبال في الهند نيابة عن زوجته تحت سيطرة الإحتلال الإنجليزي لمدة ١٠ سنوات، وهي تجربة تستحق الدراسة والبحث.

٤- ولبعض الجمعيات السلفية مشاركة سياسية واضحة، ففي باكستان هناك نواب سلفيين من منتصف السبعينات، وفي الكويت شاركوا في بداية الثمانينيات ثم أصبح لهم وزراء، وفي السودان لهم نواب ووزراء منذ التسعينيات، وكذلك في البحرين، وقد بدأ السلفييون في مصر واليمن بالمشاركة السياسية عبر تشكيل الأحزاب وتقديم رؤيتهم للمستقبل السياسي.

فهذه بعض المحطات المهمة من تاريخ النشاط السلفي السياسي وهو تاريخ يحتاج مزيد من البحث والتوثيق والنشر.

ونختم بتوضيح سبب بُعد السلفيين عن السياسة في العقود الأخيرة، فبعد أن قام السلفيين وغيرهم بواجبهم للتحرر من الإستعمار قطف الثمرة التيار العلماني وخاصة الشيوعي، وقام بإكمال مهمة الإستعمار بإقصاء ومحاولة القضاء على التيار الإسلامي

كما حصل في الجزائر ومصر وسوريا والعراق وتركيا، ولذلك أثر السلفيين وغيرهم البعد عن السياسة، وهذا الموقف المبكر بالبعد عن السياسة هو نفس الموقف الذي يمدح عليه تيار فتح الله كولن في تركيا اليوم ويذم عليه السلفيين!! وهو نفس النتيجة التي وصل لها المرشح الرئاسي المصري اليوم عبد المنعم أبو الفتوح حين طالب جماعته الإخوان المسلمين بترك العمل السياسي العام الماضي!!

وهذا التوضيح يساعدنا على فهم حقيقة موقف الشيخ الألباني من السياسة، ولعل تصريح الشيخ علي الحلبي المثير للجزيرة نت بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٠ يبين موقف الألباني بوضوح حيث قال: «أن الشيخ الألباني لم يكن يوماً إلا مع إجازة المشاركة بالانتخابات فيما كان بعض تلامذته من طلاب العلم يخالفونه بأدب ... ونتيجة للتطور الفكري وتقديراً من باب المصلحة العامة فإننا عدنا لنتفق مع رأي الشيخ الألباني في جواز الانتخاب للمجالس النيابية»، وهو يتفق مع شهادة الشيخ زهير الشاويش -رفيق الألباني في دعوته سنين طويلة- في مراجعاته على قناة الحوار، بأن الألباني في سوريا كانت له قائمة انتخابية يقترح على طلابه تأييدها في الإنتخابات، وهو ما سار عليه الشيخ حتى وفاته فقد كان يفتي باختيار الأصلح من المرشحين.

ولكن بعد أن شهدت سوريا العديد من الإنقلابات في حقبة الستينات والسبعينات، رأى الألباني: «أن من السياسة اليوم ترك السياسة» وما يفعله البعض من حذف كلمة (اليوم) خطأ كبير، فالألباني يقصد أن مجموعته وطلابه ليسوا في مرحلة أولوياتها

السياسة، لا أن السياسة ليست من دعوته، ويؤكد هذا قوله: «ليس أواننا هذا أوان الاشتغال بالسياسة فالسياسة تأتي فيما بعد» وقال: «لا تقوم دعوتنا على الإعراض عن السياسة، بل تقوم على البدء بالأهم فالأهم»، ولذلك من دقة الألباني أنه جعل هذا الموقف موقف سياسي وليس شرعي!! فالحامل على ترك السياسة في تلك المرحلة هو السياسة وليس الدين بسبب دكتاتورية ودموية حزب البعث، وكون دعوته السلفية في طور النشأة، وجعل هذا الموقف مقيد بمرحلة زمنية (اليوم)، ولكن جاء فيما بعد من أراد أن يجعل هذا الموقف موقف عام يستغرق الزمان والمكان فحذف قيد (اليوم)!!

وهذا هو الذي يحدث الآن في مصر واليمن، تغيرت الظروف السياسية التي كانت تجعل من المشاركة السياسية نوع من العبث وتضييع الجهود لمرحلة يظن أن المشاركة سيكون لها مردود حقيقي في الواقع السياسي، كما أن الدعوة السلفية فيهما أصبح لها واقع مؤثر من ناحية الكيف والكم والانتشار.

السياسة التي يدعو إليها السلفيون

«الغد» ٢١/ ١٠/ ٢٠١١

يواجه السلفيون اليوم حملة تشويه منظمة من قبل جهات متعددة بسبب حضورهم الكبير والذي ظهر بسبب سقوط جدران الكبت والقمع، ومما يساعد على هذا الهجوم أن وسائل الإعلام مطمئنة إلى أن الهجوم على السلفيين لايزعج أحداً من أصحاب النفوذ الداخلي أو الخارجي بل قد يكون «سبوبة» بالتعبير المصري للحصول على مكاسب مالية ومعنوية، تخيل لو أن السلفيين احتلوا عاصمة عربية كما فعل حزب الله في بيروت، أو عطلوا إنتاج النفط والتعليم والمطار كما فعل شيعة البحرين، أو هاجموا التلفزيون المصري وأطلقوا النار على الجيش كما فعل بعض الأقباط في مصر، لَما تم معاملتهم مثل تلك القوى التي سرعان ما تحصل على عفو وتكريم من قبل قادة البلاد وتعود للمشاركة في الانتخابات!! وهنا يثور تساؤل: هل يمكن أن يطمح السلفيون والإسلاميون عموماً بالتعامل معهم باعتبارهم قوى وطنية محترمة حتى لو أخطأ بعض أفرادهم التصرف أحياناً؟؟

من حملة التشويه القائمة ضد السلفيين الزعم بأنهم يريدون إقامة دولة دينية (يقصدون دولة ثيوقراطية)، وهم يتلاعبون لذلك

بالمصطلحات، فالدولة الإسلامية أو الدينية في المفهوم والتجربة الإسلامية تناقض مفهوم الدولة الدينية/ الثيوقراطية في التجربة الأوربية، ومن ينكر ذلك فهو إما جاهل أو مغرض.

ولمّا كانت الرؤية الإسلامية ومنها الرؤية السلفية للدولة والسياسة تقوم على النظرة الإسلامية للإله والكون والإنسان والتي تنطلق من أن الله عز وجل هو خالق الكون ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، وأن هذا الخلق له غاية وهدف: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الملك: ٢]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، بخلاف الرؤية العلمانية المادية التي لا تعترف بخالق ولا غاية ولا هدف سوى الصراع للبقاء والانتصار للقوي.

من هنا فإن السياسة الإسلامية التي يدعو إليها السلفيون تخالف السياسة العلمانية فهي لا تقوم على المصلحة فحسب والممكن فقط، بل تقوم على المصلحة الحقّة، والممكن في إطار الشرع والأخلاق والتي لا تقتصر على الدنيا بل تشمل الآخرة، ولذلك فإن تعريف المسلمين للسياسة يُظهر هذا الفرق، قال أبو البقاء الكفوي (ت ١٦٨٣م): السياسة «هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل،.. وتدبير شؤون المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة»، ويكشف د. محمد عمارة أبعاد هذا التعريف بقوله: «فهي ليست مطلق طلب الصلاح والمصلحة الدنيوية والعاجلة.. بل الصلاح والمصلحة التي تجعل نجاة الدنيا محققة لنجاة الآخرة.. وهي ليست مطلق تدبير المعاش وتنميته وفق المعايير الدنيوية وحدها، بل التدبير المحكوم بمعايير سنن العدل والاستقامة،

والتي وضعها الخالق لخليقته إطاراً وفلسفة حاكمة لسياسة العمران».

ولأن السياسة الإسلامية لا تقتصر على شؤون الدنيا كحال السياسة العلمانية المعاصرة ينبّه ابن تيمية على أن «المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا. وإصلاح ما لا يقوم الدين به من أمر دنياهم».

وهنا فإن السلف الصالح كان يدرك حاجة المسلمين والناس للدولة ولو كانت فاجرة، فها هو الصديق رضي الله عنه يقول: «لابُد لهذا الأمر – أي الإسلام – من قائم يقوم به»، وها هو الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «لابُد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة»، فقيل: يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ فقال: «تقام بها الحدود وتُؤمن بها السبل ويجاهد بها العدو ويقسم الفيء»، ويقرر ابن تيمية «أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها».

والقرآن الكريم نزل بأصول السياسة الإسلامية في العديد من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٨-٥٩] والآية الأولى يسميها العلماءُ آيةَ الأمراء لأنهم أُمروا بأداء الأمانات، والآية الثانية نزلت في حق الرعية بأمرهم بطاعة أولي الأمر، وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) لشرح هاتين

الآيتين وبيان ما فيهما من أصول السياسة الشرعية من «أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة»، ويبيّن ابن تيمية أن أداء الأمانة يشمل أمرين:

الأول: وجوب تعيين الأصلح من الولاة والمسؤولين بكافة مستوياتهم، وأنه حين لا تتوفر المواصفات المثالية في المسؤولين يُنظر في الأنفع للمسلمين ففي الأمور المالية يُقدم الأمين على الشجاع وفي الأمور العسكرية يقدم العسكري الشجاع على العالِم التقي وهكذا، وهذا لا يكون إلا إذا عرفنا مقصود كل مسؤولية والتي يسمونها اليوم التوصيف الوظيفي، أي الوصول للمناصب بحسب الكفاءة والقدرة.

والأمر الثاني من أداء الأمانة الواجبة على الحاكم هو: حفظ أموال الأمة والناس والتي تشمل الأعيان كالأراضي والجواهر وتشمل الأموال، فعلى الحاكم ونوابه أن يكونوا أمناء في تحصيل وحفظ أموال الأمة كأموال الزكاة والعشور وغيرها ويجب عليهم توزيعها بالعدل على مستحقيها، كما يجب على الرعية تأدية ما عليهم من حقوق للدولة دون غش أو خداع.

أما الحكم بالعدل وهو القسم الثاني من السياسة الشرعية فهو يشمل الحكم بين الناس في الحدود والحقوق التي لله والتي للناس بما أنزل الله لأنه أعدل العادلين وشريعته هي التي تحقق مصلحة الناس، كما شهد العالم للتاريخ الإسلامي.

ويختم ابن تيمية كتابه بالتذكير بأهمية الشورى في السياسة الشرعية وأنه «لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله سبحانه

وتعالى أمر بها نبيه ﷺ» وطبعاً الشورى تكون فيما لا نصّ فيه.

والسياسة الشرعية في المفهوم السلفي تقوم على الكتاب والسنة والاجتهاد، لأن القرآن والسنة جاءا بأصولها وتُرك باب الاجتهاد مفتوحاً أمام المجتهدين لمواجهة مستجدات الحياة، وهي تقوم على كل ما يصلح شؤون الناس بما لا يعارض الشريعة، فقد نقل ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) عن ابن عقيل قوله في مناظرة له: «السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإنْ لم يشرعه الرسول، ولا نزل به وحيٌ. فإنْ أردتَ بقولك: (لا سياسة إلاَّ ما وافق الشرع)؛ أي: لم يخالف ما نطق به الشرع؛ فصحيح، وإنْ أردتَ لا سياسة إلاَّ ما نطق به الشرع؛ فغلط، وتغليط للصحابة»، وقال ابن القيم: «فلا يقال: إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع، بل هي موافقة لما جاء به، بل جزء من أجزائه، ونحن نسميها سياسة تبعاً لمصطلحهم، وإنما هي عدل الله ورسوله.

وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل وكل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل كل ذلك ينقسم إلى قسمين: صحيح وفاسد، فالصحيح قسم من أقسام الشريعة لا قسيم لها، والباطل ضدها ومنافيها، وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها» (الطرق الحكمية).

هذه هي أصول السياسة الشرعية التي يدعو إليها السلفيون، والتي جربها المسلمون والعالم أكثر من ألف سنة فكانت خيراً وبركة على البشرية بقدر ما التزموا بها، والتي تفاعل معها العلماء فأنتجوا في عصور ازدهار الاجتهاد حلولاً مبدعة لقضايا عصرهم.

حوار حول السلفية(١)

العرب اليوم الأردنية ١٣/ ١١/ ٢٠١١

س- هناك لبس كبير في فهم الكثير من الناس للتيار السلفي بصورة عامة.. عندما نقول التيار السلفي ماذا نقصد به؟

المقصود بالدعوة السلفية هو الالتزام بالوحي الإلهي المحفوظ والمتمثل بالقرآن والسنة النبوية الصحيحة، وفهمهما بحسب ما فهمه السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين رضي الله عنهم، لأن الجيل الأول جيل صحابة النبي ﷺ الذين رباهم النبي ﷺ بنفسه هم أفضل وأشرف الأمة الإسلامية ولذلك شرّفهم الله بصحبة نبيه، وبسبب فهمهم المتميز للإسلام والتزامهم الكامل به تمكنوا من نشر الإسلام في ٩٠ سنة فقط، من مكة والمدينة إلى حدود الصين شرقا وأسوار فرنسا غربا، وأقاموا حضارة في غاية الرقي والكمال لا يزال العالم يشيد بها.

والسلفيون يعتقدون أن فهم الصحابة رضوان الله عليهم للإسلام هو الفهم الصحيح وأي فهم لاحق لهذا الفهم بما يتناقض معه فهم خاطىء لأنه يلزم منه أحد أمور باطلة هي: أن النبي ﷺ لم ينجح في شرح وتعليم الإسلام

---

(١) لم تنشرها العرب اليوم كاملة، ونشرت أجزاء منها البيان الإماراتية في ٥/ ١١/ ٢٠١١، والذي اجرى اللقاء هو الأستاذ لقمان اسكندر.

لأصحابه، وهذا ضلال! أو أن الصحابة الذين مدحهم الله عز وجل بالإيمان في القرآن لم يتمكنوا من فهم الإسلام، وما نقلوه للأمم الأخرى هو خطأ صحّحه أناس لاحقون لم يتعلموا ذلك من النبي ﷺ، وهذا اتهام للإسلام بالنقص! كما أنه يتضمن تكذيب خبر الله عز وجل ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولذلك قال الإمام مالك: (ما لم يكن في ذاك اليوم ديناً فلن يكون اليوم ديناً).

ومنهج الدعوة السلفية في فهم الإسلام يقوم على ثلاث قواعد كبرى:

١- تقديم الوحي الرباني (القرآن والسنة الصحيحة) على مقررات العقول، لأن الاعتماد على منتجات العقول في قضايا الاعتقاد لا يتولد عنه إلا الفوضى، فرغم آلاف السنين لم يتفق مدعو مرجعية العقل على رؤية موحدة، ويكذب بعضهم بعضا، فالادعاء باعتماد العقل في قضايا الاعتقاد هو كذبة كبرى لأن العقل غريزة فطرية وليس جوهرا قائما بنفسه يصح جعله معيارا يرجع الجميع إليه.

٢- رفض التأويل الكلامي للوحي الإلهي، والمقصود هنا هو التأويل الذي لا يستند إلى دليل ويخالف قواعد اللغة العربية، لأن الله عز وجل أنزل القرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] من أجل أن يعقله الناس ويفهمونه، فإذا ما حوّلنا الوحي الرباني عن ظاهره دون وجه حق من أجل شبهات ساقطة فكأننا لا نؤمن أن القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ مما يضطرنا إلى أن نخرجه عن معناه ليوافق هذه الشبهات، ولذلك وجدنا المتكلمين حينما أوّلوا بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات الإلهية طالبهم

الفلاسفة بتأويل آيات أخرى كآيات الجنة والنار ويوم القيامة وهكذا، ولكن المتكلمين رفضوا تأويل هذه الآيات لأن تأويلها بطريقة الفلاسفة يبطل الإسلام كله ويجعله عبارة عن فكرة عبثية لاقيمة لها، وهذا التأويل هو سلاح خصوم الإسلام اليوم من غلاة الماركسيين والعلمانيين الذين يزعمون أنهم يقدمون قراءة عصرية للإسلام، والحقيقة هي أنهم يسوّقون الكفر للمسلمين لكن بـ (سولفان) فيه بقايا إسلام.

٣- اعتماد طريقة السلف في فهم الإسلام، حيث يلتزمون بالوحي في باب الأخبار كقضايا العقيدة والإيمان وقصص الأنبياء والسابقين وأخبار آخر الزمان والعبادات، ولكنهم يقومون بالاجتهاد في ما يستجد من أحوال الناس بما يتماشى مع المقاصد الشرعية، ولذلك فإن السلفيين عبر التاريخ هم رواد الاجتهاد والتجديد وأعداء الجمود والتعصب.

والفقه السلفي لا يتقيد بمذهب محدد بل ينفتح على جميع المذاهب، ولأنه يراعي المقاصد الشرعية، لا قواعد مذهب بعينه والتي هي قواعد بشرية فإن فقه أئمة السلف فقه فيه سعة ويسر، ومعلوم أن مذهب الإمام أحمد، وهو من كبار علماء السلف، هو أوسع المذاهب الفقهية الأربعة، كما أن كثيراً من الفتاوى العصرية التي تهدف للتوسيع على الناس تكون من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمة كفتوى عدِّ الطلقات الثلاثة في مجلس واحد طلقة واحدة.

ومن هذا يتضح أن الدعوة السلفية هي منهج للفهم وليست جماعة أو تنظيماً أو حزباً، ولذلك فالسلفية تتواجد في غالب المذاهب الفقهية والجماعات بحسب التزام الإنسان بهذا المنهج. هذا موجز

حول الدعوة السلفية ومنهجها.

س- ماذا عن تصنيفات التيار السلفي؟ هل نحن أمام تيارات وليس أمام تيار واحد؟

الأصح أن نقول اجتهادات متنوعة، فالسلفيون متفقون في باب العقائد ومنهج تلقي الإسلام، ولكن قد تختلف اجتهاداتهم في بعض القضايا الفقهية الكبرى أو الفرعية، وغالباً ما يكون خلافهم في ما يسميه الأصوليون (تحقيق المناط) وهو تصور المسألة وتكييفها.

وأكبر مسألة يختلف حولها السلفيون - وجماعات العنف والتطرف كالقاعدة خارج بحثنا أصلا - هي منهج الدعوة والتغيير المعاصر، مثل قضايا شرعية تكوين الجمعيات والجماعات والأحزاب، وحكم المشاركة السياسية سواء عبر العمل البرلماني أو العمل العام فقط، وطريقة التعامل مع السلطات الحاكمة بأنواعها المختلفة وجماعات المعارضة الإسلامية وغير الإسلامية.

س- استندت بعض الأنظمة العربية على السلفيين في شرعنة وجودها ومنها النظام السعودي، التيار الوهابي السلفي. ولا يحضرني نظام آخر تمكن من إحتواء السلفيين غيره.. ولكن تحاول معظم الأنظمة العربية تشكيل تيارات سلفية لها تدعمها وتدعم شرعيتها وإن كانت بدرجات أقل..

قبل الجواب عن سؤالك لابد من بيان أن السلفيين متحيرون من تناقض مواقف مخالفيهم في هذه المسألة، فالبعض يتهم السلفيين بعدم الاعتراف بشرعية السلطات والحكومات ويجعل ذلك علامة على خطورة الدعوة السلفية وأنه لابد من أن يصرح السلفيون

بوضوح عن قبولهم بشرعية الأنظمة الحاكمة، وبالمقابل تجد أن البعض الآخر يتهم السلفيين بأنهم حلفاء للسلطات الحاكمة وأنهم ألعوبة بيدها ولابد لهم من التمرد على الحكومات وهو ما يستبطنه سؤالك!! والحقيقة لم يعد كثير من السلفيين يعرف كيف يرضيكم معشر الصحفيين!!

نعود لسؤالك: الدعوة السلفية لم تشرعن الدولة السعودية بمعنى أنه كانت هناك دولة سعودية وسعت للحصول على شرعية من خلال الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هذا خطأ لأن الدعوة السلفية التي قام بها الإمام ابن عبد الوهاب هي التي أقامت الدولة السعودية، ولذلك لا يزال قادة السعودية يعلنون أنها دولة سلفية.

أما قضية الاحتواء فهي نفس التهمة السابقة فالبعض يتهم علماء السلفية في السعودية بالمداهنة للنظام، وبالمقابل هناك حملات شرسة ضد هؤلاء العلماء واتهامهم بأنهم يعيقون عملية التحديث – بحسب الوصفة العلمانية – في السعودية والتي تنشدها السلفية، وبسبب هذه الحملات الشرسة حتى من داخل السعودية تمت إقالة بعض العلماء من مناصبهم الدينية والوظيفية.

والحقيقة أن هناك توافقاً بين الدولة والدعوة بسبب جذورهما السلفية في الكثير من القضايا وهو الأصل، وهناك تباينات في بعض القضايا بسبب بعض القوى غير السلفية في بعض مفاصل الدولة.

ولكن لماذا لا توجه التهمة والنقد للآخرين فهل هناك تيار لا تسعى الأنظمة لكسب وده؟

س- هناك من يرى أن للتيار السلفي دوراً مهماً في صراع الأنظمة العربية مع إيران الشيعية؟

هذا مفهوم منتشر لكنه مغلوط، فالأنظمة العربية في صراع مع إيران منذ أن بدأت إيران بتصدير ثورتها للخارج، لكن هذا الصراع كان بعيداً عن الإعلام بسبب أن الإعلام العربي بخلفياته اليسارية كان مؤيداً وداعما لإيران.

وإلا فهل محاربة صدام حسين لإيران، ودعم الملك الحسين للعراق في الحرب العراقية الإيرانية لدرجة أن يشارك بنفسه بإطلاق المدفعية في الحرب كانا ينطلقان من خلفية سلفية!!

وهل سعد الحريري وتيار ١٤ آذار ينطلقان من خلفية سلفية!!

الصحيح أن الدعوة السلفية بسبب تركيزها على الخلفيات العقائدية لأي قوة سياسية للحكم عليها والتعامل معها بناء عليها، بسبب هذا كان عندها وضوح في فهم حقيقة ثورة الخميني وسعة أطماعها وعدم تورعها عن الإرهاب والدموية في سبيل ذلك، ولهذا اصطدم السلفيون بدولهم والكثير من الجماعات الإسلامية لأنهم يحذرون من الخطر الإيراني.

ولقد تعرض كثير من العلماء والدعاة للأذي بسبب ذلك، ومن ذلك فصل الشيخ الحذيفي من إمامة الحرم المدني حين خطب منددا باعتداء الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رفسنجانى على قبر الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

الرؤية السلفية للخطر الإيراني تنطلق من رؤيتها الدينية التي

تستشعر خطورة إيران على دين الشعوب قبل أن تهدد عروش الحكام، واليوم مع انتشار الفضائيات والمواقع الشيعية رأى الناس بأنفسهم مواقف المتشيعين من السنة والعقائد الباطلة التي اعتنقوها بسبب إيران ووكلائها من سب الصحابة رضوان الله عليهم وأمهات المؤمنين وقبول عبادة غير الله عز وجل.

ولكن حين وصل الخطر الإيراني لمرحلة متقدمة ظهر للكثير من الدول العربية أن الرؤية السلفية كانت صائبة في التحذير من الخطر الإيراني.

س- ما هو الفرق التنظيري بين السلفيين الجهاديين والسلفيين الوهابيين؟

بداية اسم السلفيين الجهاديين اسم مضلل، فهم لا يسمون أنفسهم بذلك، والسلفية منهج متكامل فلا يصح أن تأخذ بعضه وتترك البعض، فهؤلاء الشباب أو الجماعات التي مارست العنف تخالف السلفيين في موقفهم من المسلمين حيث أن في هؤلاء الشباب والجماعات من يكفر عموم المسلمين أو الشرطة والجيش وهكذا، كما أنها تخالف السلفيين في منهج التغيير الذي يقوم عندهم على السلمية والعلنية مع المسلمين بينما هم يعتمدون السلاح والقتال.

ولذلك تجد أن هؤلاء الشباب والجماعات أكثر ما يهاجمون العلماء السلفيين لأنهم هم الذين يتصدون لهم، ولقد رأينا كيف أن الكثير من هؤلاء وعدة بلاد قد تخلوا عن منهجهم المنحرف وعادوا للمنهج السلفي بسبب مجالس ومؤلفات السلفيين المناصحة لهم.

س- أين يمكن وضع السلفيين داخل جماعة الإخوان المسلمين في هذه التصنيفات؟

هذا سؤال معكوس، لأن الأستاذ حسن البنا نشأ نشأة صوفية – الطريقة الحصافية – لكن بسبب اتصاله بعلماء سلفيين كانوا قادة عصرهم مثل العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المعروفة، والعلامة محب الدين الخطيب صاحب المكتبة السلفية ومطبعتها، بسبب هذه المعرفة والعلاقة فإنه تحرر من تقاليد الطريقة الحصافية وأسس جماعة الإخوان المسلمين، فالصواب أن نقول إن الإخوان هم الذين خرجوا من رحم الدعوة السلفية، لكن البنا أخذ مساراً مستقلاً فوصل الإخوان لما هم عليه، وهو ما عبر عنه البنا بقوله: (الإخوان المسلمون دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية..).

س- هل هناك فرصة للأردن باحتواء التيار السلفي الجهادي؟

نعم هناك فرصة لإرشاد هؤلاء الشباب لما فيه منفعتهم ومصلحتهم ومصلحة البلد، وهناك الكثير من البوادر في هذا الاتجاه، مثل رسائل المقدسي الأخيرة ومرافعة بعض المتهمين في قصة أحداث الزرقاء وتحولات أبو سياف، لكن أخشى أن يكون هناك من يعمل على تعطيل هذا كما حذّر من ذلك الصديق الدكتور محمد أبو رمان في دراسته الأخيرة عن هذا التيار.

س- ما هو مستوى قوة الانتشار والعلم للتيار السلفي الجهادي بين التيارات السلفية الأخرى؟

هذا التيار ليس واسع الانتشار، ولكنه يحظى بتغطية إعلامية

واسعة جداً لأنه يحقق مصالح أطراف أخرى مستفيدة من وجوده، وعلى رأسها الأجهزة الأمنية الدولية، كما أن إيران وإسرائيل مستفيدتان من هذا الحضور الإعلامي.

وأيضاً فإن هذا التيار يجيد استغلال الإعلام كما أن نشاطاته القليلة لها تأثيرات كبيرة.

أما على المستوى العلمي فهو مستوى متواضع، ولذلك تجد قادة هذا التيار يتخلون عن أفكارهم مثل د. فضل سيد إمام وقادة جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، ولكن لا تجد من علماء السلفية من يتحول إلى أفكارهم، واليوم فإن المناخ العام بسبب نجاحات الربيع العربي في التغيير فإن أفكارهم في اضمحلال، لكن التعنت في بناء نموذج سليم ورفض إعطاء الإسلاميين حقهم بالمشاركة بحسب نتائج الانتخابات يهدد بعودة هذا الفكر مرة أخرى.

س- لماذا لم يستطع السلفيون حتى اليوم من الظهور الجماهيري في أي من الدول العربية باستثناء ظهور السلفيين الجهاديين فقط. واليوم يلاحظ مد التيار السلفي غير الجهادي إن جاز التعبير في مصر؟

هذه مشكلة الإعلام الذي يبحث عن الإثارة وليست مشكلة السلفيين، السلفيون موجودون وبقوة لكنهم غير مهتمين بالإعلام والقضايا ذات الإثارة، مع ذلك يتابع الإعلام الحضور البرلماني والسياسي القوي للسلفيين في الكويت والبحرين والسودان؟

لماذا لم يهتم الإعلام بالسلفيين في مصر قبل الاستفتاء على التعديلات الدستورية؟ هل في يوم وُجد ملايين السلفيين؟

وكما قلنا إن تيار العنف والتطرف يحظى بتغطية إعلامية مميزة، فمثلا فتوى بالتكفير منه تجاه جهة ما تجد تغطية واسعة لكن جهود السلفيين بالرد عليهم لا تجد تغطية صغيرة فضلاً عن واسعة.

س- ما هي الدول المرشحة اليوم لتصبح ذات مد جماهيري في الشارع من حيث التيار السلفي؟

الدعوة السلفية لها حضور كبير في الكثير من الدول لأنها دعوة سلمية وتخاطب الفطرة، ومخطىء من يظن أن الحضور السلفي مقتصر على الشباب الملتزم بالسنن الظاهرة كاللحية والثوب أو الفتيات المنقبات، وإن تحسن الأوضاع في كثير البلدان سيساعد على ظهور الجمعيات والمؤسسات السلفية.

س- هل ستؤثر حالة الاعتدال الديني التي تنتشر بين الشعوب العربية - كما يرى - على إحداث مراجعات فكرية للتيار السلفي؟

أصلا حالة المراجعات التي قامت بها تيارات العنف إنما هي بفضل جهود الدعاة والرموز السلفيين، ولذلك فالسلفيون ليس لديهم ما يتراجعون عنه.

لكن هناك حالة من التواصل والبحث حول ما يتوجب القيام به بحسب تطورات الأوضاع، حيث يوجد مناخ مساعد على انخراط السلفيين أكثر في العمل العام والانفتاح على الآخرين والمشاركة في مسيرة البناء القادمة، وهناك دعوة واسعة لضرورة التواصل مع الإعلام وتبديد الصورة المزيفة عن الدعوة السلفية من خلال بيان مواقف السلفيين من كثير من القضايا التي يثيرها الإعلام الموجّه.

كما أن هناك عملاً جاداً لتقديم سلوك سلفي منضبط بالشرع والقانون في مشاركتهم السياسية والعامة، كما في تصريحات قادة السلفيين في مصر بعدم استخدام المساجد في الدعاية الانتخابية وميثاق الشرف الانتخابي المصري الذي دعا له بيت الخبرة المصري.

س- باستثناء التيار السلفي الجهادي.. هل أجرى تيار سلفي آخر مراجعات فكرية على نفسه؟

كثير من التجمعات السلفية أعادت النظر بموقفها من العمل الجماعي وتكوين الجمعيات والمؤسسات وكذلك الموقف من العمل السياسي والبرلماني فشهدنا إنشاء مجموعة من الأحزاب السلفية ودفع مرشحين للانتخابات، كما أن هناك دراسات وأبحاثاً لم تنضج حول التعامل مع الآخرين والعلاقة بين العمل الدعوي والسياسي وهكذا.

حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في التغير ومبادئه السياسية(١)

سيرته:

* ولد محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ (الموافق من ١٧٠٣م)، وذلك في مدينة العيينة قرب الرياض.

* نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشأة علمية؛ فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق معرفته، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم، وكان يجالس بعض أقاربه من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم، وبيتهم في الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء سيما الوافدين باعتباره بيت القاضي، ولا بد أن يتخلل اجتماعاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

* تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وكان ذكيا سريع الحفظ، حتى بات وهو دون العشرين عالماً يأتيه الناس.

* زار الشيخ محمد مكة، فأدّى فيها فريضة الحج ثم قصد المدينة، وهناك لازم، فترة العالم ابن سيف، ثم توجّه إلى نجد فالبصرة، ثم عاد أكثر علماً ونضجاً.

---

(١) ورقة لم تنشر من قبل.

* كانت عودته من البصرة إلى حريملاء، التي كان والده قد هاجر إليها، وبقي هناك حتى وفاة والده سنة ١١٥٣ هـ، وفي حريملاء بدء دعوته الإصلاحية، ولكن بعد وفاة والده حاول بعض مخالفيه الإعتداء عليه فرحل إلى العيينة.

* في العيينة، استقبله عثمان بن معمر أميرها وسكانها بحفاوة. وزادت شهرته فأيّده كثيرون في مناطق مجاورة وبعيدة، كما عاداه كثيرون أيضاً، ومنهم أمير الإحساء الذي ألّب بعض زعماء العيينة ضدّه، وحين قويت الحملة ضده، غادر البلدة إلى الدرعية.

* في الدرعية بايعه أميرها محمد بن سعود على دين الله ورسوله وعلى الجهاد في سبيله وإقامة احكام الشريعة. ومن الدرعية انطلقت دعوة التوحيد قوية، تجمع الأنصار وتحارب الضالين.

* كانت الحروب بقيادة ابن سعود وابن عبد الوهاب ضد أمير الرياض وأمير الإحساء وغيرهما، حتى توطّد الحكم الصالح لمحمد بن سعود، ومن ثم لابنه عبد العزيز. وكان الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو المستشار الدائم، الذي يفصل في الخصومات. ويفتي في العلاقات السياسية وفي المعاهدات لأنه أعلم بالدين وبالأحكام.

* توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة (١٢٠٦ هـ، ١٧٩١م) بقرب من الرياض، وتوفي ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، فلم يقسم بين ورثته مال.

حقيقة دعوة محمد بن عبد الوهاب:

* ليس لمحمد بن عبد الوهاب دعوة خاصة، بل هي دعوة الإسلام الحق، ومنهجه هو منهج الإسلام. ولكثرة الأكاذيب

والأباطيل التي روجها معارضيه من المبتدعة وأهل الأهواء الذين يتكسبون من وراء ترويج البدع والخرافات من خلال تلقى التبرعات والهبات والنذور عند الأضرحة والقبور، قام أهل القصيم بتوجيه سؤال له عن حقيقة دعوته ومنهجه فأجابهم: (لست ولله الحمد أدعوا إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعوا إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم وأرجوا أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي حاشا رسول الله صلى الله عليه فإنه لا يقول إلا الحق..).

فالشيخ لم يبتدع سنة جديدة وإنما سلك مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في الفروع، أي قواعد الدين العملية والشخصية والتنفيذية التي يصحّ فيها اختلاف العلماء لأنها موكلة إلى المجتهدين منهم، أما الأصول، أي العقائد وأسس الأحكام فهو فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، لا يحيد عنها.

* من أهم المسائل التي دعا إليها صرف جميع أنواع العبادة لله وحده، ومنع التوسّل والإستعانة والاستغاثة بغير الله، ومسألة الشفاعة، ومسألة الغلوّ في أهل القبور، وتحريم المسكرات والدخان.

قالوا في الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

*** قال فيه العلامة محمد كرد علي:** «وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هداهم من الضلال، وساقهم إلى الدين السمح، وإذا بدت

شدّة من بعضهم فهي ناشئة من نشأة البادية، وقلّما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم، وقد اختبرنا عامتهم وخاصتهم سنين طويلة فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد غلوة، أما الغزوات التي يغزونها فهي سياسية محضة، ومذهبهم برئ منها، وما يتهمهم به أعداؤهم زور لا أصل له».

* **وقال طه حسين:** «أن هذا المذهب الجديد قديم، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر، لأنه ليس إلاّ الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصاً لله وحده، ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس، هو إحياء للإسلام العربي وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل من نتائج الإختلاط بغير العرب».

* **ويقول عباس محمود العقاد:** «سرعان ما ظهرت دعوة ابن عبد الوهاب بجزيرة العرب حتى تردّد صداها في البنغال سنة ١٨٠٤... ثم تردد صدى الدعوة الوهابية بعد ذلك بزعامة السيد أحمد الباريلي في البنجاب... ولم تقف آثار الدعوة الوهابية على القارّة الهندية فحسب، بل تجاوزتها إلى جاوا وأقصى الجزر الهندية الشرقية (إندونيسيا) وفي أفريقيا كان للدعوة أثر بليغ، ففي أواخر القرن الثامن عشر نشطت الدعوة وانتشرت في بعض بلدان أفريقيا: في السودان ونيجيريا وغيرهما».

* **الأستاذ أنور الجندي** يرى أن أبرز معطيات هذه الدعوة المباركة تتمثل في عملين كبيرين:

أولهما: أنها فتحت باب الاجتهاد في الفروع بعد أن ظل مغلقاً منذ سقوط بغداد في سنة ٦٥٦هـ.

وثانيها: ضرورة القيام بواجب الجهاد، وإحياء هذه الفريضة التي أصابها الوهن، فكانت الدّعوة ثورية عارمة على الاستبداد والضعف والانحلال الذي آل إليه العالم الإسلامي.

* ــ **يقول الدكتور وهبة الزحيلي** إن «أجرأ أصوات الحق، وأكبر دعاة الإصلاح، والبناء والجهاد لإعادة تماسك الشخصية المسلمة وإعادتها لمنهج السلف الصالح: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري، لتجديد الحياة المسلمة، بعد ما شابها في أوساط العامة من خلافات، وأوهام، وبدع، وانحرافات، فكان ابن عبد الوهاب بحق، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية المنتظر، الذي أظهر موازين العقيدة الشرعية الناصعة، وأبان حقيقة الوحدانية والوحدة والتوحيد الخالص لله عز وجل، وأن العبادة هي التوحيد، وحوّل الشراع رأساً على عقب، للعمل الكامل بالقرآن والسُنّة... فكانت أعمال ابن عبد الوهاب وثبة جبارة، وقفزة رائعة لتصحيح خطأ الناس في العقيدة والعبادة، في وسط شوهت فيه مبادئ الإسلام ومناهجه».

منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التغيير:

منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو نفس منهج السلف الصالح في التغيير والذي يقوم على نشر العلم والعمل بتوحيد الله عز وجل وإتباع النبي ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بالضوابط الشرعية، من العلم والحكمة وعدم إحداث ضرر أكبر، والتزام طاعة ولي أمر المسلمين في الحق، ونصحه ومعاونته.

قال الشيخ في رسالته لأهل القصيم: «وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برّهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه».

وجعل طاعة ولاة الأمر أحد الأصول الستة في رسالته «ستة أصول عظيمة مفيدة»، وقال أيضاً: «أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمّر علينا ولو كان عبداً حبشيّاً».

وهو في هذا متمسك بنصوص الوحي من القرآن والسنة التي تحث على الإجتماع والوحدة وتنهي عن الفرقة والتشتت، وتأمر بالسمع والطاعة للحاكم المسلم، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وقول النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». متفق عليه، وقوله ﷺ: «تسمع وتُطيع للأمير، وإن ضُرِبَ ظهرُك وأُخذ مالُك، فاسمع وأطع».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمَهُ اللهُ-: «وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه ؛ من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً، ومن سيرة غيرهم». مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٢).

ولـذلك كـان منهجـه التعـاون مـع الحكـام لإقامـة ديـن الله عـز وجـل، يقـول د. علـي الـصلابي «لقـد أخـذ الـشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب بالـسنن لـتمكين ديـن الله تعـالى، فـنلاحظ في دعوتـه أخـذه بـشروط الـتمكين ودعـوة النـاس وتـربيتهم عليهـا مـن الإيمـان بـالله، والعمـل الـصالح، وتحقيـق العبودية ومحاربـة الـشرك، وتقـوى الله تعـالى، وأخـذه بأسـباب الـتمكين ويظهـر حرصـه علـى الأخـذ بالأسـباب في تحالفه مع الأمير محمـد بـن سـعود الـذي وظـف جيـشه، وحكومتـه ومالـه وسـلاحه، ورجالـه لخدمـة الـدعوة، ومـرت الـدعوة بالمراحـل الطبيعيـة مـن التعريـف بهـا وإعـداد مـن يحملـها، ومغالبـة أعـدائها والـتمكين لهـا، ومر الشيخ بـسنة الابـتلاء، ومـارس سـنة التـدرج، وشـرع في الأخـذ بـسنة تغـيير النفـوس، واسـتخدام سـنة التـدافع بـين الحـق والباطـل، ولم يـترك سـنة الأخـذ بالأسـباب، وهـذا كلـه يـدخل تحـت فقـه الـتمكين الـذي مارسه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله».

فلم يكن الـشيخ باحثـاً عـن رئاسـة وزعامـة، بـل عـن أمـير يتعـاون معه لنصرة الدعوة الإصلاحية.

ويؤكـد د.بـسام العمـوش علـى أن منهجيـة الـشيخ محمـد بـن عبـد الوهاب هـي «أن يطـرق بـاب النـصرة فقـد طرقهـا الـشيخ حينمـا عـرض على أمـير منطقتـه الـدعوة وطلـب إليـه نـصرتها، وهـذا سـير علـى هـدى النبـي ﷺ الـذي عـرض نفـسه علـى القبائـل وعلـى أهـل الطـائف وعلـى أهل المدينة فكان الأخيرون ناصرين لدين الإسلام ودعوته».

المبادئ السياسية في فكر الشيخ:

قـام الأسـتاذ محمـد الـسكاكر ببيـان أهـم المبـادئ الـسياسية الـتي

قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن الوهاب كما يلي:

١- أن طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية الله.

٢- تحريم الخروج على السلطان المسلم.

٣- يجب على ولاة الأمر نصرة الإسلام،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- السلطان مسؤولية رعاية المجتمع وحفظ أمنه وأمواله.

٥- على السلطان حسن اختيار مساعديه وقضاته.

لقد شكل موضوع التعامل مع الحكام جزء كبير من تراث دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لما لهذا الأمر من أهمية بالغة، مر معنا أقوال الإمام: « وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه».

وقال: «وقد أمر رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدًا حبشيًا » وقال مبينًا أن عدم السمع والطاعة لولاة الأمور من خصال الجاهلية: «وقد أمر [ص-١٣٩] رسول الله ﷺ بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك، وأبدى فيه وأعاد».

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن: «ونرى وجوب السمع والطاعة، لأئمة المسلمين، برهم، وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية، ونرى هجر أهل البدع، ومباينتهم، ونرى أن كل

محدثة في الدين، بدعة».

وكذلك عقيدتهم في الجهاد مع أئمة المسلمين، فإنهم يلتزمون في ذلك وصية النبي ﷺ، وما عليه السلف الصالح، من مشروعية الجهاد مع ولاة المسلمين أبرارًا كانوا أو فجارا.

قال الإمام: «وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام برا كان أو فاجرا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة».

التشويه السياسي لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قديما:

لكن أعداء الشيخ وخصوم دعوته لا ينفكون عن إلقاء الشبه والاتهامات حول منهجية الشيخ وسياسته مع الحكام، ومن ذلك أن الشيخ كان خارجاً على الحكام في الجزيرة العربية وعلى السلطان العثماني!!

ويكفي لبيان بطلان هذه الفرية مطالعة الرسالة التي أرسلها الشيخ محمد عبد الوهاب مع الوفد الذي بعثه إلى الشريف أحمد بن سعيد شريف مكة، وكان على رأس هذا الوفد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين، وكان مع هذا الوفد هدايا وتحف كثيرة.

جاء في رسالة الشيخ ابن عبد الوهاب للشريف أحمد بالنص: «المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين، وأعز به دين جده سيد الثقلين أن الكتاب لما وصل إلى الخادم «يعني نفسه»، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها، وعداوة من خرج، وهذا هو الواجب على ولاة الأمور، ثم يقول في ختام رسالته: فإذا كان الله سبحانه قد

أخـذ ميثـاق الأنبيـاء إن أدركـوا محمـداً ﷺ علـى الإيمـان بـه ونـصرته، فكيف بنا يا أمته؟ فـلا بـد مـن الإيمـان بـه، ولا بـد مـن نـصرته، لا يكفـي أحـدهما عـن الآخـر، وأحـق النـاس بـذلك وأولاهـم أهـل البيـت الـذي بعثـه الله مـنهم، وشـرفهم علـى أهـل الأرض بـه، وأحـق أهـل البيـت بـذلك مـن كـان مـن ذريتـه ﷺ، وغـير ذلـك يعلـم الـشريف أعـزه الله أن غلمانك من جملة الخدام، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته».

فـإذا كـان الـشيخ يجعـل نفـسه مـن جملـة خـدام الأشـراف، فكيـف يكون خارجاً على السلطان؟!

وأيـضاً هنـاك سـؤال مهـم يطـرح نفـسه هـو: هـل كانـت «نجـد» موطن هـذه الـدعوة ومحـل نـشأتها تحـت سـيطرة دولـة الخلافـة العثمانيـة، حتى تعد دعوة الشيخ خروج عليها؟

يجيـب الـدكتور صـالح العبـود علـى هـذا فيقـول: «لم تـشهد» نجـد «علـى العمـوم نفـوذا للدولـة العثمانيـة فمـا امتـد إليهـا سـلطانها ولا أتـى إليهـا ولاة عثمـانيون ولا جابـت خـلال ديارهـا حاميـة تركيـة في الزمـان الـذي سـبق ظهـور دعـوة الـشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب رحمـه الله وممـا يـدل علـى هـذه الحقيقـة التاريخيـة اسـتقرار تقـسيمات الدولـة العثمانيـة الإدارية فمـن خـلال رسـالة تركيـة عنوانهـا: «قـوانين آل عثمـان مـضامين دفـتر الـديوان»، يعـني: «قـوانين آل عثمـان في مـا يتـضمنه دفـتر الـديوان»، ألّفهـا يمـين علـي أفنـدي الـذي كـان أمينـا للـدفتر الخاقـاني سـنة ١٠١٨ هجريـة الموافقـة لـسنة ١٦٠٩م مـن خـلال هـذه الرسـالة يتـبين أنـه منـذ أوائـل القـرن الحـادي عـشر الهجـري كانـت دولـة آل عثمـان تنقـسم إلى اثنتين وثلاثين ايالة منها أربـع عـشرة ايالـة عربيـة وبـلاد نجـد ليـست منهـا

ما عدا الإحساء إن اعتبرناه من نجد.

ويقـول الـدكتور عبـد الله العثـيمين: «ومهمـا يكـن فـإن «نجـداً» لم تشهد نفوذاً مباشراً للعثمـانيين عليهـا قبـل ظهـور دعـوة الـشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب كمـا أنهـا لم تـشهد نفـوذاً قويّـاً يفـرض وجـوده علـى سـير الحـوادث داخلـها لأيـة جهـة كانـت فـلا نفـوذ بـني جـبر أو بـني خالـد في بعـض جهاتهـا ولا نفـوذ الأشـراف في بعـض جهاتهـا الأخـرى أحـدث نوعـاً مـن الاسـتقرار الـسياسي فـالحروب بـين البلـدان النجديـة ظلـت قائمة والصراع بين قبائلها المختلفة استمر حادّاً عنيفاً».

أمـا د.عجيـل النـشمي فيقـول: «لم تحـرك دولـة الخلافـة سـاكنا ولم تبـدر منهـا أيـة مبـادرة امتعـاض أو خـلاف يـذكر رغـم تـوالي أربعـة مـن سلاطين آل عثمان في حياة الشيخ».

التشويه السياسي لدعوة محمد بن عبد الوهاب حديثاً:

اسـتغل بعـض المبغـضين للإسـلام نفـسه أحـداث ١١/ ٩/ ٢٠٠١ لمهاجمـة الإسـلام ومهاجمـة الـدعوة الـسلفية، ولكـنهم اسـتخدموا الهجـوم علـى الوهابيـة كغطـاء لـذلك، فعملـوا علـى تـرويج الكـثير مـن الأباطيـل والأكاذيـب والافـتراءات في كتابـاتهم حـول الـدعوة الوهابيـة في مختلـف وسائل الإعلام.

لكن الحقيقة لا يمكن ان تختفي للابد بل لابد لها أن تظهر.

ولقـد انـبرى عـدد مـن البـاحثين لـرد هـذا الهجـوم وبيـان عـواره، ومن ذلـك مـا قامـت بـه الباحثـة الأمريكيـة «نـت»، والـتي حـصلت علـى درجـة الـدكتوراه مـن جامعـة «جـورج تـاون» حـول الـسيرة الفكريـة للشيخ «محمد بن عبد الوهاب».

حيث «نسفت» رسالتها العلمية الرصينة الأباطيل والاتهامات المغرضة، تقول الباحثة: «إن كل الذين حاولوا تشويه الدعوة الوهابية كانوا يعتمدون في معلوماتهم عن الوهابية على كتب الرحالة الغربيين، وهؤلاء الرحالة لم يلتقوا بالشيخ أو بأحد من أتباعه. ولم يقرؤوا شيئًا مما كتبه، لذلك ربطوا في كتاباتهم الدعوة الوهابية بحالة العنف التي تمارس اليوم، على رغم أنني وجدت أن فكر الشيخ ضد الإرهاب بكل أشكاله».

وأشارت الباحثة إلى كتاب «ستيفن شوارتز» عن الوهابية، كنموذج لحالة العداء الغربي للإسلام، والذي أصبح المؤلف بموجبه مدللاً من قبل وسائل الإعلام الغربية.

وتضيف الباحثة قائلة: 'لقد أدركت أن معظم الناس قد أساءوا فهم رسالة الشيخ، وبالأخص كتاب التوحيد على أساس أنه بيان حرب. لقد كان هذا الكتاب بحثًا مستفيضًا في مضامين التوحيد وعملاً علميًا رصينًا وليس دعوة إلى الحرب. إنه رسالة تناقش مسئوليات جميع المؤمنين. إن رسالته في الجهاد لم يقصد منها إلا وضع القيود على العنف والتدمير. لقد أكد على حرمة الحياة الإنسانية ودعا إلى المحافظة على حياة البشر، وقد اتجهت تعاليمه نحو تعليم المؤمنين العقائد الصحيحة عن طريق الدراسة المباشرة للقرآن والسنة. وكان اهتمامه كبيرًا بقضايا العدالة الاجتماعية والرعاية الاجتماعية، وقد أنصف النساء، وركز على حماية حقوقهن وعلى ضرورة التوازن في الحقوق والواجبات بينهن وبين الرجال.. إن ما كتبه عن النساء يقدم سابقة تاريخية حضارية قوية وينسف ما يحدث من ممارسات

اجتماعية سيئة ضد المرأة في العالم اليوم».

وقد تصدى د.ناصر العقل في كتابه «إسلامية لا وهابية» لرد دعوى التشدد والتكفير عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، فبين أن حقيقة موقف الشيخ من التكفير هو الإلتزام بالقواعد الشرعية التي اتفق عليها العلماء عبر القرون في قضايا التكفير.

- فهو لايكفر بالذنوب، كقوله «ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ولا أخرجه من دائرة الإسلام».
- وهو لايكفر عموم المسلمين بعكس ما يتهمه خصومه بالكذب، فهو يقول: «وأما القول أنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء.... ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم».
- وهو يعامل الناس على ظاهرهم، حيث قال في أهل البدع: «وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله».
- وهو يرى أن الجاهل معذور، ولا بد من إقامة الحجة والبرهان على المخالف، ولا يحكم بالظن على إنسان.

ويؤكد د.العقل على سلامة منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الغلو والتطرف، من خلال النموذج القائم أمام العالم أجمع، فالدولة السعودية بحكامها وعلمائها تقوم على منهج الشيخ ودعوته، وهي بهذا المنهج الذي تحمله تشارك بإيجابية واعتدال تجاه التزاماتها الدولية والإقليمية، حتى اصبحت السعودية ركنا من أركان الإعتدال والسماحة في المنطقة.

والجهاز الديني في السعودية بمؤسساته وقياداته هو الصف الأول في مقاومة فكر التطرف والعنف، وملايين الشباب السعودي الذي نشأ على فكر الشيخ ودعوته هو نموذج لسماحة الإسلام ووسطيته، ومن شذ عن ذلك ونهج سبيل الغلو، فهم إنما تأثروا بفكر غريب عن فكر محمد بن عبد الوهاب، ولذلك أول من يهاجمون ورثة منهج ابن عبد الوهاب وهم علماء السعودية!!

كما أن علماء السعودية اليوم هم موضع ثقة المسلمين في القضايا الكبرى، ولذلك حتى في مثل قضايا الغلو والتطرف فإن العالم كله يطمئن لفتوى علماء السعودية في ذلك، لما فيها من وضوح وصراحة بعدم جواز الإعتداء على الأرواح والأموال البريئة، وأن الإسلام لا يبيح للأفراد تطبيق الحدود أو إعلان الجهاد دون إذن الحاكم المسلم.

وبهذا كله يتضح أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس فيها جديد، بل هي حقيقة الإسلام وجوهره، وليس لها اطماع سياسية، بل هى تتعاون مع الحاكم المسلم لنشر العلم والأمن.

من دروس التاريخ (١-٣) في فقه الدعوة السلفية

«مجلة العصر» (٩/ ٦/ ٢٠٠٣)

إن التاريخ يحوي دروساً مهمةً لمن يحسن الاستفادة منها، وهذه الدروس يمكن لها أن توفر على الدعوة والداعية أحياناً كثيرة مراحل، وتجارب مريرة!! وصدق الشاعر حين قال:

اسألوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

ومن التاريخ المُغفل: تاريخ الدعوات السلفية في أنحاء الأرض قاطبة؛ حيث لا يوجد إلى الآن مرجع أو مراجع تُعنى بدراسة تاريخ الدعاة، والدعوات، والدول، والتجارب السلفية؛ قديماً وحديثاً، عربيّاً وإسلاميّاً.

وأريد أن أسلط الضوء على تجربة مهمة ومشهورة، لكن البعد التاريخي لها مقزم! وغير مدروس بشكل جيد، ألا وهي: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد.

وسوف أعتمد على مرجع معاصر ورسمي في الاستشهاد ببعض الأحداث التاريخية وقراءة محتواها، وسبب الاعتماد على هذا المرجع الوسيط هو الخروج من دائرة ودوامة الجدل حول إثبات هذه الوقائع والأحداث، لندخل إلى قراءة ما فيها من عبر ودلالات تنير الطريق للسائرين على خطى هذه الدعوة المباركة، والمرجع المقصود

هو كتاب «عقيدة الشيخ محمد عبد الوهاب، وأثرها في العالم الإسلامي» للدكتور صالح العبود، رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

الحدث الأول: مبايعة الناس للشيخ محمد عبد الوهاب:

ذكر الشيخ صالح العبود نقلاً عن ابن غنام (١٣٨/ ج٢) ما يلي: «ولقد قبل دعوة الشيخ أناس لهم مكانتهم في بلدانهم؛ كالأمير عثمان بن معمر...، وكلما زاد شأن الدعوة كلما تباين الناس فيه، حتى انقسموا إلى فريقين: فريق فرح بالشيخ، وأحبه وأحب دعوته، وعاهده على ذلك، وبايعه على نشر الإسلام والقيام به...»، وهذا كان في حريملاء التي كان رؤساؤها منقسمين؛ فليس لهم رئيس وازع، بل حاول بعض عبيد الرؤساء قتل الإمام ابن عبد الوهاب؛ لذلك ذهب إلى العينية عند الإمام عثمان بن معمر؛ كما ينبه الدكتور العبود (١٣٩/ ج٢).

إذن الإمام ابن عبد الوهاب كان يبايع الناس على خدمة الإسلام، والقيام به قبل أن يكون لديه تحالف مع أمير! وهذه مسألة طالما طال حولها الجدل في الوسط السلفي؛ من مانع مطلقاً، ومن يجوزها بشروط، ومن جعلها عهداً ونذراً.

والمهم أن هذه سابقة في الدعوة السلفية أخذت البيعة، فكيف نتعامل معها وندرسها؟ وهل هي صواب أم خطأ؟!

الحدث الثاني: تقديم بعض التنازلات في طريق الدعوة:

ذكر الدكتور العبود (١٦٥/ ج٢) قصة البيعة بين الإمام ابن عبد الوهاب والإمام ابن سعود، وشرط ابن سعود على ابن عبد الوهاب: «...

والثانية: أن لى على أهل الدرعية قانوناً آخذه منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول: لا تأخذ منهم شيئاً...، فقال الشيخ:... وأما الثانية؛ فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات؛ فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها».

ثم ينقل الدكتور العبود قول المؤرخ العثيمين: «إن إجابة الشيخ عن الشرط الثانى غير حاسمة، ولكن من الواضح أن الشيخ قارن بين المصلحة العامة لدعوته، وبين مسألة جزئية كان واثقاً من حلها مستقبلاً بسهولة».

وأظن أن هذا الموقف في السياسة الشرعية له الآن مئات المواقف المماثلة؛ لكن لا يجرؤ العديد من الدعاة عليها! بسبب الخوف من الأتباع؛ لعدم قدرتهم على فهم الظروف والملابسات، وسيبقى هذا الخوف والإحجام حتى نتمكن من تربية الشباب على سعة الأفق وأحكام السياسة الشرعية؛ التى هى الآن من العلوم الغائبة عن مناهج التربية في الصحوة المباركة.

الحدث الثالث: تفرق كلمة أتباع الشيخ؛ سبب زوال دولتهم في الدور الثاني:

نقل الدكتور العبود (٢٨٩/ ج٢) رسالة العلامة عبد الله بن عبد اللطيف التى وجهها إلى المشايخ، والإخوان من طلبة العلم يحذرهم فيها من تفتت كلمتهم، وتفرقهم عن إمامهم؛ فقال: «إنها فتنة عم شرها وطار شررها، وتفرق الناس فيها أحزاباً وشيعاً؛ ما بين ناكث لعهده، قالع لبيعة إمامه بغير حجة ولا برهان، بغضاً للجماعة، ومحبة للفرقة والشناعة، وبين مجتهد لما رأى إمامه صدر مكاتبة للدولة، وبين واقف عند حده يلوح بين عينيه «**إلا أن تروا كفراً**

بواحاً عندكم فيه من الله برهان»! والرابع ضعيف العنان خوار الجنان، مع هؤلاء تارة، ومع الآخرين تارة، يتبع طمعه.

وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى، وتفسقها أو تكفرها، بل وتنتسب إلى طالب علم تأتم به وتقلده، وتحتج بقوله -عياذاً بالله-، والمعصوم من عصمه الله...».

ويكاد الشيخ يتحدث عن حالنا اليوم وللأسف! ثم يقدم الحل؛ فيقول: «فاستأنف النهار يا ابن جبير قبل أن تنفرج ذات البين بينكم معشر العلماء، ويظلل بعضكم بعضاً أو يفسقه أو يكفره؛ فتكونوا بذلك فتنة لجاهل مغرور، أو ضحكة لذي دهاء وفجور، تستباح بذلك أعراضكم، ولا ينتفع بعلمكم، فاعقدوا لكم محضراً؛ ولو طال منا ومن بعضكم؛ لأجله سفر للنظر فيما يصلح الإسلام، وتقوم به الحجة؛ ولو لم يعمل به عامل تسدوا بذلك عنكم باب الفرقة...».

فهل هناك اليوم من يسمع هذه النصيحة، ويطبقها بالدعوة للقاء العلماء وطلبة العلم، والتناصح والتشاور قبل فوات الأوان؟!!

دروس من التاريخ (٢-٣):
عندما يصف القاسمي والألوسي عِللنا اليوم!

«موقع العصر» (١٤/ ٦/ ٢٠٠٣)

إن كثيراً من مشاكل الماضي وأزماته لا يزال يتكرر، والسبب أن تحذير النبي ﷺ للمؤمنين مُغفل: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**» (متفق عليه)، والمؤمنون كالجسد الواحد؛ ولكنهم لا يتعلمون من تجارب بعضهم البعض.

أقف اليوم مع كتاب من أدب الرسائل الرفيع لعالمين كبيرين وداعيين بارزين؛ وهما: العلامة الألوسي، والعلامة القاسمي، وهذه الرسائل جمعها واعتنى بها الباحث المحقق الأستاذ محمد ناصر العجمي، وصدرت عن دار البشائر بعنوان: «الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الآلوسي».

وسوف أركز كلامي عن فوائد هذه الرسائل في جانب الدروس التي يمكن أن نستفيدها من تجربة عالمين كبيرين في أول عصر النهضة الإسلامية، وفي بلدين من أهم حواضر الإسلام، هما: العراق، والشام.

وفي طيات رسائل الألوسي والقاسمي نجد الاهتمام الواضح بنشر دعوة الكتاب والسنة، وأنها الهم الأساسي لهما، كما أبديا

حسرة على ضعف همة أهل السنة في نشر دعوتهم، وللأسف أن العديد من القضايا التى كانوا يعانون منها قبل عقود من الزمان لا تزال موجودة، ولعل هذا ما يفسر سبب عدم نمو العمل الإسلامى السنى بشكل صحيح؛ رغم الجهود العظيمة والرجالات الكبار؛ لكن إذا كان المرض والعلة موجودين من سنين عديدة، ولم نتمكن من علاجهما والقضاء عليهما؛ فانتظار النتائج عبث!

وفيما يلي بعض الأمثلة لعلل وأمراض تعيق النهضة وانتشار الدعوة، شكى منها كلّ من القاسمي والآلوسي:

١- ضعف همة التجار من أهل السنة في المساهمة في نشر العلم؛ بطباعة الكتب وتوزيعها.

٢- بيان أهمية استغلال الصحافة.

٣- أهمية إنشاء المدارس.

٤- أهمية مراسلة الآخرين -من أهل السنة وغيرهم-، والتواصل معهم.

وهذه الأمور لا تزال لليوم محور شكوى من تصدوا للدعوة، فلماذا لم نتمكن من تكوين قناعات وسلوك عند الناس حولها؟!

دروس من التاريخ (٣-٣): من ثمار الدعوة السلفية

«موقع العصر» (٢٦/ ٦/ ٢٠٠٣)

إن جهل كثير من أبناء أهل السنة بتاريخ علمائهم ودعاتهم يتولد عنه إنعدام الفاعلية، وغياب القدوة الحافزة على العطاء والعمل والبذل؛ الذي به قوام الدين وظهوره على المشركين كافة.

فمن الغائب وفي حكم النادر: معرفة كثير من أهل السنة أن بعض أتباع الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام قد أقاموا دولة إسلامية في الهند بقيادة محمد تغلق، ومن بعده ابن عمه فيروز شاه تغلق؛ التى يحدثنا عنه الشيخ عبد الحميد بن عبد الجبار الرحمانى -الرئيس العام لمركز أبو الكلام آزاد، في تقديمه لكتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية، وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة»، تأليف الدكتور صلاح الدين مقبول أحمد-؛ فيقول (ص٢٥): «في ضوء هذه الإصلاحات في مجالات الحياة الإنسانية المختلفة نستطيع أن نقول: إن أول دولة تمخضت عنها دعوة شيخ الإسلام هى الحكومة التغلقية؛ التى قام بها محمد تغلق وفيروز شاه تغلق، وإن كانت فيها بعض العيوب؛ إلا أن الفائدة الحقيقية لدعوة شيخ الإسلام تحققت بجهودها إلى حد كبير».

ويبين الشيخ رحماني أن هذه الدولة قامت على يد تلاميذ ابن

تيميــة، أمثـال: العلامــة عبـد العزيـز الأردبيلـى، والـشيخ علـيم الـدين، والعلامــة شمــس الـدين ابـن الحريـري؛ الـذين أقنعـوا ملـك الهنـد محمـد تغلـق بالقـضاء علـى خـزعبلات المتـصوفة وعبـادة القبـور، وحثـوه علـى الإهتمــام بإقامــة الــصلوات الخمــس، وإحيــاء مــا انــدرس مــن معــالم الإسـلام، واقتفـاء مـنهج شـيخ الإسـلام في العقائـد والعبـادات والآداب والمعاملات.

فـسار علـى هـذا الـنهج، وأقـام الـشرع، ورفـع المغـارم والمظـالم، وكـان شــديداً في إقامــة الـصلاة ومعاقبــة المتهــاونين عنهــا، وســار علــى طريقه ابن عمه من بعده فيروز تغلق.

وبعــد ذهــاب الدولــة التغلقيــة غرقــت الهنــد في بحــر الظلمــات والجهـل، والـصراع الـسياسي؛ بمـؤامرة مـن المتـصوفين الـضلال وعلمـاء السوء.

ويمكن العودة لما كتـب عـن هـذه الدولـة لمعرفـة المزيـد عنهـا، مثـل: كتــاب الــدكتور مهــدي حــسن عــن حيــاة محمــد تغلــق، وكتــاب الأســتاذ سعود الندوي «تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند».

وبعد.. ألـيس مـن التقـصير أن لا نتعـرف علـى أثـر دعـوة الحـق في حيـاة النـاس؛ فـلا نبقـى نظـن أن دعوتنـا لـيس لهـا إنجـازات ونجاحـات، فكــم مــن دولــة ســلفية في أفريقيــا أو آســيا لا نعــرف عنهــا شــيئاً؟ فــإلى متى؟؟

«النقد والبيان»

«القبلة»، العدد الثالث، صيف عام (٢٠٠٢)

صدر حديثاً عن المكتب الإسلامي كتاب «النقد والبيان»، من تأليف المجاهدَين: الشيخ محمد كامل القصاب، والشيخ عز الدين القسام، بتحقيق صاحب المكتب الإسلامي الأستاذ المؤرخ المحقق زهير الشاويش -حفظه الله-، وصدر نفس الكتاب -أيضاً- عن مركز بيت المقدس للدراسات، بتحقيق الشيخ مشهور حسن سلمان، ضمن كتابه الجديد «السلفيون وقضية فلسطين».

والكتاب «النقد والبيان» هو دفاع عن عقيدة التوحيد، ونشر للسنة، ومحاربة للبدع، ودعوة للتمسك بالكتاب والسنة، وترك الخرافات والعوائد المخالفة لهما.

● وقيمة الكتاب هي أن مؤلفيه هما من المجاهدين الأعلام في هذا الزمان على ثرى فلسطين، وهذا يعيد لنا سيرة العلماء المجاهدين في تاريخ الإسلام؛ بداءً من النبي ﷺ أعظم المجاهدين وسيد العلماء، مروراً بعبد الله بن المبارك، وشيخ الإسلام ابن تيمية صاحب موقعة شقحب، إلى عبد الحميد بن باديس في الجزائر، وصولاً إلى القسام والقصاب، ثم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ الذي ذكر من عاشره أنه كانت له صلة قوية بالجهاد، ودعم المجاهدين بالمال

والفتـــوى والتأييـــد[1]، وســـتظل القافلـــة تـــسير إلى أن يـــرث الله الأرض ومن عليها.

● والكتــاب يكــشف بكــل وضــوح عــن ســلفية مؤلفيــه الــشيخين: القــصاب، والقــسام، وهــذه مــسألة مقــررة عــن كــل مــن تعــرض لترجمــة الــشيخين، ولمزيــد مــن الاطــلاع علــى ذلــك يمكــن الرجــوع إلى كتــاب «الــوعي والثــورة، دراســة في حيــاة وجهــاد الــشيخ عــز الــدين القــسام»، تــأليف ســميح حمــودة (ص٤٢)، وكتــاب «التيــار الإســلامي في فلــسطين، وأثره في حركة الجهاد»، تأليف د. محسن محمد صالح (ص٢٣).

● وهــذا يقودنــا للحــديث عــن تــلازم المــنهج الــسلفي والجهــاد، وأن قادة الجهاد هم العلماء الذي بهم يأتي الجهاد بثماره المرجوة.

وهنـــا يجـــب علـــى طـــائفتين الاســـتفادة مـــن الـــشيخين القـــصاب والقسام.

أمــا الأولى: فيجــب عليهــا مــع الاهتمــام بالجهــاد أن تهــتم بــالعلم والتوحيــد، والتمــسك بالــسنة، والبعــد عــن الــشرك والبدعــة؛ لكــي يكونوا حقّاً على خطى هذين الشيخين.

وأمــا الثانيــة: فــلا بــد لهــا مــن الاهتمــام بالجهــاد، وتحــديث الــنفس بــه، والاســتعداد لــه؛ مــع انــشغالها بالــسنة والتوحيــد؛ حتــى تــستكمل جوانب الخير والفلاح.

سبب تأليف «النقد والبيان»:

كتابنـــا جـــاء ردّاً علـــى كتـــاب «فـــصل الخطـــاب في الـــرد علـــى

---

(١) انظر: «مجلة البيان»، عدد (١٦٠).

الزنكلوني والقسام والقصاب»، لصاحبه: محمد صبحي خزيران، رئيس كُتاب المحكمة الشرعية في عكا، وقد ألّفها تأييداً لأستاذه الشيخ عبد الله الجزار مفتي عكا وقاضيها، وذلك بعد أن أفتى الشيخان (القصاب والقسام) ببدعة وكراهة الصياح والتهليل والتكبير أمام الجنائز وغيرها، مما حدى بالشيخ الجزار أن يفتي بجواز ذلك، فأرسل سائل رسالة إلى عالمين من علماء الأزهر، وهما: الشيخ محمود خطاب السبكي، والشيخ علي الزنكلوني؛ فأفتياه بالتحريم مؤيدين بذلك للشيخين (القصاب والقسام)، فما كان من الخزيران إلا أن يصنف ردّاً عليهم في المسألة.

سرد أقوال علماء المذاهب الأربعة في حكم رفع الصوت بالتهليل والتكبير أمام الجنائز وغيرها:

لقد ذكر الشيخان أقوال علماء المذاهب الأربعة، ثم تعقبا الجزار في رده، وبينا عدم صحة ما ذهب إليه؛ لأنه مخالف للقواعد الأصولية المقررة عند العلماء، وبيّنا معنى البدعة، وكيف أن الجزار خلط بين البدعة اللغوية، والبدعة الشرعية المحرمة.

وتعرض الشيخان لقضية الموالد، وبينا أنها ممنوعة؛ لاشتمالها على الشرور والبدع؛ عملاً بفتوى الإمام ابن حجر، وأيضاً تطرقا لمسألة ليلة النصف من شعبان، وعدم حجة شيء من أحاديثها، وهناك -أيضاً- العديد من المسائل اللطيفة المبثوثة بين ثنايا هذا الكتاب.

عمل الأستاذ زهير الشاويش:

- لقد قام الشيخ الشاويش بتحقيق الكتاب، والتعليق عليه في الهوامش، وقدّم له بمقدمة وافية، وبين صلته بالشيخ القصاب، وشيئاً من تاريخ الجهاد في فلسطين وسوريا، من ثم الشيخ القصاب نفسه، وذكر الشاويش قصة إنشاء المكتب الإسلامي، وكذلك معرفته بالشيخ الخزيران.
- ترجم للشيخين (القصاب والقسام).
- ألحق بالكتاب فتوى الشيخ القصاب التي ردّ عليها الخزيران، وكذلك فتوى الجزار وفتوى الزنكلوني والسبكي؛ لكي تكون الصورة مكتملة عند القارئ.
- ألحق أقوال العلماء المعاصرين للقضية؛ الذين أيدوا موقف الشيخين.

وهذه فائدة مهمة لمعرفة مدى انتشار دعوة الكتاب والسنة عند المصلحين والعلماء في ذلك الزمان، ومن هؤلاء: الشيخ محمد بهجت البيطار، والشيخ محمد بهجت الأثري، والشيخ عبد القادر بدران، والشيخ عبد المعطي السقا.

● وكتاب النقد والبيان قد مضى عليه سبعة وسبعون عاماً؛ حيث أُلف عام (١٩٢٥م)، ولكن لا يزال الصراع بين السنة والبدعة، والتوحيد والشرك قائماً؛ فعلى المسلم أن يناصر الحق والسنة، ويحذر البدعة والشرك.

ولقد ألّف الشيخان هذا الكتاب وهما يعدان العدة لدعم المجاهدين في سوريا، فلم يشغلهم الجهاد عن رد البدع والشرك، كما لم يشغلهم رد البدع والشرك عن الجهاد والقتال في سبيل الله.

الإمام الألباني ودوره الإصلاحي المجهول!

«الغد» (٩/ ١١/ ٢٠٠٧)

لا زلت أتذكر تلك الأمسية التي جمعتني بأحد الباحثين والمهتمين بدراسة الحركات الإسلامية في الأردن -وله في ذلك عدة كتب مطبوعة-، وكيف أنني صدمت من سوداوية النظرة التي يحملها للإمام الألباني، وتكاد تصل للتشكيك بنواياه ومقاصده!! وذلك لأنه حاكم الألباني على أساس سلوك بعض المنتسبين للألباني الذين يعايشهم!!

وأدركت من النقاش معه حجم التقصير في التعريف بجهود الإمام الألباني الإصلاحية والضخمة من جهة، وخطورة السلوك المنحرف لدى بعض المنتسبين للألباني على صورة الألباني في نظر المراقبين.

ولعل ما أثاره الأستاذ محمد أبو رمان في مقالتيه مؤخراً حول السلفية يدخل في هذا السياق؛ من جهة نسبة بعض المفاهيم للألباني بجامع أن بعض تلاميذه يقولون به!

ومصدر الخطأ هنا: أن معرفة موقف الألباني يكون من نص كلامه وتصريحه، ومن ممارسته العملية عبر تاريخه الدعوي والفكري.

ويجب إدراك حقيقة مهمة في دراسة الدور الإصلاحي للألباني

وهـي: أن هنـاك تبـاين كـبير بـين مـنهج الألبـاني ودعوتـه، وبـين ممارسـة كـثير ممـن ينـسبون لـه -وخاصـة في الأردن-، وأن تلاميـذ الألبـاني ليـسوا محـصورين في مـن تعرفـوا علـى الـشيخ في شـيخوخته، بـل للـشيخ تلاميـذ وأتباع نشروا علمه وفكره في العالم؛ قبل أن يأتوا هم للعالَم!!

أسـاس مـنهج الألبـاني الإصـلاحي الـدعوة للتمـسك بالـسنة الـصحيحة مـع القـرآن الكـريم، وفهمهمـا علـى مـنهج الـسلف مـن الصحابة والتابعين.

ولكن هناك الكثير من مـنهج الألبـاني الـذي يجهلـه كـثير مـن محـبي الألباني؛ فضلاً عن خصومه، ومن ذلك:

● اهـتم الألبـاني بإنـصاف المـرأة المـسلمة، فقـام بتخـريج أحاديـث كتـاب «حقـوق النـساء في الإسـلام، وحظهـن مـن الإصـلاح المحمـدي العام، نداء للجنس اللطيف» للعلامة محمد رشيد رضا.

● قـام الألبـاني بتخـريج كتـاب الـشيخ القرضـاوي «مـشكلة الفقـر وكيـف عالجهـا الإسـلام»؛ لأهميـة القـضاء علـى مـشكلة الفقـر؛ والـتي يلازمها الجهل والمرض.

● كـان الألبـاني علـى تواصـل مـع المفكـرين والعلمـاء؛ ولـذلك اختارتـه كليـة الـشريعة في جامعـة دمـشق ليقـوم بتخـريج أحاديـث البيـوع الخاصة بموسـوعة الفقـه الإسـلامي؛ الـتي عزمـت الجامعـة علـى إصـدارها عام (١٩٥٥م).

● آمـن الألبـاني بأهميـة التعـاون مـع جهـود الآخـرين؛ ولـذلك نجده يحرص علـى تحقيـق بعـض كتـب المعاصـرين؛ والـتي تـسد فـراغ مهـم

في المكتبة الإسلامية؛ فقام بمراجعة وتعليق وتخريج أحاديثه كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ حسن البنا، وألف كتاباً مستقلاً وهو«غاية المرام في تخريج أحاديث كتاب الحلال والحرام» للشيخ يوسف القرضاوي، وتخريج أحاديث كتاب «المصطلحات الأربعة في القرآن» لأبي الأعلى المودودي، وتخريج أحاديث كتاب «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالي، وتخريج لأحاديث كتاب «فقه السنة» للشيخ سيد سابق؛ وسماه: «تمام المنة»، كما أنه تعقب كتاب «الحجاب» للمودودي.

وللألباني مواقف ونظرات تدهش الكثيرين من أحبابه؛ والذين في الحقيقة لا يعرفون شيخهم إلا بواسطة نظارات غيرهم! أو خصومه الذين يكتفون بالشائعات المغرضة عنه.

فالألباني كان يرى وجوب الجهاد في أفغانستان، وقد عمل بها الكثيرون من تلاميذ الألباني، ولكن لا أعلم أن تلميذاً واحداً في الأردن تبنى هذه الفتوى؛ لا نظريّاً ولا عمليّاً؟؟

وحين كثر اللغط من بعض المغرضين لماذا يفتي الألباني بالجهاد في أفغانستان، ولا يفتي به في فلسطين؟ سألته شخصيّاً حول ذلك فأجاب «هذا يصح سنة (٤٨) والحدود مفتوحة؛ أما الآن والحال ما تعلم؛ فلا يصح» ولذلك كان الألباني من المتطوعين في الجهاد سنة (٤٨).

وكان من كلماته المهمة: «من السياسة اليوم ترك السياسة»، وهي كلمة وموقف سياسي في زمن محدد أو مكان معين، لكن البعض جعلها قاعدة أصولية تستغرق الزمان والمكان، وهذا خلاف

فعل الشيخ؛ فهو لم يكن يمارس السياسة بالشكل المباشر؛ لكنه لم يكن منعزل عن الإفتاء في السياسة، وموقفه الرافض للاستعانة بأمريكا في حرب الخليج والاكتفاء بقوات مسلمة موقف معلن.

ولذلك حين تغيرت ظروف بعض تلاميذ الألباني ومارسوا السياسة؛ لم يعب عليهم؛ كما هو حال الحركة السلفية في الكويت والسودان والبحرين، بعكس بعض أتباعه الذين لا يزالون يشنعون على المشاركين في العمل السياسي على طول الخط، رغم أنهم اليوم يقيمون أفضل العلاقات معهم حاليّاً، والغريب أنهم يمارسون السياسة بالمقلوب! فهم يقومون بكل العمل السياسي؛ لكن دون أن يكون لهم مطالب، ولذلك أعجبني تعليق أحد الأذكياء على عنوان كتاب «السياسة التي يريدها السلفيون»؛ أنه سقط منه في المطبعة حرف «لا»!! كان منهج الألباني في الإصلاح «التصفية والتربية»، وقد رسخ هذا المفهوم من خلال جهوده في التأليف والدعوة، ولنجاحه الكبير في تصفية كتب السنة وترسيخه منهج تصحيح الأحاديث؛ منح الألباني جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

أما نجاحه في التربية؛ فكانت على صعيد تبني كثير من الطلبة النجباء لدعوته ونشرها في العالم؛ حتى أصبح المنهج السلفي العلمي هو السائد في الشارع الإسلامي، ولكن هذا المنهج «التصفية والتربية» دخل عليه شوائب قد تزيحه عن هدفه الشريف؛ ليصبح سلعة تجارية بحتة، وليت الأمر وقف عند هذا، بل تجاوز ذلك ليصل لحد السرقة العلمية والأدبية والمالية!!

وأما التربية؛ فهذه أضحت من أخوات «العنقاء والغول والخل الوفي»!!

ومن منهج الألباني: ما عبر عنه بقوله: «دعوتنا ثقف، ثم كتل»، ولكن لا يزال كثير من المحسوبين على الشيخ يرفضون العمل الجماعي، ويعتبرونه تحزّباً، وطرح بعضهم بديلاً وهو «التجمع الدعوي»؛ بحيث يخلو من آفات التحزب، لكن آل «تجمعهم» إلى الفشل؛ رغم خلو «تجمعهم» من أي مطامع في سلطة أو برلمان أو مكسب، فكيف لو كان؟؟

يوصف الألباني من قبل خصومه بالشدة والتعصب، وهذا غير صحيح، ولكن لأن البعض لا يتحمل «ثقل الحق» يعتقد ذلك، ورغم هذا نجد الألباني في سؤال حول حكم التعاون مع الشيعة في حكم أفغانستان؟

أجاب: «إذا كان المقصود بالتعاون مع الشيعة هو: أن يكونوا أعضاء في الحكومة الإسلامية؛ فيجب أن يشترط عليهم أن يكون دستور هذه الحكومة قائماً على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح؛ وليس على نظام ما يدين الشيعة به، بل ولا بد -في اعتقادي- أن يؤخذ عليهم العهد أن يكونوا في تعاونهم هذا على ما جاء في كتاب الدكتور موسى الموسوي المسمى بـ: «الشيعة والتصحيح»؛ فإذا رضي هؤلاء الشيعة بالتعاون مع أهل السنة هناك بهذا الشرط؛ فلا مانع عندي من الاستعانة بهم».

من شمول رؤية الألباني: وضعه للأسس الخمسة للدعوة السلفية؛ والتي عرفت بـ «دعوتنا»، ومنها: «السعي نحو استئناف حياة

إسـلامية، وإنـشاء مجتمـع إسـلامي، وتطبيـق حكـم الله في الأرض»، وقـد قـام بـذلك الـسعي تلاميـذ الألبـاني الـذين أسـسوا المؤسـسات الدعويـة والخيريـة والإعلاميـة والـسياسية، أمـا مـن جلـسوا يحـاربون كـل ذلـك؛ فلم يجلبوا للألباني إلا سوء الظن به وبدعوته.

إن الألبـاني قـد قـدم خـدمات كـبيرة للأمـة، منهـا: نـشر وإحيـاء أهميـة التمـسك بالـسنة الـصحيحة، وتقـديم المؤلفـات القيمـة والعديـدة في ذلـك، وتربيـة وتكـوين العديـد مـن العلمـاء والـدعاة الآن في العـالم؛ سـواء عـبر التتلمـذ عليـه في سـوريا، أو الجامعـة الإسـلامية، أو الأردن، أو عـبر كتبـه وأشـرطته، ومـن الظلـم لـه أن تبقـي جهـوده في الإصـلاح مهضومة حبيسة نظرات حانقـة علـى بعـض مـن نـسب لـه، وتتعـامي عـن تراثـه وإنتاجـه العلمـي وتلاميـذه الـذين قـاموا فعـلاً علـى نـشر «التـصفية والتربية» في مجتمعـاتهم وبيئـاتهم، وقـد تحقـق لهـم ذلـك؛ فهـو رجـل أمـة؛ وليس رجل فئة بعينها، وحكره على فئة معينة فيه عقوق له.

الدعوة السلفية.. الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

«دراسة منشورة في كتاب المسبار» رقم (١٤)

تمهيد:

تشهد الأمة الإسلامية صحوة إسلامية عامة، تشكل الدعوة السلفية امتدادها العلمي والشرعي[١]، وذلك لأسباب عدة منها:

- طبيعة الدعوة السلفية الداعية للتوحيد والعلم والاجتهاد، ومحاربة الشرك والخرافة والجهل.
- تأثير دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛ والتي شكلت نموذجاً عملياً للنهضة والوحدة.
- أن أغلب المصلحين المعاصرين كانوا منتمين للدعوة السلفية، أو متأثرين بها، مثل: رشيد رضا، وابن باديس، والألوسي، والقاسمي، والقسام، وصديق حسن خان، والشوكاني.

ومن هؤلاء العلماء السلفيين المعاصرين الذين لهم تأثير قوي وكبير: العلامة محمد ناصر الدين الألباني؛ والذي سيكون محور دراستنا في هذه الورقة.

(١) انظر: مقال (سلفية الصحوة، وصحوة السلفية) لرضا صمدي على شبكة الإنترنت.

أولاً: ترجمة العلامة الألباني (١٩١٤م - ١٩٩٩م)[1]:

◄ **مولده ونشأته:**

● ولـد الـشيخ محمـد ناصـر الـدين بـن الحـاج نـوح الألبـاني عـام (١٣٣٣هـ/ الموافـق ١٩١٤م)، في مدينـة أشـقودرة عاصـمة دولـة ألبانيـا -حينئـذٍ-، مـن أسـرة فقـيرة متدينـة يغلـب عليهـا الطـابع العلمـي، فكـان والده مرجعاً للناس؛ يعلمهم ويرشدهم.

● هـاجر بـصحبة والـده إلى دمـشق الـشام للإقامـة الدائمـة فيهـا؛ بعـد أن انحـرف أحمـد زاغـو (ملـك ألبانيـا) بـبلاده نحـو العلمانيـة، وتقليـد أتاتورك.

● أتم العلامــة الألبــاني دراســته الابتدائيــة في مدرســة الإســعاف الخيري في دمشق بتفوق.

● نظـراً لـرأي والـده الخـاص في المـدارس النظاميـة مـن الناحيـة الدينيـة؛ فقـد قـرر عـدم إكمـال الدراسـة فيهـا ووضـع لـه منهجـاً علميّـاً مركـزاً، قـام مـن خلالـه بتعليمـه القـرآن الكـريم، والتجويـد، والنحـو والـصرف، وفقـه المـذهب الحنفـي، وقـد خـتم الألبـاني علـى يـد والـده حفـظ القـرآن الكـريم بروايـة حفـص عـن عاصـم، كمـا درس علـى الـشيخ سـعيد البرهـاني «مراقـي الفـلاح» في الفقـه الحنفـي وبعـض كتـب اللغـة والبلاغـة، هـذا في الوقـت الـذي حـرص فيـه علـى حـضور دروس

---

(١) محمد إبراهيم الشيباني، «حياة الألباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه»، الدار السلفية - الكويت، ط١، (١٩٨٧م). محمد حامد الناصر، «علماء الشام في القرن العشرين»، دار المعالي- الأردن، ط١، «٢٠٠٣م»، (ص١٧٥).

موقع العلامة الألباني على شبكة الإنترنت www.alalbany.net.

وندوات العلامه بهجة البيطار.

● أخذ عن أبيه مهنة إصلاح الساعات، فأجادها حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، وأخذ يتكسب رزقه منها، وقد وفرت له هذه المهنة وقتاً جيداً للمطالعة والدراسة، وهيأت له هجرته للشام المعرفة باللغة العربية والاطلاع على العلوم الشرعية من مصادرها الأصلية.

◄ **توجهه إلى علم الحديث واهتمامه به:**

على الرغم من توجيه والد الألباني المنهجي له بتقليد المذهب الحنفي وتحذيره الشديد من الاشتغال بعلم الحديث؛ إلا أن الألباني أخذ بالتوجه نحو علم الحديث وعلومه، فتعلم الحديث في نحو العشرين من عمره؛ متأثراً بأبحاث «مجلة المنار»[1] التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقي رحمه الله، مع التعليق عليه.

كان ذلك العمل فاتحة خير كبيرة على الشيخ الألباني؛ حيث أصبح الاهتمام بالحديث وعلومه شغله الشاغل، وأصبح معروفاً بذلك في الأوساط العلمية بدمشق؛ حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له؛ ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة؛ حيث يدخلها وقت ما

---

(١) عصام موسى هادي، «حياة الألباني بقلمه»، المكتبة الإسلامية- الأردن، ط١، (١٤٢٢هـ)، (ص٦). محمد إبراهيم الشيباني، «حياة الألباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه»، الدار السلفية- الكويت، ط١، (١٩٨٧م)، (ص٤٦/ ١).

شاء، أما عن التأليف والتصنيف؛ فقد ابتدأهما في العقد الثاني من عمره.

كان لاشتغال الشيخ الألباني بحديث رسول الله ﷺ أثره البالغ في توجهه السلفي، وقد زاد تشبثه وثباته على هذا المنهج بعد مطالعته لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، وغيرهما من أعلام المدرسة السلفية.

◄ **دعوة العلامة الألباني:**

حمل الشيخ الألباني راية الدعوة إلى التوحيد والسنة في سوريا، حيث زار الكثير من مشايخ دمشق وجرت بينه وبينهم مناقشات حول مسائل التوحيد، والاتباع، والتعصب المذهبي، والبدع، فلقي الشيخ من ذلك المعارضة الشديدة من كثير من متعصبي المذاهب ومشايخ الصوفية والخرافيين والمبتدعة، فكانوا يثيرون عليه العامة والغوغاء، ويشيعون عنه بأنه «وهابي ضال» ويحذرون الناس منه، هذا في الوقت الذي وافقه على دعوته أفاضل العلماء المعروفين بالعلم والدين في دمشق، والذين شجعوه على الاستمرار قدماً في دعوته، ومنهم: العلامة بهجت البيطار، والشيخ عبد الفتاح الإمام -رئيس جمعية الشبان المسلمين في سوريا-، والشيخ توفيق البزرة، وغيرهم من أهل الفضل والصلاح رَحِمَهُمُ اللهُ[1].

وقد لقيت دعوة الشيخ قبولاً بين أوساط المثقفين وطلاب جامعة دمشق؛ لقدرتهم فهم دعوة الشيخ، بعكس عامة الناس

---

(١) محمد حامد الناصر، «علماء الشام في القرن العشرين»، دار المعالي- الأردن، ط١، (٢٠٠٣م)، (ص١٧٩).

الأمـيين؛ الـذين تـسيطر علـيهم الخرافـة والتـصوف، وقـد ذكـر هـذا الأديب السعودي عبد الله بن خميس حين زار دمشق[1].

◄ **نشاطاته:**

كانـت لـه دروس علميـة يعقـدها مـرتين كـل أسـبوع، ويحـضرها طلبة العلم، وبعـض أسـاتذة الجامعـات، ومـن الكتـب الـتي كـان يدرسـها في حلقات علمية:

- «فـتح المجيـد شـرح كتـاب التوحيـد» لعبـد الـرحمن بـن حـسن بـن محمد بن عبد الوهاب.
- «الروضـة الندية شـرح الـدرر البهيـة» للـشوكاني، شـرح صـديق حسن خان.
- «أصول الفقه» لعبد الوهاب خلاف.
- «الباعـث الحثيـث شـرح اختـصار علـوم الحـديث» لابـن كـثير، شرح أحمد شاكر.
- «منهاج الإسلام في الحكم» لمحمد أسد.
- «فقه السنة» لسيد سابق.

وكـان للـشيخ رحـلات شـهرية منتظمـة؛ بـدأت بأسـبوع واحـد مـن كـل شـهر، ثـم زادت مـدتها؛ حيـث كـان يقـوم فيهـا بزيـارة المحافظـات الـسورية المختلفـة، بالإضـافة إلى بعـض المنـاطق في الأردن قبـل اسـتقراره فيـه، الأمـر الـذي دفـع بعـض مناوئيـه إلى الوشـاية بـه عنـد الـسلطة؛ ممـا

---

(١) عبد الله خميس، «شـهر في دمـشق»، (١٩٥٥م)، (ص٧٤). بواسـطة محمـد حامـد الناصـر، (ص١٨٥).

أدى إلى سجنه.

◄ **سجنه:**

تعرض الشيخ الألباني للسجن مرتين، الأولى كانت قبل عام (١٩٦٧)؛ حيث اعتقل لمدة شهر في قلعة دمشق، وهي نفس القلعة التي سجن فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وعندما قامت حرب (٦٧) رأت الحكومة أن تفرج عن جميع المعتقلين السياسيين.

لكن بعدما اشتدت الحرب عاد الشيخ إلى المعتقل مرة ثانية، ولكن هذه المرة ليس في سجن القلعة، بل في سجن الحسكة شمال شرق دمشق، وقد قضى فيه الشيخ ثمانية أشهر، وخلال اعتقاله قام باختصار صحيح مسلم لكنه فُقد، واجتمع مع شخصيات كبيرة في المعتقل، وبعد أحداث حماة هاجر الشيخ إلى الأردن، وبقي فيها حتى توفي عام (١٩٩٩م).

◄ **محطات متفرقة من حياة الشيخ:**

● كان الألباني يحضر ندوات العلامة الشيخ محمد بهجت البيطار؛ مع بعض أساتذة المجمع العلمي بدمشق، منهم: عز الدين التنوخي، إذ كانوا يقرؤون «الحماسة» لأبي تمام.

● اختارته كلية الشريعة بجامعة دمشق ليقوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي؛ التي عزمت الجامعة على إصدارها عام (١٩٥٥م).

● اختير عضواً في لجنة الحديث؛ التي شكلت في عهد الوحدة بين مصر وسوريا، للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها.

• كانت علاقة الشيخ بجماعة الإخوان المسلمين قوية؛ وخاصة بدمشق، فقد كان بعض قادة الإخوان يحضرون دروسه؛ كالأستاذ عصام العطار، والشيخ زهير الشاويش، وغيرهما.

• شارك الشيخ الألباني جماعة الإخوان في الجهاد للدفاع عن فلسطين.

• طلبت إليه الجامعة السلفية في بنارس بالهند أن يتولى مشيخة الحديث، فاعتذر عن ذلك لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد؛ بسبب الحرب بين الهند وباكستان -آنذاك-.

• طلب إليه معالي وزير المعارف في المملكة العربية السعودية الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ عام (١٣٨٨هـ) أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة مكة، وقد حالت الظروف دون تحقيق ذلك.

• اختير عضواً في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام (١٣٩٥هـ) إلى (١٣٩٨هـ).

• لبى دعوة من اتحاد الطلبة المسلمين في أسبانيا، وألقى محاضرة مهمة، طبعت فيما بعد بعنوان «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام».

• زار قطر، وألقى فيها محاضرة بعنوان: «منزلة السنة في الإسلام».

• انتدب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ -رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء- للدعوة في مصر والمغرب

وبريطانيا، إلى التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الحق.

• زار الكويت والإمارات، وألقى فيهما محاضرات عديدة، وعدداً من دول أوروبا، والتقى فيها بالجاليات الإسلامية والطلبة المسلمين، وألقى دروساً علمية مفيدة.

• للشيخ مؤلفات ربت على المئة، وترجم كثير منها إلى لغات مختلفة، وطبع أكثرها طبعات متعددة، من أبرزها: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة»، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، و«صفة صلاة النبي».

• حصل الشيخ على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

ثانياً: دراسة مراحل دعوة الألباني:

بعد أن بينا سيرة الشيخ ودعوته، يمكن لنا أن ندرس مراحل دعوته؛ وذلك أن دعوة الشيخ لحقها ظلم وتجن من أحباب الشيخ وخصومه على حد سواء.

ومن الملاحظ تأثير البيئة على الشيخ، فالشيخ هاجر من بلده خوفاً على دينه من بطش الحكومة المعادية للإسلام؛ ولذلك نجده يجعل استئناف الحياة الإسلامية وتطبيق حكم الله من صلب دعوته.

كما أن مطالعته لمجلة الشيخ رشيد رضا «المنار» -والتي كانت بحق وزارة إعلام وخارجية للعالم الإسلامي- كان لها دور مهم في

تكـوين شخـصية الـشيخ الثقافيـة وشموليـة نظرتـه[1]؛ ولـذلك حقـق الـشيخ كتـاب «حقـوق النـساء في الإسـلام وحظهـن مـن الإصـلاح المحمدي العام» لرشيد رضا.

كـذلك وجـود الـشيخ في بيئـة منفتحـة ومـشاركته علمـاء عـصره: العلامـة البيطـار، وأسـاتذة الجامعـة، وغيرهـم؛ جعلـت الـشيخ يـدرس كتـاب «منهـاج الإسـلام في الحكـم» لمحمـد أسـد، المستـشرق اليهـودي الذي أسلم، وتوضح أهمية الجانب السياسي في فكر الشيخ.

كمـا أن سـفر الـشيخ مبكـراً لأوربـا وبعـض الـبلاد الإسـلامية، والتـدريس في الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة؛ أتـاح للـشيخ أن يحتـك بالعلمـاء الكبـار؛ كالعلامـة أحمـد شـاكر، والـشيخ حامـد الفقـي، والـشيخ عبد الرزاق حمـزة، والـدكتور تقـي الـدين الهلالـي، والأسـتاذ محـب الـدين الخطيـب، ومـن إدارة الجامعـة الإسـلامية العلامـة محمـد بـن إبـراهيم، وبعـده العلامـة ابـن بـاز، وبالمدرسـين في الجامعـة والطـلاب مـن بـلاد شـتى، كـل ذلـك جعـل الـشيخ يطلـع علـى كـثير مـن مـشاكل، وتجـارب العمـل الإسـلامي؛ ممـا مكـن الـشيخ مـن تكـوين رؤيتـه الـسلفية الخاصـة بالتغيير والنهضة، هـذه الرؤيـة الـتي تعـد أسـاس الفكـر الـسلفي الـدعوي والحركي المعاصر؛ إن صح التعبير.

وأيـضاً هـذا الاحتكـاك والـسفر جعـل دعـوة الـشيخ تـصل إلى أماكن عديدة؛ رغم ضعف وسائل الاتصال في ذلك الزمن.

---

(١) محمد إبراهيم الشيباني، «حياة الألباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه»، الدار السلفية- الكويت، ط١، (١٩٨٧م)، (ص٤٠٠/ ١).

ويمكن تقسيم دعوة الشيخ الألباني لثلاث مراحل:

١- مرحلة سوريا:

التي كانت مرحلة تكوين، فقد كان الشيخ في قوة الشباب وبداية حياته العلمية والدعوية، وتميزت بالانفتاح على الجماعات الإسلامية، فقد كتب الشيخ في مجلة الإخوان المسلمين[١] المصرية تعليقات على كتاب «فقه السنة»، وأرسل له حسن البنا رسالة يحثه فيها على الاستمرار في الكتابة للمجلة، وكان الألباني من المتطوعين للجهاد في فلسطين عام (١٩٤٨م) مع الإخوان المسلمين[٢]، كما قابل في هذه الفترة العديد من قادة الجماعات؛ كالشيخ تقي الدين النبهاني -مؤسس حزب التحرير-[٣]، وكانت له جولات دعوية داخل وخارج سوريا، وفي هذه الفترة تم بلورة منهج الشيخ الدعوي؛ والذي نفصله لاحقاً.

٢- مرحلة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

وهي -على قصرها- تعد من أهم المراحل؛ ذلك أنها أوجدت للشيخ تلاميذ حملوا دعوته لبلاد لم يزرها أو يعرفها، وأصبح هناك تيار ينسب للشيخ في العالم؛ لأنه درس منهجه في الحديث عمليّاً وبطريقة أكاديمية للطلاب، وأحدث بذلك نقلة في شعبية علم

---

(١) المصدر السابق (ص٦٨/ ١).

(٢) رافق الألباني كمرشد عودة الجيش السعودي من حرب فلسطين سنة (١٩٤٨)، وألف فيه ذلك كتابه «وصف الرحلة الأولى إلى الحجاز والرياض»، انظر: الشيباني، «حياة الألباني» (٢/ ٥٧٣).

(٣) مجلة «السلفية»، عدد (٣).

الحـديث في العـالم[1]، ورسـخ رؤيتـه الدعويـة بـين الـسلفيين؛ خاصـة أن الشيخ الألباني والـشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب البنـا همـا اللـذان أسـسا في الجامعـة الإسـلامية الرحلـة الأسـبوعية للطلبـة؛ والـتي كانـت مدرسـة دعوية علمية خرّجت العديد من الدعاة[2].

ومـن شـواهد تـأثير الألبـاني في طلابـه في الجامعـة: أن الـشيخ عبـد الـرحمن عبـد الخـالق -مؤسـس الحركـة الـسلفية في الكويـت فيمـا بعـد- حـين أبعـد مـن الـسعودية عـزم علـى الـذهاب إلى سـوريا؛ ليكـون عنـد شيخه الألباني[3].

وهنـا تثـار مـسألة علاقـة الـشيخ الألبـاني بجماعـة جهيمـان؛ حيـث يـتهم بعــض الكتــاب الــشيخ بأنــه مــصدر الفكــر المنحــرف لجماعــة جهيمـان!![4]؛ وهـذا مـن العجـب العجـاب، فالـشيخ مـتهم مـن الـبعض أنه (مرجئ)! وآخرون يتهمونه بأنه (خارجي)!

---

(١) عصام موسى هادي، «محدث العصر الإمام محمد ناصـر الـدين الألبـاني كمـا عرفتـه»، دار الــصديق- الــسعودية ط ١، ٢٠٠٣م، (ص٧٨)، محمــد إبــراهيم الشيباني، «حياة الألباني، وآثاره، وثنـاء العلمـاء عليـه»، الـدار الـسلفية - الكويـت، ط١، (١٩٨٧م)، (ص٦١/ ١).

(٢) موسى عبد الله عبد العزيز، «دفع التحريش بالدليل لا بالتهويش»، السعودية (ص١٦٩).

(٣) أشرطة السيرة الذاتية للشيخ عبد الـرحمن عبـد الخـالق، مركـز التـسجيلات بجمعيـة إحيـاء التراث الإسلامي.

(٤) ومنهم: الدكتور موسى الدويش؛ الذي ألف كتاب «التوجه السياسي الحركـي عنـد الـشيخ محمد ناصر الدين الألباني»، وله مقال (تعقيب على مقال مجلة «الـسلفية»: مـن الـتكفير إلى التفجير»، وعبد اللطيف باشميـل لـه كتـاب «الفـتح الربّـاني في الـردّ علـى أخطـاء دعـوة الألباني» حول ذلك، وأيضاً كتب عبد العزيز العسكر وعدة مقالات.

والحقيقة هي أن جماعة جهيمان كانوا يترددون على الشيخ الألباني والشيخ مقبل الوادعي؛ لما يرونه منهما من علم ونشاط، ولكن الشيخ الألباني حين سئل عن ظهور المهدي في السعودية رفض ذلك، ورفض الاستناد على المنامات في إثبات ظهور المهدي، بل خطأهم؛ لأن المهدي شامي؛ وليس سعودياً!![1]

٣- مرحلة الإقامة بالأردن:

وهي المدة الأخيرة من حياة الشيخ، وقد بدأت سنة (١٩٨٠م)، وكان عمر الشيخ حينها يقارب (٦٦) سنة، وامتدت هذه المرحلة حتى وفاته سنة (١٩٩٩م)، وبلوغ الشيخ هذا السن جعله يعطي أعماله العلمية أولوية شبه مطلقة، على حساب نشاطه الدعوي، يقول الشيخ الألباني: «فإنه ما كاد بعض إخواننا في الأردن يشعرون بأنني استقررت في الدار؛ حتى بدؤوا يطلبون مني أن أستأنف إلقاء الدروس التي كنت ألقيها...، وعلى الرغم من أنني ما كنت عازماً على شيء من الإلقاء؛ لأوفر ما بقي من نشاط وعمر لإتمام بعض مشاريعي العلمية...»[2].

وهذا التغير في حياة الشيخ وتقليل النشاط الدعوي كوّن مفهوماً خاطئاً عن طريقة الشيخ الدعوية لدى الأجيال الجديدة من تلاميذ ومحبي الشيخ؛ وخاصة في الأردن، والتي ظنت أن دعوة الشيخ

(١) راجع شريط «سؤالات أبي إسحاق الحويني للشيخ الألباني» شريط (٢٠) الوجه الثاني، علي الحلبي، «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية»، (ص١٢١)، ط٢، مكتبة ابن القيم - الكويت (٢٠٠١م).

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، «رفع الأستار عن أدلة القائلين بفناء النار»، (ص٥).

الألباني هي تحقيق الكتب والمخطوطات، والانعزال في البيت عن حركة المجتمع؛ حتى أصبحت سمة تلاميذ الألباني التنافس في التحقيق والتأليف، وأصبح علامة النبوغ والتفوق عندهم إخراج كتاب أو تحقيق مخطوط، ورافق هذا ظاهرة سلبية عند البعض تمثلت بالسرقات والسطو على مصنفات وجهود الآخرين[1].

أصبح أغلب نشاط الشيخ الألباني في الأردن تكميل مشاريعه العلمية، والتواصل مع السائلين بالهاتف لوقت قصير يوميّاً، والمشاركة في بعض اللقاءات الاجتماعية والدعوية، واستقبال بعض الضيوف بموعد مسبق.

وأصبحت الأشرطة التي تسجل للشيخ في إجاباته على الأسئلة في الهاتف أو اللقاءات هي مصدر تواصل الشيخ مع طلابه وتلاميذه، وغالباً لم يكن الشيخ يلقي محاضرات أو توجيهات محددة، بل يفتح باب السؤال؛ مما جعل الشيخ يضيق بتكرار الأسئلة من جهة، وسطحية كثير منها![2]

ثالثاً: منهج الألباني:

شكل الشيخ رؤيته المنهجية والعلمية والدعوية، والتي تعد أساس الفكر السلفي المعاصر، وكان يرى أن هذه الرؤية هي الموصلة

(١) عصام موسى هادي، «محدث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني كما عرفته»، دار الصديق- السعودية، ط١، (٢٠٠٣م)، (ص٧٤).

(٢) عصام موسى هادي، «محدث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني كما عرفته»، دار الصديق- السعودية، ط١، (٢٠٠٣م)، (ص١١٩).

للدولة الإسلامية[1]، وإن كان الشيخ لم يتبن تكوين هيئة تحقق هذه الرؤية، ويبدو أنه بذلك يعتبر نفسه امتداداً لحركة مصلحي الشام[2]؛ الذين لم يشكلوا إطاراً أو تنظيماً لتجسيد هذه الرؤية؛ والتي كان يعبر عنها الألباني بقوله: «دعوتنا: ثقف، ثم كتل»، بعكس الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان له سعي قوي للتحالف مع قوة سياسية لتجسيد رؤيته الدعوية[3].

أهداف الألباني:

حدد الشيخ الألباني الأهداف التي يسعى إليها على شكل قواعد خمس عرفت باسم: «دعوتنا»[4]، وقد حرص الشيخ وتلاميذه على وضعها على أغلفة كتبهم، وهي ما يلي:

١- الرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، وَفَهمُهُما على النهج الذي كان عليهِ السَّلَف الصالح -رضوان الله عليهم-.

---

(١) كان الشيخ يقول لمن ينكر عليه طريقته بالدعوة: «الذين يشتغلون بالدعوة هم الذين يشتغلون بإقامة الدولة المسلمة، لكن لا يلهجون بهذا الكلام، ولا يستغلون عواطف الناس، وإنما يعملون على السكوت والصمت». من شريط للألباني «إقامة الدولة المسلمة».

(٢) راجع: محمد حامد الناصر، «علماء الشام في القرن العشرين»، ط١، (٢٠٠٣م)، دار المعالي- الأردن.

(٣) لقد حث الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن معمر -أمير العيينة- على تبني الدعوة بقوله: «إني لأرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها»، «عنوان المجد» لابن بشر (١/ ٩).

(٤) عصام موسى هادي، «حياة العلامة الألباني»، المكتبة الإسلامية- الأردن، ط١، (١٤٢٢هـ)، (ص٤١). الشيباني، (١/ ٤٩١).

٢- تعريف المسلمين بدينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه، التي تَكْفُلُ لهم رِضوانَ الله، وتُحَقق لهم السعادة والمجد.

٣- تحذير المسلمين من الشِّرك على اختلاف مظاهره، ومن البدع والأفكار الدخيلة، والأحاديث المنكرة والموضوعة؛ التي شَوَّهَت جمال الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين.

٤- إحياء التفكير الإسلامي الحر في القواعد الإسلامية، وإزالة الجمود الفكري الذي ران على عقول كثير من المسلمين، وأبعدهم عن منهل الإسلام الصافي.

٥- السعي نحو استئناف حياة إسلامية، وإنشاء مجتمع إسلامي، وتطبيق حكم الله في الأرض.

هذه دعوتنا؛ ونحن ندعو المسلمين جميعاً إلى مؤازرتنا في حمل هذه الأمانة التي تنهض بهم.

آليات الألباني:

أما عن الآليات الموصلة لهذه الأهداف؛ فقد وضحها الشيخ بعدد من «المفاهيم» التي أصبحت محور إجماع بين السلفيين وهي:

١) التصفية والتربية: وهي عند الألباني نقطة البدء بالإصلاح لحل مشكلة ضياع وتخلف المسلمين.

والمقصود بالتصفية: تقديم الإسلام إلى الشباب المسلم مصفى من كل ما دخله على مد هذه القرون والسنين الطوال من العقائد، ومن الخرافات والبدع والضلالات، ومن ذلك: ما دخل فيه من

أحاديث غير صحيحة قد تكون موضوعة...

فالتصفية إنما يراد بها: تقديم العلاج الذي هو الإسلام[1].

أما التربية؛ فالمقصود بها: تنشئة الجيل على العقيدة الإسلامية الصحيحة، تربية على أساس ألا يفتنوا؛ كما فتن الذين من قبلهم بالدنيا[2].

٢) من السياسة اليوم ترك السياسة: يعتقد الشيخ الألباني أن السياسة جزء مهم من الإسلام، وهو يشرح موقفه من السياسة بقوله: «نحن لا نشتغل في السياسة؛ لكن ليس لأن الاشتغال في السياسة ليس من الإسلام لا؛ السياسة من الإسلام... فنحن لا ننكر وجوب الاشتغال بالسياسة؛ لكننا رأينا في هذا الزمان أن من السياسة ترك السياسة.

والغرض الآن نوافق على عدم الاشتغال وقتيّاً، وإلا فكيف يمكن إقامة الدولة المسلمة إلا بمثل هذه السياسة؟!

لكن الذين ينبغي أن يشتغلوا بالسياسة ينبغي أن يكونوا علماء، أن يكونوا فقهاء، أن يكونوا علماء بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح[3].

٣) دعوتنا: ثقف، ثم كتل: وذلك أن الشيخ شاهد مفاسد التكتلات الإسلامية في عصره (جماعة الإخوان، حزب التحرير،

(١) الشيباني، «حياة الألباني»، (١/ ٣٧٧).

(٢) «حياة الألباني»، عصام هادي (٤٢)، «حياة الألباني»، الشيباني (١/ ٣٨١).

(٣) «محدث العصر»، عصام هادي (ص١٠٠)، مشهور حسن سلمان، «السياسة التي يريدها السلفيون»، الأردن (٢٠٠٥).

الجماعــة الإســلامية الهنديــة، جماعــة الــدعوة والتبليــغ...)، وأدرك خطــورة سياســة التجميــع دون تربيــة وتوعيــة؛ ولــذلك كــان يلخــص الفــرق بــين الــدعوة الــسلفية وغيرهــا مــن الجماعــات الإســلامية بقولــه: «دعوتنا: ثقف، ثم كتل، وغيرنا: كتل، ثم ثقف، ثم لا شيء»[1].

◄ رأي الشيخ من قضايا منهجية:

■ الموقف من الجماعات الإسلامية:

- يؤيــد الألبــاني وجــود و«قيــام الجماعــات الإســلامية، ويؤيــد تخــصص كــل جماعــة منهــا بــدور اختــصاصي؛ ســواء أكــان سياســيّاً، أم اقتــصاديّاً، أم اجتماعيّــاً...؛ ولكنــه اشــترط أن تكــون دائــرة الإســلام هــي التي تجمع هذه الجماعات كلها»[2].

- كــان يحــضر درس الــشيخ الكــثير مــن قــادة وأفــراد الجماعــات - كما سبق-.

- كان الــشيخ يــدرس في بيــوت الإخــوان المــسلمين في الأردن حــين يزورها قبل استقراره فيها؛ حتى امتنع الإخوان عن ذلك[3].

- كــان يعتــبر أن مــا يخــالف بــه تلــك الجماعــات إنمــا هــو الخــروج

---

(١) شــريط (٢٠١) مــن «سلــسلة الهــدى والنــور»، وهــو مفــرغ علــى الــرابط التــالي: http://islamfuture.net/prog/display.php?linkid=6967

(٢) الشيباني، «حياة الألباني» (٣٩٥/ ١). علي الحلـبي، «مسائل علميـة في الـدعوة والـسياسة الشرعية»، (ص١٢١)، ط٢، مكتبة ابن القيم- الكويت، (٢٠٠١م) (ص٩٥).

(٣) سليم الهلالي، «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة»، مركـز الدراسـات المنهجيـة السلفية، ط٣، (١٩٩٧م)، (ص١٦٥و٤٥٠).

على الكتاب والسنة في تربية أعضاء تلك الجماعات[1].

■ **الموقف من فكر ودعاة التكفير:**

يعتبر الشيخ من أكثر من تصدى لفكر التكفير؛ بسبب مخالطته للشباب في أكثر من بلد، وأنكر في بداية الثمانينات مصطلح (الجاهلية) الذي استخدمه سيد قطب، أي: قبل الضجة التي أثيرت حول سيد قطب في التسعينات.

كما أن الشيخ كان له الفضل بعد الله في القضاء على فكر جماعة المسلمين (الهجرة والتكفير) في الأردن سنة (١٩٧٣م)[2].

كما كانت له العديد من الفتاوى والإجابات التي تبين المنهج الصحيح فيها[3].

■ **الموقف من الجهاد:**

كان من أشد المناصرين للجهاد؛ متى كان ضد المحتل والكافر الأصلي، وتوفرت الإمكانية، كما في حرب (١٩٤٨م) بفلسطين[4]، كما أن الشيخ أفتى بوجوب الجهاد العيني في أفغانستان على المسلمين

---

(١) الشيباني، «حياة الألباني» (٣٩٦/ ١). علي الحلبي، «مسائل علمية في الدعوة والسياسة الشرعية»، (ص١٢١)، ط٢، مكتبة ابن القيم- الكويت، (٢٠٠١م) (ص٩٥).

(٢) نظام سكجها (إعداد)، «نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام للجماعات الإسلامية»، (ص٣٩٣)، ط١، المكتبة الإسلامية- الأردن، (١٩٩٩م).

(٣) علي الحلبي، «مسائل علمية في الدعوة والسياسةالشرعية»، (ص١٩)، ط٢، مكتبة ابن القيم- الكويت (٢٠٠١م).

(٤) (كشف الشبهات ورد الاعتراضات عن الدعوة السلفية المباركة)، ندوة لمركز الإمام الألباني (٢)، (ص٣٧). راجع هامش (٢) (ص٦).

المستطيعين الذهاب إلى هناك؛ كما صرح لمجلة «المجاهد الأفغانية»[(١)]، وقد كان من تأثير هذه الفتوى خروج آلاف الشباب السلفي للجهاد في أفغانستان، في الوقت الذي أصدر الشيخ سفر الحوالي شريطاً بعنوان «كلمة حول الجهاد»، رد فيه على كتاب عبد الله عزام «جهاد الأفغان من أهم فروض الأعيان».

ولكن الألباني كان من أشد الرافضين لأعمال العنف في الدول الإسلامية، وضد السلطات؛ فلذلك أفتى أن القتل هو حد جماعة جهيمان؛ حتى لو فعلوا فعلتهم خارج الحرم[(٢)].

وأيضاً أدان الشيخ ما جرى في مصر والجزائر[(٣)].

■ الموقف من التسمي بالسلفية:

كان الشيخ من الداعين للتسمي بالسلفية، ويرى هذه التسمية مهمة للتمايز عن الآخرين، وكان يعارضه في ذلك الشيخ مقبل الوادعي، وجهيمان[(٤)].

■ الموقف من المشاركة بالانتخابات البرلمانية:

أجاب الألباني عن سؤال لجبهة الإنقاذ الجزائرية حول المشاركة بالانتخابات البرلمانية؛ فقال: «في الوقت الذي لا ننصح

---

(١) (مقابلة مع الألباني)، أجراها عبد الله السبت، مجلة «المجاهد» عدد (٤) (ص٣٨)، شعبان (١٤٠٩هـ).

(٢) موسى عبد الله عبد العزيز، «دفع التحريش بالدليل لا بالتهويش»، (ص١٧٢).

(٣) عبد المالك الجزائري، «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر»، الأردن (٢٠٠١)، ط١، (ص٨٤).

(٤) مقبل الوادعي، «المصارعة»، (ص٢١١).

أحداً أن يرشح نفسه ليكون نائباً في برلمان لا يحكم بما أنزل الله...؛ لكن لا أرى ما يمنع الشعب المسلم إذا كان في المرشحين من يعادي الإسلام، وفيهم مرشحون إسلاميون من أحزاب مختلفة المناهج، فننصح -والحالة هذه- كل مسلم أن ينتخب من الإسلاميين فقط، ومن هو أقرب إلى المنهج العلمي الصحيح؛ الذي تقدم بيانه»[1].

■ **الموقف من الشيعة، ومشاركتهم السياسية:**

في سؤال لمجلة «المجاهد» مع الألباني حول حكم التعاون مع الشيعة في حكم أفغانستان؟

أجاب: «الذي يبدو -والله أعلم- أنه إذا كان المقصود بالتعاون مع الشيعة هو: أن يكونوا أعضاء في الحكومة الإسلامية، فيجب أن يشترط عليهم أن يكون دستور هذه الحكومة قائماً على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح؛ وليس على نظام ما يدين الشيعة به، بل ولا بد -في اعتقادي- أن يؤخذ عليهم العهد أن يكونوا في تعاونهم هذا على ما جاء في كتاب الدكتور موسى الموسوي المسمى بـ: «الشيعة والتصحيح»؛ فإذا رضي هؤلاء الشيعة بالتعاون مع أهل السنة هناك بهذا الشرط؛ فلا مانع عندي من الاستعانة بهم»[2].

---

(١) عبد المالك الجزائري، «مدارك النظر»، ط٢، دار أهل الحديث، (ص٣٤٠).

(٢) مجلة «المجاهد» عدد (٤) (ص٤٠)، شعبان (١٤٠٩هـ).

■ **فقه الواقع:**

يمكن تلخيص موقف الألباني في هذه القضية من رسالته «فقه الواقع»:

- «فقه الواقع هو الوقوف على ما يهم المسلمين؛ مما يتعلق بشؤونهم، أو كيد أعدائهم؛ لتحذيرهم، والنهوض بهم واقعيّاً؛ لا كلاماً نظريّاً».
- «معرفة الواقع للوصول به إلى حكم الشرع واجب مهم من الواجبات التي يجب أن يقوم بها طائفة مختصة من طلاب العلم النبهاء؛ كأي علم من العلوم الشرعية أو الاجتماعية».
- «الواجب تعاون هؤلاء الذين تفرغوا لمعرفة واقع الأمة مع علماء الكتاب والسنة وعلى نهج سلف الأمة، وهؤلاء يبينون فيها حكم الله»(١).

◄ **رأي الألباني في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:**

يعتبر الألباني أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب(٢):

● «له الفضل الأول من بعد شيخ الإسلام ابن تيمية في نشر دعوة التوحيد في العالم الإسلامي بصورة عامة، وفي البلاد النجدية والحجازية بصورة خاصة...».

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني، «سؤال وجواب حول فقه الواقع»، المكتبة الإسلامية- الأردن، ط٢ (١٤٢٢هـ)، (ص٢٩ وما بعدها) باختصار.

(٢) علي الحلبي، «مسائل علمية في الدعوة والسياسةالشرعية»، (ص١٩)، ط٢، مكتبة ابن القيم- الكويت (٢٠٠١م)، (ص١١٠).

• «يختلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فإن ذلك الشيخ الجليل قد دعا إلى الإسلام بكل نواحيه: أن يفهم على الوجه الصحيح؛ فهو -مثلاً- يحذر من الأحاديث الضعيفة، ويحذر من بناء الأحكام عليها»، و«وهذا يدل على أن شيخ الإسلام الثاني في التوحيد محمد بن عبد الوهاب ليس كشيخ الإسلام الأول: أنه في كل نواحي الدعوة، ومجالاتها الكثيرة».

• «بخلاف الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ فلم تكن له هذه العناية؛ لا في الحديث، ولا الفقه السلفي، فهو حنبلي، ومع الأسف الشديد لا معرفة عنده بالحديث الصحيح والضعيف»، ويفسر ذلك بـ «انكبابه واشتغاله في دعوة الناس إلى ذلك التوحيد الخالص هو الذي صرفه عن اشتغاله بإتمام بعض جوانب الدعوة السلفية، وذلك بمحاربة الجمود على التقليد وعلى التمذهب».

◄ تكامل الشيخ مع الجهود الإصلاحية الأخرى:

آمن الشيخ الألباني بتكامل الجهود في العمل الدعوي؛ وخاصة في مجال التثقيف والتأليف، وكان يرى أن من تطبيقات مبدأ «التصفية» الذي يؤمن به: المساهمة في تصفية بعض الكتابات العصرية المهمة لرموز الدعوة الإسلامية من الأحاديث الضعيفة؛ لما لها من دور مهم في «تربية» الصحوة الإسلامية، ومن ذلك[1]:

- تعقيبه على كتاب «الحجاب» للمودودي.

- كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ حسن البنا، فقد قام الألباني

(١) محمد إبراهيم الشيباني، «حياة الألباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه»، الدار السلفية- الكويت، ط١، (١٩٨٧م).

بمراجعته، والتعليق عليه، وتخريج أحاديثه.

- تخريج أحاديث كتاب «مشكلة الفقر، وكيف عالجها الإسلام» للشيخ يوسف القرضاوي.
- ألف الشيخ كتاباً مستقلاً هو «غاية المرام في تخريج أحاديث كتاب الحلال والحرام» للشيخ يوسف القرضاوي.
- تخريج أحاديث كتاب «المصطلحات الأربعة في القرآن» لأبي الأعلى المودودي.
- تخريج أحاديث كتاب «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالي.
- تخريجه لأحاديث كتاب «فقه السنة» للشيخ سيد سابق، وسماه: «تمام المنة».

والمتأمل في هذه الكتب التي أعتنى الشيخ الألباني بها؛ يجد بكل وضوح أنها كتب تخدم أهداف الشيخ في تربية المسلمين على الأحكام الشرعية الصحيحة؛ مما يحقق وجود المجتمع المسلم، الذي يعد بداية «السعي نحو استئناف حياة إسلامية، وإنشاء مجتمع إسلامي، وتطبيق حكم الله في الأرض».

وعناية الشيخ بهذه الكتب التي ألفها قادة بارزون في جماعات غير سلفية؛ تثبت جدية موقف الشيخ في التعاون بين الجماعات على ضوء الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة.

رابعاً: تلاميذ الألباني:

للشيخ الألباني الكثير من الطلاب والتلاميذ، في العديد من البلاد، ويمكن تقسيمهم إلى الفئات التالية:

١- طلابه في سوريا:

وهؤلاء هم تقريباً من تتلمذ على الشيخ مباشرة، وذلك في دروسه التي بدأت قبل عام (١٩٤٥م)، وهم على ثلاثة أقسام:

أ- الطلاب الذين حملوا منهج وفكر الشيخ السلفي، واستمروا ينتسبون لمدرسة الألباني، ومنهم:

- الشيخ محمد عيد عباسي، وهو من أبرز تلاميذ الألباني في سوريا، وقد سجن عقب أحداث حماة، وأفرج عنه في منتصف التسعينيات، ويقيم الآن في السعودية، وله كتاب «بدعة التعصب المذهبي»، و«الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى»[(١)].

- الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي، وهو من كردستان، وله تأليفات كثيرة، أسس جامعة ابن تيمية في كردستان[(٢)].

- الأستاذ خير الدين وانلي، وهو شاعر، له العديد من الكتب والدواوين الشعرية، من أهم كتبه «المسجد في الإسلام»[(٣)].

- الشيخ علي خشان، وله كتاب «وجوب الرجوع إلى الكتاب

---

(١) المرجع السابق (ص٩٩/ ١).

(٢) المرجع السابق (ص٩٤/ ١).

(٣) محمد إبراهيم الشيباني، «حياة الألباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه»، الدار السلفية- الكويت، ط١، (١٩٨٧م). (ص٩٩/ ١).

والسنة»[1].

- الشيخ محمد جميل زينو، الداعية المعروف، والمدرس بدار الحديث بمكة[2].

- الشيخ عبد الرحمن عبد الصمد، الذي رحل للكويت وتوفي في حادث سيارة خلال رحلة دعوية بأستراليا، وله مجموعة من الكتب، منها: «أسئلة طال حولها الجدل»[3].

- الأستاذ محمود مهدي الأستنبولي[4].

ب- الطلاب الذين حملوا منهج الشيخ السلفي؛ لكنهم لم ينتسبوا لمدرسة الألباني، وحسبوا على اتجاهات سلفية أخرى، مثل: محمد حامد الناصر، وهو باحث له عدد من الكتب، منها: «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب»[5].

جـ- زملاء الشيخ وقادة ومفكرون استفادوا من الشيخ، وتأثروا بمنهجه؛ مع ارتباط بعضهم بجماعات أخرى، ومنهم:

- الأستاذ زهير الشاويش، المؤرخ المعروف، وصاحب المكتب

---

(١) المرجع السابق (ص١٠٥/ ١).

(٢) المرجع السابق (ص١٠٥/ ١).

(٣) المرجع السابق (ص١٠٢/ ١)، إبراهيم حميد الساجر، «المقتصد من حياة الشيخ أبو يوسف عبد الرحمن عبد الصمد»، الكويت (١٩٨٩م) ط١، (ص ١٣).

(٤) محمد حامد الناصر، «علماء الشام في القرن العشرين»، دار المعالي- الأردن ط١، (٢٠٠٣م)، (ص١٧٩).

(٥) المرجع السابق (ص١٧٨).

الإسلامي، والنائب عن جماعة الإخوان في البرلمان السوري[1].

- الأستاذ عصام العطار، المراقب العام الأسبق لجماعة الإخوان المسلمين بسوريا، ورئيس جماعة الطلائع الإسلامية، وهو مقيم حاليّاً بألمانيا[2].

- الشيخ الدكتور عبد الرحمن الباني[3].

٢- طلابه في المدينة المنورة:

وهؤلاء الطلبة أصبح لكل منهم دعوة سلفية قوية، وإن تمايزت وتباينت رؤاهم العملية؛ لكن كلهم بقي في دائرة السلفية، ومبدأ التصفية والتربية، ونبذ الثورية، ومن أبرزهم:

- الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، الذي تتلمذ على الشيخ في الجامعة الإسلامية[4]، وعمل على تطبيق منهج الألباني، فأسس الدعوة السلفية بالكويت، وتدرج بها إلى أن وصلت إلى مرحلة متقدمة جدّاً، تمثلت مؤسساته التنظيمية بـ «جمعية إحياء التراث الإسلامي»، و«التجمع الإسلامي الشعبي»، وذلك بفضل الله أولاً، ومن ثم بسبب شخصية الشيخ عبد الرحمن القيادية والتنظيمية، وتوفر البيئة المساعدة من انفتاح سياسي ورخاء اقتصادي.

---

(١) المرجع السابق (١٧٩).

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) محمد إبراهيم الشيباني، «حياة الألباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه»، الدار السلفية- الكويت، ط١، (١٩٨٧م)، (ص٩٦/ ١، ٥٤٨/ ٢).

وتتميز دعوته بـ [1]:

- العمل الجماعي المنظم.
- وضع آلية واضحة لتربية الأفراد والأمة.
- المشاركة بالعمل السياسي على كافة مستوياته، والانتخابات الطلابية، والجمعيات التعاونية، والبلدية، والبرلمانية، ودخول الوزارة.
- دعم وتوجيه الحركات السلفية في العالم لاتباع هذا المنهج.

- الدكتور الشيخ عمر الأشقر[2]، من كبار رجالات جماعة الإخوان المسلمين الفلسطينيين، وله عشرات المؤلفات، وبعضها مقرر في الجامعات، درّس في جامعة الكويت، وبعض جامعات الأردن، آثر الشيخ عمر الأشقر البقاء في صفوف جماعة الإخوان، ونشر الدعوة السلفية في داخلها؛ كما يتضح ذلك في شخصيات وقيادات تنظيم الإخوان الكويتي[3] والفلسطيني، كما أن رأي الدكتور الأشقر في حكم دخول الوزارة[4] هو الذي تبنته جماعة الإخوان الأردنية.

---

(١) د. فلاح عبد الله المديرس، «الجماعة السلفية في الكويت»، دار قرطاس- الكويت، ط١، (١٩٩٩م). وائل الحساوي، «الدعوة الإسلامية في الكويت: أهدافها، إنجازاتها، رد الشبهات حولها»، الدار السلفية- الكويت، ط١، (١٩٨٥م)، «جمعية إحياء التراث الإسلامي»، منهج الجمعية للدعوة والتوجيه، الكويت (١٩٩٧م).

(٢) محمد إبراهيم الشيباني، «حياة الألباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه»، الدار السلفية- الكويت، ط١، (١٩٨٧م)، (ص٩٨/ ١).

(٣) انظر: جاسم محمد مهلهل، «للدعاة فقط»، دار الدعوة- الكويت، طارق محمد سويدان، «مختصر العقيدة الإسلامية»، قرطبة للإنتاج الفني- السعودية.

(٤) إبراهيم غرايبة، «جماعة الإخوان المسلمين في الأردن، ١٩٤٦-١٩٩٦)، دار سندباد-

- الشيخ مقبل الوادعي[1]، الداعية اليمني المعروف، والذي نشر الدعوة السلفية في اليمن، وأسس مدرسة الحديث بمنطقة دمّاج[2].

ومدرسة الشيخ مقبل تركز على تعليم الطلاب الوافدين لها من مختلف البلدان، وليس لها توجه سياسي، بل هي مؤيدة بشدة للنظام اليمني، وشديدة الخصومة لجماعة الإخوان المسلمين والجمعيات السلفية الأخرى في اليمن؛ كجمعية الحكمة، وجمعية الإحسان.

وللشيخ مقبل مؤاخذات على كبار العلماء؛ كالعلامة ابن باز، وابن عثيمين، والألباني؛ بسبب حدة طبعه، وتأثير البيئة اليمنية من جهة، وظروف الشيخ التي تطلبت منه المواجهات القوية ضد خصوم الدعوة السلفية[3] من جهة أخرى.

- الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، المدرس سابقاً بالجامعة الإسلامية، والداعية المعروف بالمدينة المنورة، له العديد من المصنفات حول سيد قطب، والتيار السروري.

والشيخ ربيع كان هو والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في جماعة

الأردن، ط١، (١٩٩٧م)، (ص١١٠).

(١) أحمد محمد العديني، (الإمام الألمعي مقبل بن هادي الوادعي)، دار الإيمان- الإسكندرية، ط١، (٢٠٠٣م)، (ص٤٢، وص٢٠٢).

(٢) محمد موسى العامري، «الشيخ مقبل الوادعي آراؤه العلمية الدعوية- دراسة ونقد»، (ص٢١).

(٣) أحمد محمد العدينى، «الإمام الألمعي مقبل بن هادي الوادعي»، دار الإيمان- الإسكندرية، ط١، (٢٠٠٣م).

الإخوان المسلمين بالمدينة، لكنهم خرجوا منها[1]، وكانت علاقتهم جيدة حتى دخول صدام الكويت؛ فحدث الخلاف بينهما على السياسة الشرعية في التعامل مع الجماعات والحركات؛ غير السلفية[2]، فتبنى الشيخ ربيع تبديع ومهاجمة كل الجماعات غير السلفية، بل بدّع كثيراً من السلفيين الذين خالفوه في مسائل فرعية[3]، ومن ثم دب النزاع بين أتباع وأنصار الشيخ ربيع، فانقسموا لعدة مجموعات، من أشهرها: جماعة الشيخ فالح الحربي؛ والذي كان يعد ساعده الأيمن.

ولكن القاسم المشترك بينهم هو حرب «الأخوين: سيد ومحمد قطب» ومن يحترمهما؛ كسفر الحوالي، وناصر العمر، وسلمان العودة، وعبد الرحمن عبد الخالق، وعدنان عرعور.

٣- طلاب الألباني في الأردن:

وأغلبهم تتلمذ على كتب الشيخ، والأسئلة التي توجه له في اللقاءات؛ لندرة المجالس العلمية التي عقدها الشيخ للتدريس؛ فقد كانت أغلب مجالس الشيخ أسئلة وأجوبة، وبعضهم كانت له زيارات للشيخ الألباني حين كان في سوريا.

ومن أبرز تلاميذ الشيخ في الأردن:

- الشيخ محمد إبراهيم شقرة، درس بالأزهر، وانتسب لجماعة

---

(١) ربيع المدخلي، «النصر العزيز على الرد الوجيز»، دار الغرباء- السعودية، عبد الرحمن عبد الخالق، «الرد الوجيز»، الكويت، ط٢، (١٩٩٦م)، (ص١٧).

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق، «الرد الوجيز»، الكويت، ط٢، (ص٤).

(٣) انظر: كتب الشيخ ربيع، وموقعه على شبكة الإنترنت.

الإخوان في مصر، وعمل مدرساً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة[1]، تولى منصب مدير المسجد الأقصى، ومدير صندوق الزكاة، كان له الفضل الأول بعد الله ﷻ في استقرار الشيخ الألباني في الأردن، وله عدد من الكتب أهمها: كتاب «مراحل العمل من أجل نهضة إسلامية معاصرة»، كتبه سنة (١٩٧٩م)، وكتاب «هي السلفية نسبةً وعقيدةً ومنهجاً» سنة (١٩٩٢م)، والذي أثار ضجة وخلافاً مع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق[2]، وفي آخر حياة الشيخ الألباني حصل خلاف بين الشيخ شقرة والقائمين الآن على مركز الإمام الألباني؛ وصل لحد القطيعة[3].

- الشيخ محمد رأفت[4]، وقد كان من قادة الإخوان المسلمين، وفي عام (١٩٧٣م) تبنى فكر سيد قطب وغالى فيه مع مجموعة عرفت باسم «طلائع البعث الإسلامي»؛ لحد تكفير المجتمع وهجره، وعجز قادة الإخوان عن التصدي لهذا الفكر المنحرف؛ فاستعانوا بالشيخ الألباني الذي قدم من دمشق لذلك؛ إلا أن رأفت رفض العودة

---

(١) عاصم محمد شقرة، (ترجمة الشيخ محمد إبراهيم شقرة)، بحث منشور في موقع «صيد الفوائد» على شبكة الإنترنت.

(٢) راجع أشرطة «حوار مع الشيخ الألباني» لعبد الرحمن عبد الخالق، وقد نشرتها مجلة «الفرقان» الكويتية، وكذلك أشرطة رد الشيخ شقرة على عبد الرحمن عبد الخالق.

(٣) انظر: «تنوير الأرجاء بمفهوم الإرجاء» عدد خاص من مجلة «الأصالة»، رقم (٢٥، ٢٦)، (محرم/ ربيع أول ١٤٢١هـ)، و«الردود العلمية السنية» لعاصم شقرة.

(٤) سليم الهلالي، «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة»، «مقابلة مع محمد رأفت ممثل السلفيين في الأردن» سنة (١٩٧٨م)، نظام سكجها (اعداد)، «نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام للجماعات الإسلامية»، (ص٣٩٣)، ط١، المكتبة الإسلامية- الأردن، (١٩٩٩م).

لجماعة الإخوان، وأصبح من الدعاة السلفيين، ومن ثم دخل البرلمان الأردني في نهاية التسعينيات، وزار الكنيست؛ فسقطت شعبيته.

- الشيخ علي حسن الحلبي، تعرف على الألباني أواخر عام (١٩٧٧م)، له العديد من المؤلفات، ومن مؤسسي «مجلة الأصالة»، ومركز الإمام الألباني[١].

- سليم عيد الهلالي، تعرف على الشيخ الألباني أثناء نقاشاته مع «طلائع البعث الإسلامي»، ومن ثم أصبح يتردد على الشيخ في سوريا، حصل على الماجستير في الحديث من الباكستان، وهو من المؤسسين لمجلة «الأصالة»، ومركز الإمام الألباني[٢]، وله العديد من المؤلفات، وقد اتهم بسرقة بعضها[٣].

وقد حصل له نزاع مؤخراً مع بقية أعضاء مركز الإمام الألباني على خلافات مالية؛ أدت إلى نبذهم له.

- الشيخ مشهور حسن سلمان، نشأ في جماعة الإخوان وتعرف على الشيخ الألباني وهو فيها، ومن ثم فارق الإخوان، له تحقيقات وتأليفات عديدة، وهو من المؤسسين لمجلة «الأصالة»، ومركز الإمام الألباني[٤].

- الشيخ محمد موسى نصر، تعرف على الألباني بداية

(١) موقعه على شبكة الإنترنت.

(٢) موقع شبكة الإسلام الذي يشرف عليه الهلالي.

(٣) انظر: «الكشف المثالي عن سرقات سليم الهلالي» لأحمد الكويتي، و«ردّ الأقوال التي نقلها سليم الهلالي عن كتب الشهيد سيد قطب إلى مظانها الصحيحة وتصويبها » وائل البتيري.

(٤) موقعه على شبكة الإنترنت.

السبعينات من خلال كتبه، فسافر إليه في سوريا؛ وقابله في المكتبة الظاهرية، درس بالجامعة الإسلامية، وحصل على الماجستير من الباكستان، والدكتوراة من السودان، وعمل في البحرين واعظاً، وهو من المؤسسين لمجلة «الأصالة»، ومركز الإمام الألباني[1].

- الشيخ عبد العظيم بدوي[2]، وهو مصري، أقام مدة بالأردن، وكان له نشاط واسع في الدعوة إلى الله، عاد إلى مصر فحصل على الماجستير والدكتوراة، وزاد نشاطه الدعوي، له مشاركات عديدة بالفضائيات.

- وهناك الكثير من طلبة الشيخ في الأردن مثل: الشيخ حسين العوايشة، والشيخ مراد شكري، والشيخ سمير مراد، والشيخ عصام هادي، والشيخ عبد الله الموصلي، وغيرهم.

٤- طلابه عبر الكتب، أو الأشرطة، أو الهاتف، أو الزيارة القصيرة:

وهؤلاء كثير جدّاً لا يمكن حصرهم، ومن أبرزهم:

- الشيخ أبو إسحاق الحويني[3]، وهو من كبار علماء الحديث اليوم، ويقيم في مصر، وله نشاط دعوي واسع، وحضوره في القنوات الفضائية قوي جدّاً.

---

(١) موقعه على شبكة الإنترنت.

(٢) موقعه على شبكة الإنترنت.

(٣) راجع مقدمة كتابه «تنبيه الهاجد».

خاتمة

لعل من الكلمات المختصرة التي وصفت الشيخ الألباني بعمق ما قاله الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق دفاعاً عن الشيخ ضد هجوم مجلة «المجتمع» الكويتية على الألباني:

«لم ينضم ناصر الدين طيلة حياته إلى جماعة معينة من جماعات الدعوة، ولم يعاد أي مجموعة منها، ونصح لها جميعاً، ولم يدخر وسعاً في تربية شباب أي مجموعة منها، وقام بنشر العلم الشرعي بكل طاقته في كل اتجاه، وتلامذة الشيخ من جميع الجماعات والتنظيمات الإسلامية، فله تلاميذ وأحباب من جماعة الإخوان المسلمين، ومن جماعة حزب التحرير، ومن جماعة عباد الرحمن، ومن السلفيين، ولم ينشء الشيخ تنظيماً خاصّاً، ولا أقام جماعة خاصة بنظام خاص؛ لا لعجزه عن ذلك، ولا لأنه يرى أن هذا حرام وإثم؛ ولكن لأنه يرى أن الأولى به أن ينشر علمه للناس جميعاً، وللجماعات كافة؛ وذلك أنه يرى أن المنهج السلفي لفهم الدين هو المنهج الكفيل بعودة المسلمين إلى الدين الحق عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقاً»[1].

(١) الشيباني، «حياة الألباني»، (٢/٥٤٥).

الإمام الألباني ومحاربة الغلو والتطرف
من تاريخ الدعوة الإسلامية في الأردن

«الغد» (١٦/ ٤/ ٢٠٠٥)

الدعوة الإسلامية في الأردن -كغيرها من البلاد- قامت امتثالاً لأمر الله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود:٨٨].

ومن الإصلاح المقصود شرعاً: حماية الدين من الغلو والتطرف من جهة، وحمايته من التساهل والتسيب من جهة أخرى.

ومن الإصلاح المقصود: النهوض بالأمة، وتجاوز حالة التخلف والغثائية التي تعيشها، ومن وسائل ذلك: الاستفادة من التاريخ والتجارب التي مرت بها؛ كما علمنا المصطفى ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»، فجعل علامة المؤمن: عدم الوقوع في الخطأ نفسه مرتين؛ ولكن واقعنا -وللأسف- لا يتقيد بذلك!!

والاستفادة من التاريخ والتجارب علامة رقي وفلاح، ولهذا اعتنى القرآن الكريم بقصص الأنبياء والأقوام السابقين، ولا تكمل الفائدة من التاريخ إلا إذا تأكدنا من صدق الأحداث والوقائع بداية، ثم استخرجنا العبر الصحيحة منها.

ورغبة في تحقيق هذين المقصدين للدعوة الإسلامية الإصلاح والاستفادة من التاريخ؛ أود عرض تجربة تاريخية مهمة لا يعرفها كثير

من المعنيين؛ فضلاً عن الناس، وهي: قصة انتشار فكر الغلو والتكفير في محافظة السلط عام (١٩٧٣م) تحت اسم: «جماعة طليعة البعث الإسلامي».

ومصدر هذه القصة مؤسس الجماعة؛ كما دونها في كتاب مهم، حوى تجربة (٣٠) شخصية إسلامية من اتجاهات عدة، وبلدان مختلفة، وعنوان الكتاب: «نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام للجماعات والأحزاب الإسلامية»، من إصدار المكتبة الإسلامية بعمان عام (١٩٩٩م).

ملخص القصة: أن النائب الشيخ محمد رأفت بعد أن تنازع مع جماعة الإخوان المسلمين، وانشق عنهم، وأسس «طليعة البعث» على فكر سيد قطب رحمه الله؛ لم يتمكن أحد من ردعهم عن هذه الأفكار؛ كما يقول الشيخ محمد رأفت: «ولولا الله -تعالى- أن تداركنا بلطفه وفضله، ويسر لنا الأستاذ الألباني لحدث أن تأصلت فكرة الغلاة من الخوارج في العصر الحاضر»، وكان الشيخ الألباني قد استدعي من سوريا لهذا الغرض قبل استقراره في عمان بسنوات.

ويروي محمد رأفت تعامل الإمام الألباني معهم؛ فيقول:«شاء الله أن ينقذنا من هذا الغلو الشيخ الألباني -بفضل الله -تعالى- وكرمه ومنته-؛ عن طريق مناظرات متواصلة في ثلاثة أيام بحوالي سبع عشرة ساعة... وأذكر موقف الشيخ في ليلة كاملة مع أحد أفراد طليعتنا في صبر ومصابرة، في مناظرة علمية دقيقة؛ مع مكابرة -أحياناً- من الأخ، والشيخ صابر محتسب الأجر..».

ومن أتيح له سماع هذه المناقشات يرى فيها الأسلوب الأنجح

للتعامل مع الغلو، ذلك أن فكر الغلو لا يقصمه سوى الحوار العلمي، وقد تقرر ذلك من زمن الصحابة ﭬ لما ناظر عبد الله بن عباس الخوارج؛ فرجع منهم أربعة آلاف، وسبب هذا التأثير للحوار العلمي معهم أن حملة فكر الغلو يزدادون تمسك به إذا تعرضوا للمحن -في الغالب-؛ لأنهم يعدون المحنة دليلاً على صدق الفكرة والمنهج!

وحتى تحصل الفائدة بالحوار مع فكر الغلو؛ لابد أن تتوفر الأمور التالية:

- عالم متمكن يحسن النقاش العقلي؛ لأنهم في الغالب من قليلي البضاعة في الدين والدنيا.
- عالم يثق به الخصم؛ ليس فيه مطعن في خلقه أو تدينه.
- ليكن الهدف: حماية المقبلين على الدين من الغلو، فالوقاية خير من العلاج.
- لن يأتي الحوار بنتيجة إن لم يتوفر الأمن والحرية فيه، فلا يحسن أن يجرى في السجون.

لنستفد من هذه التجربة التي حمت الأردن من هذا الفكر عام (١٩٧٣م)، وكذلك تجربة ندوة الرأي الشهيرة في مصر في الثمانينات؛ مع تجاوز الأخطاء التي حصلت فيها، والحوار الدائر في اليمن اليوم.

وفي الختام؛ إن التجربة التي دونها الشيخ محمد رأفت مع الإخوان المسلمين في فلسطين والأردن تجربة غنية وفريدة، لم تنل

حظها من الدراسة والبحث، وتعالج جوانب أخرى لم يتعرض لها من درس هذه التجربة الإخوانية، مثل: إبراهيم غرايبة، أو عبد الله أبو عزة، كما أن تجربته في طليعة البعث تحتاج مزيد درس، وكذلك ملاحظاته على الدعوة السلفية في الأردن؛ والتي تصلح شخصيته أن تكون أحد مصادر دراسة وتقويم هذه التجربة السلفية الأردنية.

وقد تتضح أهمية دوره في التاريخ المعاصر للسلفية إذا علمنا أن مؤلفي كتاب «الجماعات الإسلامية» سليم الهلالي وزياد الدبيج السلفيين؛ حين قابلوا قادة الجماعات الإسلامية في الأردن عام (١٩٧٨م) كان محمد رأفت هو الذي قابلوه باسم السلفية.

فهذه دعوة لدراسة تجارب العمل الإسلامي المحلي، والاستفادة منها للمستقبل؛ فهل تجد آذان صاغية؟!

العلامة الحويني ضيف على عمان

«الغد» (١٨/ ٧/ ٢٠٠٨)

فوجئت من شهور وخلال حديثي مع صاحب البقالة المجاورة لمنزلي حول العلماء والدعاة الذين يظهرون على شاشة الفضائيات؛ بأنه متابع لدروس وبرامج العلامة أبي إسحاق الحويني، وأنه مستمتع بتعلم علم مصطلح الحديث الذي يشرحه العلامة الحويني بسهولة بالغة في ثنايا برامجه ودروسه!

يعود التعجب لأنني اعتقدت أنه سيفضل بعض الدعاة ممن يكثرون من القصص والمواعظ العامة، وذكرني هذا بما سمعته من بعض الأصدقاء عن دورة مكثفة في علم مصطلح الحديث قدمها الشيخ الحويني في الكويت -قبل ظهوره على الفضائيات-؛ ورغم أنها كانت دورة علمية مكثفة، وتوقيتها بعد صلاة العشاء؛ إلا أن كافة رواد المسجد من العامة -وخاصة من كبار السن- كانوا من المداومين على حضور الدورة بجدية، وتراهم يحملون دفاترهم وأقلامهم، ويسجلون الفوائد والمعلومات التي يقدمها الشيخ.

وكما سجل للعلامة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في عصرنا الحاضر شرف إحياء علم الحديث ونشره بين طلبة العلم والعلماء، ونجاحه - بفضل الله ﷻ- في مشروعه «تقريب السنة بين

يـدي الأمـة»؛ الـذي كـرس جـل حياتـه لـه؛ فإنـه سيـسجل -بـإذن الله- للعلامـة الحـويني تبـسيط علـم الحـديث والمـصطلح، وجعلـه علمـاً شـعبيّاً -إن صـح الوصـف-، ذلـك أن الـشيخ الحـويني قـد منحـه الله القـوة في علـم الحـديث؛ بـشهادة علمـاء العـصر، ومنحـه -أيـضاً- القـدرة علـى تبـسيط المعلومـة بطريقـة محببـة للجمهـور العـام، كمـا أن أسـلوب الـشيخ القـائم علـى ضـرب الأمثلـة مـن واقـع حيـاة النـاس، والتركيـز علـى توظيــف القــصة الــصحيحة الثابتــة في الــشرح، واســتخدام وســائل الإيــضاح في دروســه -حتــى الفــضائية منهــا-؛ ســهل وصــول علــم الحديث لعامة المسلمين.

والتأصـيل العلمـي الـذي تأسـس عليـه الـشيخ الحـويني؛ والـذي يقوم بنشره عبر دروسـه هـو الـذي حفـظ الـشيخ مـن الانجـرار في تيـارات التـشدد والغلـو؛ والـتي كـان ضـعف التأصـيل الـشرعي فيهـا عمومـاً، وعلـم أصـول الفقـه والحـديث خـصوصاً هـو سـبب انحرافهـا، ولـذلك فـإن تحـصين الأمـة بـالعلم الـشرعي، ورفـع درجـة وعيهـا بأصـول فهـم الـدين؛ هـو الـسبيل لوقايـة الـشباب مـن قبـول الأفكـار الهدامـة؛ سـواء بالتفريط أو الإفراط.

والعلامــة الحــويني يــزور الأردن هــذه الأيــام؛ لتقــديم بعــض المحاضــرات، وقــد ســبق لــه زيــارة الأردن ســنة (١٤٠٧ هــ/ ١٩٨٧م)؛ للقاء الشيخ الألبـاني، وفيمـا دونـه وحـدث بـه الـشيخ الحـويني عـن لقائـه بالـشيخ الألبـاني دروس وعـبر تربويـة، يجـب علـى كافـة طلبـة الحـديث وغيرهــم التمـسك بهـا، كمـا أن في الأشـرطة المـسجلة لهـذه اللقـاءات علماً جمّاً.

والعلامة أبو إسحاق الحويني هو: حجازي محمد شريف، من مصر ولد عام (١٣٧٥ هجرية(، تخرج من كلية الألسن قسم اللغة الأسبانية، وكان الأول على دفعته في كل أعوامها عدا السنة الأخيرة؛ حيث كان الثاني على الدفعة، وكان قد بدأ طلب علم الحديث بعد أن طالع كتاب «مختصر صفة صلاة النبي ﷺ»، وكتاب «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للشيخ الألباني؛ وذلك سنة (١٣٩٥هـ)، ثم حضر دروس الشيخ محمد نجيب المطيعي في الحديث والفقه الشافعي، وكان المطيعي يشرح أربعة كتب، وهي: «صحيح البخاري»، و«المجموع» للنووي، و«الاشباه والنظائر» للسيوطي، و«إحياء علوم الدين» للغزالي.

ولما كان الشيخ الحويني في فتوته من المتابعين للشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله؛ لما لديه من العاطفة الصادقة، والأسلوب الممتع، والإخلاص -بإذن الله-؛ فقد أدرك خطورة إيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الخطب والمواعظ حين تعلم علم الحديث، وظهر له أن كثيراً مما سمعه من الشيخ كشك هو أحاديث ضعيفة، ولذلك تجد الحويني يركز في دروسه على بيان ما يشيع بين العامة من أمثال هذه المنكرات، وهو ما يجب على كل خطيب ومدرس أن يدقق فيما يورده للناس من الأحاديث والآثار والقصص؛ فلا يورد إلا الصحيح الثابت.

وللعلامة الحويني (٣٤) كتاباً؛ ما بين رسالة صغيرة، أو كتاب من عدة مجلدات، وصلت في مجموعها إلى (٥٤) مجلداً.

العلامة الحويني من كبار رموز المدرسة السلفية المعاصرة، كما

أنه من أهم المشتغلين بعلم الحديث في زمننا هذا، لكنه تميز عن غيره من أهل الحديث بأنه أعاد لنا سيرة كبار المحدثين؛ من أمثال: الإمام أحمد ابن حنبل، والإمام عبد الله بن المبارك؛ واللذين جمعا بين كونهما علماء كباراً، ورجال عامة -أيضاً-، فقد كان الإمام أحمد السد الذي حمى الله ﷻ به الأمة من دكتاتورية المعتزلة الذين فرضوا الاعتقاد بفكرة خلق القرآن، كما أنه كان رجل أمة اتبع الناس اجتهاده، وجعلوه مذهباً لهم في الفقه، أما الإمام عبد الله بن المبارك؛ فقد كان عالماً كبيراً في الحديث، ورجل أمة؛ لا يتخلف عن الطليعة والقيادة والتوجيه للناس، ولا يزال الناس يتناقلون ما يروى من شعره الذي كتبه للفضيل بن عياض:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتَنا لعلمتَ أنَّكَ في العبادةِ تلعبُ
مَنْ كانَ يخضبُ خدَّه بدموعِه فنحورُنا بدمائِنا تَتَخْضَبُ
أو كان يتعبُ خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ
ريحُ العبير لكم ونحنُ عبيرُنا رَهَجُ السنابكِ والغبارُ الأطيبُ
ولقد أتانا من مقالِ نبينا قولٌ صحيحٌ صادقٌ لا يَكذبُ
لا يستوي غبارُ أهلِ الله في أنفِ أمرئٍ ودخانُ نارٍ تَلهبُ
هذا كتابُ الله ينطقُ بيننا ليسَ الشهيدُ بميتٍ لا يكذبُ

وعلى هذا المنوال درج العلامة الحويني، فهو من علماء الحديث المشهود لهم؛ لكنه لم يقتصر على هذا، بل جعل علم الحديث باباً واسعاً للدعوة إلى الله، فالسنة شارحة القرآن ومفسرته، والإسلام هو القرآن والسنة، فأنت تجد في سنة الرسول ﷺ كل ما تحتاجه من

دروس وعبر في الدعوة إلى الله ﷻ.

ولقد أعاد الشيخ الحويني للمحدثين دورهم الحقيقي بإرشاد الناس لسنة النبي ﷺ؛ حتى يتحقق عمليّاً شعار «الرسول قدوتنا»، فكيف نقتدي بمن لا نعرف صفاته ولا أوامره؟؟

إن بذل علم الحديث للناس وإيصاله لهم سهلاً ميسراً بكل وسيلة مطبوعة أو مسموعة أو مرئية هو حقيقة الدعوة للرجوع إلى الكتاب والسنة، وهو الدور الحقيقي لورثة الأنبياء للقيام بمهمة البلاغ المبين.

السلفيون في انتخابات الكويت

«الغد» (٢٢/ ٥/ ٢٠٠٩)

حظيت نتائج انتخابات مجلس الأمة الكويتي بسيل منهمر من المقالات العلمانية الشامتة بتراجع عدد مقاعد النواب الإسلاميين؛ وخصوصاً السلفيين والإخوانيين، وقد يكون من الطبيعي حدوث مثل هذه الشماتة من قبل الخصوم الألداء! لكن من غير الطبيعي ما نقرأه بين سطور ما يكتبه هؤلاء العلمانيون!

وبالمناسبة؛ فإنّ مقالات الشماتة هذه لم تقتصر على علمانيي الكويت، بل شاركهم فيها بقية أعضاء منتخب العلمانية في العالم العربي!!

قبل موعد الانتخابات باسبوع تقريباً سألتُ أحد القيادات السلفية، ووكيل النائب الفائز خالد السلطان عن مدى إنجازات أبناء التيار السلفي في الكويت على الصعيد العام؛ من حيث مواقعهم كموظفين، أو مدراء ومسؤولين، أو قيادات؟ وكان الجواب: أنه لا يمكن الزعم بأن لهم تميز مخصوص؛ فإن حال السلفيين كحال سائر الناس، ففيهم الجيد والمميز، وفيهم العادي، وفيهم من هو دون ذلك.

وشخصيّاً أعتقد أن السلفية في الكويت تشكل تميزاً وتقدماً

كبيراً ولافتاً للنظر بالنسبة لخريطة الانتشار السلفي في العالم؛ من حيث الطرح الإسلامي الشمولي، وبناء المؤسسات، وتجاوز العمل الفردي، والانخراط في عملية بناء المجتمع وإدارته.

لكن هذا الوضع شابه بعض المعوقات التي قد تحد من تقدمه وازدهاره؛ كما حدث مع كثير من التجارب السلفية المعاصرة، فعند مقارنة مشاريع وبرامج أعلام السلفية منذ مطلع القرن الماضي؛ كرشيد رضا، أو جمال الدين القاسمي، أو محب الدين الخطيب، أو ابن باديس؛ تجد أنها كانت تتميز بكثير من النضج والتقدم مقارنة مع وضع كثير من الحالات السلفية اليوم، ويمكن أن يعد من أسباب ذلك: انشغال هؤلاء الأعلام ببعض النخب السياسية والمثقفة عن تكوين جماعات وأحزاب تتبنى الفكرة السلفية، وأيضاً أن هؤلاء الأعلام كانوا يحاربون على عدة جبهات، منها: جبهة التخلف والجهل؛ الذي تدافع عنه مجموعات من علماء السوء المنتفعين من انتشار الجهل والخرافة؛ بترويج احتفالات الموالد، والنذور للأضرحة والأولياء؛ التي تدر عليهم أموالاً طائلة، ومنها: جبهة الغازي الأوربي الكافر الذي غزانا عسكريّاً وثقافيّاً، واجتمعت مصالحه مع مصالح علماء السوء؛ فتعاونوا سويّاً على حرب المصلحين السلفيين!

وهكذا في غمرة الإنشغال مع النخب السياسية والمثقفة بالغازي الأجنبي وحليفه المحلي من علماء السوء؛ ضعف البعد الشعبي عن هؤلاء المصلحين، فلم يجدوا من يكمل مسيرتهم بتمامها، لكنهم أوجدوا بيئة تمكّن فيها أمثال الأستاذ حسن البنا من تكوين جماعته: (جماعة الإخوان المسلمين).

وأخشى أن شيئاً قريباً من هذا حدث للدعوة السلفية في الكويت؛ فهي بعدما أصبحت ركناً أساسيّاً من أركان المجتمع الكويتي كان يفترض بها أن تواصل مشوارها لتحقيق غايتها الأساسية؛ وهي الإحسان لله ﷻ بالطاعة والعبادة، والإحسان للناس بحسن الخلق والمساعدة والتنمية والعطاء ابتغاء رضوان الله ﷻ، لكن إثر احتلال العراق للكويت في سنة (١٩٩٠) دخلت الدعوة السلفية في دوامة من الصراعات الداخلية؛ كان من نتيجتها خسارة بعض الطاقات الكبيرة، وخلل في المسيرة، ومن ثم شكلت تداعيات أحداث (١١ سبتمر ٢٠٠١) عاملاً إضافيّاً في تحويل الجهد من البناء والتقدم إلى الدفاع في وجه الاتهامات الكاذبة بالتطرف والإرهاب.

هذا كله قد يكون نتج عنه حالة من الترهل والدخول في صراعات أو تحالفات لم يكن من الصواب الدخول فيها، وكان الواجب هو التركيز على مواصلة المنهج السلفي في التربية الشاملة للإنسان، فالدعوة السلفية تسعى لبناء الإنسان الصالح؛ وليس المواطن الصالح، هذا الإنسان الصالح في دينه وخلقه، والصالح في علمه وقوته وصحته، وصالح في وطنيته وانتمائه وعطائه وابداعه.

ولذلك؛ فعلى عاتق الدعوة السلفية اليوم في الكويت وغيرها التقدم خطوة جديدة للأمام؛ بتقديم نموذج للمسلم المميز في تدينه ودنياه؛ بحسب موقعه الوظيفي أو الإجتماعي، بعد أن قدمت للناس أصحاب التميز في العقيدة والعبادة والسلوك الشرعي المنضبط بالكتاب والسنة -طبعاً لا ندخل في هذا السياق جماعات العنف المنسوبة للسلفية إعلاميّاً فقط!-.

أما الشامتون من العلمانيين؛ فهذه فرصة لفحص منطلقاتهم الفكرية عمليّاً، ولو أخذنا عبد الرحمن الراشد كنموذج بارز لليبرالية الخليجية على ذلك؛ نجده يقول في مقاله في صحيفة «الشرق الأوسط» بتاريخ (١٩/ ٥/ ٢٠٠٩) أنه: «من ركائز الدستور: حماية حقوق الأفراد والجماعة، وعلى رأسها: حماية الحريات؛ تلك التي داسها البرلمانيون في السنوات الأخيرة باسم الديموقراطية وأغلبية الأصوات! بمنع الكتب، ومحاسبة أهل الرأي، ومنع الفنون، فالبرلمانيون يظنون أنهم يملكون الحق في ذلك، وهم بالفعل يملكونه باسم النظام؛ بمنح أو منع الحرية الشخصية؛ مما جعل كل ما حققه الكويتيون على مدى نصف قرن يذبح باسم الديموقراطية والتمثيل النيابي.

وهذه ليست مشكلة الكويت وحدها، بل نراها في كثير من التجارب الديموقراطية الناشئة التي تمنح البرلمان كل حقوق الأفراد يقررون عنهم بالنيابة؛ بدعوى أنهم ممثلو الشعب!»، ويظهر في كلام الراشد مجموعة من التناقضات! فقد اعتبر أن حماية الحريات الفردية والجماعية ركيزة دستورية، وهذا لا إشكال فيه؛ لكنه خلط الحابل بالنابل؛ حين جعل ممثلي الشعب الكويتي أعداء جهود الشعب الكويتي على مدار نصف قرن، وقد داسوا على الحريات!!

ولا نعرف كيف داسوا على الحريات وغالب الشعب يقف خلفهم مؤيداً، وزاد الطين بلة حين نطق بالخلاصة العلمانية؛ قائلاً بأن التجارب الديمقراطية الناشئة تمنح البرلمان حق القرار بالنيابة عن الجمهور، وكأنه يريد أن يقول أن شعوبنا لا تزال جاهلة، ولا تحسن

الاختيار؛ فلذلك لا يجوز اعطاءها الحق في الانتخاب الحر، ولا بد من تقليص صلاحيات نواب الشعب.

ولكن لمن ستعطى هذه الصلاحيات المسحوبة يا ترى؟؟ واضح من اعتراض الراشد على قيام نواب الشعب بمنع ما يرون أنه يتعارض مع النظام -كما يقرر الراشد- أنه ليبرالي مستبد؛ حتى النخاع!! فهو لا يقبل باختيار الشعب ولا تطبيق النظام؛ لأنه -ومن مثله- تتلبسهم نرجسية مفرطة؛ بادعاء احتكار الصواب والحق.

ولهؤلاء نقول: لماذا تفضلون المنهج الانقلابي والإرهابي في فرض خياراتكم؟!

لماذا يكون مَن صوّت من الشعب لليبراليين عقلاء، ومن صوّت للإسلاميين أغبياء؟!!

لماذا تريدون فرض رؤيتكم المصادمة للمجتمعات الإسلامية والنظم السائدة، ولا تقبلون بخيارات الديمقراطية التي طالما تشدقتم بها؟!

لماذا تتراجعون عن الديمقراطية النسبية أو التمثيلية التي طالما دبجتم المقالات في فضائلها، وأنها الطريق الوحيدة للسياسة اليوم؟!

إن الديمقراطية لعبة؛ فلماذا لا تلعبوها بروح رياضية وطريقة سليمة؟! أم أن نموذج الجزائر يعجبكم ويروق لكم؟؟

أيها السلفيون وماذا بعد؟

«المصريون» ٢٥/ ٢/ ٢٠١١

هذه كلمات للسلفيين بخصوص الأوضاع ما بعد زوال سلطة بن علي ومبارك، هذه السلطات التي زالت بثورة شعبية سلمية تحتاج إلى الكثير من التأمل والبحث لفهم دروسها وعبرها سواء للحاكم والمحكوم.

وسأقتصر في هذا المقال على ثلاثة قضايا:

القضية الأولى: إنّ ما حدث لهو أمر جلل وتغيير كبير فاجأ الجميع حتى الفاعلين المباشرين لهذا الحدث من أمثال (محمد بو عزيزي/ المتظاهرين/ منظمي مظاهرة ٢٥ يناير/ الشعب المصري/ النظام المصري/ الأحزاب المصرية/ الدول المجاورة والعالم/ والإدارة الأمريكية)؛ ولذلك كان من الطبيعي أن تتباين وجهات النظر بين المحللين السياسيين والاجتماعيين فضلاً عن العلماء وطلبة العلم في توصيف ما جرى والحكم عليه؛ لأنّ الحكم على شيء فرع عن تصوره، ومن ثم تباينت مواقفهم بين رافض ومؤيد وساكت ومتردد.

وهم جميعاً بإذن الله تدور أحوالهم بين المخطأ والمصيب وبين الأجر والأجرين طالما كانت هذه المواقف نتيجة اجتهاد وبذل للوسع في اتباع ومعرفة الحق.

ولـذلك يجـب أن ننتبـه جميعـا كـي لا تـصبح هـذه المواقـف المتباينـة سـبب للخـلاف الـذي يفـرق الـصف كمـا حـدث في حقبـة التـسعينات إبـان حـرب الخلـيج الثانيـة عنـدما احتـل العـراق الكويـت، فقـد عـشنا سنوات مؤلمـة عقـب أزمـة الخلـيج سـنة ١٩٩٠، فانقـسم الـصف الـسلفي وتبعثر وتشرذم، ودخلـت كـثير مـن الجهـود في دوامـة مـن الجـدال والمـراء بغـير الحـق، أفـرزت أمراضـاً قلبيـة وسـلوكيات خبيثـة، لا يـزال الـصف الـــسلفي يعـــانى منهـــا بـــشدة ومـــرارة وألم، كمـــا أن مـــسيرة الـــدعوة الإسلامية بعامة قد تضررت بهذه الخلافات السيئة.

فـالله الله مـن الوقـوع في نفـس الخطـأ مـرة أخـرى، ولنـتعلم مـن تلك التجربة المرة والمؤلمـة الـسابقة، فـ «المـؤمن لا يلـدغ مـن جحـر واحـد مـرتين» ولنعمـل علـى أن يكـون هـذا الخـلاف سـبباً لفـتح بـاب البحـث العلمي الحُـر المعتـصم بالـدليل الـشرعي، ضـمن معرفـة الواقـع مـن جهـة وفهـم الواجـب الـشرعي مـن جهـة أخـرى، والـذي تزدهـر فيـه طاقـات الإبـداع والاجتهـاد، لنعيـد وصـل مـا انقطـع مـن تـاريخ سـلفنا الـصالح والزاخر بالاجتهـاد وتقـديم الحلـول في تفعيـل للأصـل الرابـع مـن أصـول الـدعوة الـسلفية الـتي قررهـا العلامـة الألبـاني رحمـه الله وهـو: «إحيـاء الـتفكير الإسـلامي الحـر في القواعـد الإسـلامية، وإزالـة الجمـود الفكـري الذي ران على عقـول كـثير مـن المسلمين، وأبعـدهم عـن منهـل الإسـلام الصافي».

القـضية الثانيـة: لقـد اتفقـت كلمـة جميـع المعلقـين والمـراقبين لمـا جـرى في تـونس ومـصر علـى أن سـلوك النـاس اتـسم عمومـاً بـالرقي والـوعي، وابتعـد نـسبياً عـن الفوضـى والإنفـلات، ويعـود سـبب هـذا

وفضله في جزء كبير منه لما قدمته الدعوة السلفية عبر سنوات طويلة من جهود مباركة في تعليم وتوعية الجماهير المسلمة بحرمة دماء المسلمين وتعظيم هذه الحرمة، وعصمة أموالهم الخاصة والعامة، وأن الرفق واللين والموعظة والحكمة هو سبيل النجاح والصواب، ومما يجب التنبيه عليه هنا بشكل واضح وصريح أن تطور جماعة الإخوان المسلمين تجاه العمل السلمي ونبذ العنف هو بسبب نقد السلفيين لهم دوماً، ولعل من أقدم نماذج هذا الإنكار ما أورده الشيخ أحمد الباقوري عضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين والذي كان مرشحاً ليخلف البنا في قيادة الجماعة، فقد ذكر في كتابه «بقايا ذكريات» (ص١٠٢) وثق للتاريخ رفض العلامة السلفي محب الدين الخطيب لفكرة انتقام الجماعة لمقتل البنا باغتيال أحد القيادات السياسية المصرية.

وحتى بعد أن نبذ الإخوان العنف فقد بقي السلفيون يحاربون أي جماعة تتبنى العنف، ويأصلون لمنهج التغيير السلمي بالدعوة والسياسة، ومن هنا فإن للسلفيين اليوم القسط الأكبر في ترسيخ الثقافة الدينية السائدة اليوم بين المسلمين بنبذ العنف بين الشعوب الإسلامية وهو ما يجب أن يعترف به لهم ويقدر، وفي هذا أيضاً دلالة على قوة انتشار الدعوة السلفية وفكرها في التغيير السلمي بين كافة شرائح المجتمعات الإسلامية وليس فقط في الوسط السلفي ذاته.

القضية الثالثة: إن السلفيين هم جزء من هذه الأمة وهم حريصون كل الحرص على وحدتها وقوتها وعلى جماعة المسلمين؛ ولذلك فقد كانوا دوماً سداً منيعاً في وجه من حملوا فكر التكفير

للأمة أو مارسوا التفجير على أرضها، كما أنهم كانوا أبعد الناس عن المشاركة في المغامرات العسكرية ومحاولات الإنقلاب التي قامت بها بعض الجماعات الإسلامية؛ لإدراكهم خطأ وخطورة هذا السبيل والنهج.

ومن منطلق التغيير السلمي فقد اتخذ السلفيون تصورات متباينة حول دورهم العملي في المجتمع؛ بين مقتصر على خاصة نفسه، وبين منخرط في الشأن العام، وهؤلاء منهم من ركز على التعليم فقط، ومنهم من كانت له مساهمة في معالجة القضايا الإجتماعية، ومنهم من ضم لهذا العمل السياسي؛ سواء عبر المشاركة البرلمانية أو عدمها، وهؤلاء جميعاً يتوزعون بين منْ أسس عمل جماعي رسمي كجمعية أو لجنة، وبين من اقتصر على العمل الجماعى بدون إطار رسمي بسبب المنع أو غيره.

ولكن مع هذه الأحداث الكبيرة فإن هناك حاجة ماسة الآن للتفكير بدور الدعوة السلفية اليوم، خاصة بعد أن تغيرت كثير من الظروف التي كانت مبرراً للاوضاع الدعوية في وقتها، ولعل هذا هو ما دفع الشيخ محمد حسان لأن يقول في مؤتمر السلفية بالمنصورة يوم ١٨/ ٢/ ٢٠١١ «أطالب شيوخنا بإعادة النظر في كثير من المسلمات في السنوات الماضية، كمسألة الترشح لمجلسي الشعب والشورى وللرئاسة وللحكومة وللنظام، وأطالب شيوخنا أن يجتمعوا وأن يؤصلوا ليخرجوا شبابنا من الفتنة ومن البلبلة التي عاشوها طيلة الأيام الماضية، شبابنا يتخبط يسمع الشيخ يقول كذا وشيخ يقول هذه رؤى كثيرة واجتهادات شخصية وشبابنا يقع في حيرة»، وطرحه هذا

يتسق مع الأصل الخامس من أصول الدعوة السلفية التي قررها العلامة الألباني «السعي نحو استئناف حياة إسلامية وإنشاء مجتمع إسلامي وتطبيق حكم الله في الأرض».

وفي هذا الصدد فإني أود هنا أن أقدم فكرة للدراسة والبحث لعل فيها فائدة ونفع للجميع، وهي محاولة لتطوير مفهوم «اللوبي السياسي» الغربى؛ من كونه يقوم على فكرة الضغط بـ (القوة المالية) إلى فكرة الضغط بـ (القوة التصويتية)، فاللوبيات في الغرب وأمريكا تعتمد على قدرتها على تمويل تكاليف الحملات الإنتخابية وتقديم المساعدين المتفرغين لمساعدة أعضاء البرلمان، ولكن في حالة الجماعات السلفية وخاصة في مصر فإنها تستطيع تقديم الأصوات الإنتخابية بشكل كبير لأنها تمتلك قواعد جماهيرية واسعة من خلال حث أتباعها وجمهورها على ترشيح أسماء أو قوائم ولوائح محددة.

فإذا كانت الجماعات أو التجمعات السلفية لا ترغب بالإنخراط المباشر في العملية الإنتخابية أو(اللعبة الديمقراطية) لأسباب وجيهة في نظرها، وهي في الوقت نفسه تأيد فكرة انتخاب الأفضل والأمثل من المرشحين، فلماذا لا تعلن هذه الجماعات أو التجمعات عن مواصفات وقضايا محددة، ترغب بتوفرها في المرشحين الذين ستدعمهم، مما سيعمل على استقطاب بعض المرشحين المستقلين، من الملتزمين والمحافظين لتبنى كل أو بعض مطالب الدعوة السلفية في البرلمان، وتتحقق بذلك عدة فوائد:

* أصوات السلفيين ستصبح قوة مؤثرة يطلب الكثيرون ودها، ولن تضيع كما هو الحال اليوم عندما تقدم بشكل فردى غير

ومبعثر.

* سيصبح للسلفيين منادين بمطالبها ومدافعين عنها في القنوات الرسمية.

* سيصبح للسلفيين مشاركة فعالة في التغيير عبر النواب الذين أوصلوهم للبرلمان.

* سيتمكن السلفيين من محاسبة النواب المقصرين والناكثين بوعودهم، بعدم دعمهم مرة أخرى.

* ستظهر القوة الحقيقية للسلفيين في المجتمع، مقارنة مع أعداء السلفيين من العلمانيين واليساريين وغيرهم.

* سيمكن السلفيين من مطالبة الدولة بتبنى أجندة عادلة في قضايا الثقافة والإعلام والتعليم، وغيرها وتراعى وزنهم في المجتمع.

هذه ثلاثة قضايا أعتقد أنها تستحق النظر والتأمل وهي قابلة للزيادة والحذف، لكن المهم هو البحث عن تطوير للحالة الراهنة ضمن الضوابط الشرعية لما يحقق المنافع العامة للمسلمين.

أهل السنة يعرفون الحق، ويرحمون الخلق

«مجلة القبلة»

هذه كلمة عظيمة لشيخ الإسلام ابن تيمية، لخص فيها جانباً مهمّاً من منهج أهل السنة، وهو: أنهم أصحاب المعرفة العلمية بالحق -كمنهج ومذهب؛ وليس كأفراد-، وأيضاً هم أصحاب موقف إيجابي تجاه كافة المسلمين؛ حتى لو وقعوا في الخطأ والضلال، فلذلك هم يرحمون الخلق.

وليس هذا من اختراع ابن تيمية، بل من سنة الخلفاء الراشدين؛ فلقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الخوارج: أكفارٌ هم؟ قال: «لا، الكافر لا يقرأ القرآن»، فقيل له: أمنافقون هم؟ قال: «المنافقون لا يكون من خشية الله»، فقيل له فمن هم؟ فقال: «إخواننا بغوا علينا».

فلأنه من الخلفاء الراشدين -الذين أمرنا بالاستنان بسنتهم- عرف الحق« وعرف أن الخوارج على ضلال؛ فأمر بمقاتلتهم حين سفكوا الدم الحرام، ومع هذا رحمهم وجعلهم إخوة للمسلمين.

وللأسف؛ فإن غالب أهل السنة اليوم في طرفي نقيض تجاه هذا الأصل العظيم:

القسم الأول: الذين يشنعون على بعض إخوانهم من أهل

السنة، ويتهمونهم باتهامات شتى، فلذلك يهجرونهم ويبدعونهم؛ فضلاً عن أفراد الجماعات الأخرى من المسلمين، وتجدهم يهجرون إخوتهم في الإسلام ومن يجاورونهم في الصلاة.

فهؤلاء إن عرفوا الحق؛ فإنهم لم يرحموا الخلق، وحاربوا البعض بغير حق! فإنهم هم في حقيقة حالهم كأنهم يكفرون عامة المسلمين؛ فلا يسلمون إلا على أهل الفسق والفجور أو من كان على طريقتهم، أما من كان من أهل الصلاة -عمود الإسلام- وكلمة التوحيد؛ فهم لا يسلمون عليه، ولا يجالسونه، ويحذرون منه، ويسعون في إيذائه، فما الفرق بين هذا وبين التكفير؟

والعجيب أنهم يحاربون الدنيا في سبيل إثبات إيمان من لا طاعة له قط من عامة المسلمين، ثم لا ينشغلون إلا بأهل الطاعة!

فمتى يجمعون الخيرين: معرفة الحق، ورحمة الخلق؟

وأما القسم الثاني من أهل السنة: فهم على عكس هؤلاء، هم من الذين يرون خطأ إخوانهم هؤلاء في استعداء المسلمين وأفراد الجماعات الأخرى؛ لكنهم من شدة إنكارهم لهذا الخطأ يقعون في خطأ أبشع، وهو أن يصبح عندهم لا شعورياً أن إخوانهم في التوحيد والسنة الذين لا يخالفونهم في أصول الدين؛ لكن في مسألة جزئية من مسائل الإيمان؛ يجعلونها أهم الأخطار التي تواجه أهل الإسلام، فتبدأ ترى الردود والتعليقات والأوقات التي لا تنتهي؛ إلا بسيرة فلان أو علان؛ ولذلك بدأت حملة من إطلاق الأوصاف والتوصيفات التي ليس لها نهاية.

فلكل هؤلاء أقول:متى سنكون من أهل السنة؛ نعرف الحق ونرحم الخلق، ويعذر بعضنا بعضاً؛ بدل أن يأكل بعضنا بعضاً؟!

الباب الثاني

جماعات العنف والتطرف

محاولة للفهم!

«الغد» (٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٧)

في مكالمة بمناسبة العيد مع أحد الأصدقاء السعوديين؛ والذي يرأس إحدى المؤسسات الدعوية؛ تطرق الحديث بنا إلى خبر القبض على المجموعة التي كانت تعتزم القيام بتفجيرات في موسم الحج؛ لإرباك أجهزة الأمن السعودي، في موسم الحج، وتشويه سمعة الدولة السعودية، وذكر لي محدثي أنه تأكد من أن هذه المجموعة تؤمن بوجوب الإساءة الى سمعة السعودية؛ ولو من خلال تخريب إدارتها لمناسك الحج؛ حتى يكون ذلك مدعاة لزوال الدولة السعودية فيما بعد!

بعد انتهاء المكالمة ذهبت في خواطر متعددة ومتداخلة حول فكر هؤلاء الشباب الذين يحترقون همّاً -في الغالب- على أمتهم؛ لكنهم بتفكيرهم المنحرف هذا إنما يزيدون أمتهم احتراقاً وخسارة!! خطر ببالي قضية اختراق هذه التنظيمات العسكرية من قبل أعدائها الثوريين، وأن هذا الاختراق قديم وليس وليد العصر الحاضر.

وتذكرت عندها انضمام جمال عبد الناصر للتنظيم السري لجماعة الإخوان؛ والذي كان يرأسه الشاب عبد الرحمن السندي! وكيف أن عبد الناصر كان ينتمي في نفس الوقت للتنظيم السري

للإخـوان وتنظـيم «حـدتو» الـشيوعي!! وبعـدها «للـضباط الأحـرار»!! وفي النهايـة وبعـد أن نـزل الإخـوان للـشوارع لحمايـة ثـورة «الـضباط الأحـرار»؛ قـام عبـد الناصـر بالغـدر برفاقـه مـن الإخـوان والـشيوعيين لمصلحته!!

وخطـر في ذهـني «حادثـة جهيمـان»، وكيـف أنـه تم التلاعـب بـه وبمن معه عبر إقنـاعهم بـأن المهـدي معهـم؛ عـبر تـواتر الأحـلام والـرؤى، علمـاً أن ثبـوت الأحكـام بـالرؤى والمنامـات هـو مـن مـنهج الـصوفية؛ وليس من منهج «أهل الحديث»، كما كان يحب أن يسمي جماعته!!

ومـر بخـاطري كيـف أن مـن مـده بالـسلاح هـو«ناصـر الـسعيد» زعيم «الحزب الشيوعي السعودي»؟؟!!!

وتـذكرت أن الماركـسي «مظفـر النـواب» الـشاعر العربيـد قـد رثـى «جهيمان»!!

وأنـي قـد اشـتريت مـن أكـشاك وسـط البلـد في عمـان منـذ عـشر سـنين -ولا يـزال يبـاع- كتـاب بعنـوان: «دمـاء في الكعبـة»؛ الـذي يمجـد فيه بطولـة «جهيمـان» حتـى لا تنـساها الأجيـال، أمـا مـن أصـدر الكتـاب فهم المعارضة الشيعية السعودية في لندن!!!

وعـادت بـي الـذاكرة لتحقيـق نـشرته مجلـة «المجلـة» منـذ سـنوات قريبـة للكاتـب «علـي العمـيم»، حـول شخـصية «د. عبـد الله النفيـسي»، وكيـف أن النفيـسي في إحـدى مراحلـه الفكريـة القريبـة مـن اليـسار قـام على طباعـة كتـب «جهيمـان» في الكويـت لـدي مجلـة «الطليعـة» اليـسارية مقابل ثمن رمزي!!!

وقبل أيام حدثني أحد المقربين عن كتاب حول العائلة المالكة السعودية، فسألته على الفور إن كان الكاتب هو «ناصر السعيد» الشيوعي السعودي؟ وهل حصلت عليه من أحد أعضاء حزب التحرير الإسلامي؟ فقال: نعم!!!

وهذا ذكرني بمجلة «الوعي» التحريرية حين نشرت كتاب د. سفر الحوالى «حول أزمة الخليج» مطلع التسعينيات من القرن الماضي!!

ومن المتواتر لدى المطلعين على الشأن العراقي قصة اختطاف القنصل الإيراني في بغداد بعد احتلالها من قبل الجيش الإسلامي، وتسليمه لأبي مصعب الزرقاوي ليتفاوض مع الإيرانيين لتخليص بعض الأسرى مقابله، فإذا به يظهر بعد يومين على التلفاز الإيراني دون أن يفرج عن أحد!!

وهذا يتسق مع أخبار التعاون والتنسيق بين القاعدة وإيران؛ سواء في العراق، أو أفغانستان!!

وكانت بعض المجلات نشرت منذ سنوات «الخطة السرية» لنشر التشيع، ومن بنودها «تشجيع الخط الثوري بين أهل السنة؛ لتتسع الفجوة بينهم وبين حكامهم، وفي نفس الوقت نتقرب نحن -الشيعة- إليهم»!!

ووصلت بي الخواطر للمخيمات الفلسطينية، وكيف أن أولاد أحمد جبريل أصبحوا من قادة الحركات الجهادية هناك! كحال أبي خالد العملة!! وكيف أن الأجهزة السورية تدعم وترعى هذه الحركات؛ كما في اعترافات جماعة فتح الإسلام!

أما أبو القعقاع محمود قولا أغاصي؛ فهذا حكاية طويلة! أو فيلم لوحده!!

وفي شريط الخواطر جاء معي «عمر بكري» الزعيم التحريري الذي تحول لقائد سلفي جهادي، يقوم أتباعه الأوربيون بأعمال التفجيرات!!!

وحتى لا أسترسل مع هذه الخواطر التي لا تجتمع بشكل منطقي في الظاهر!! يحق لكل صاحب عقل أن يتساءل:

لماذا تجد جماعات العنف السنية العون المباشر وغير المباشر من أشد أعدائها الأديولوجيين من الشيوعيين، والبعثيين، والشيعة، وإيران، وسوريا، وحزب التحرير؟؟

ولماذا كانت نتيجة كل هذه الجهود هو الخسارة لأهل السنة، والربح لأعدائهم دوماً؟

ولماذا كل قادة أهل السنة من العلماء والمفكرين والسياسيين والحكام -على اختلاف مشاربهم ومواقفهم- يرفضون هذا السبيل، ولكن يصر هؤلاء الشباب على رأيهم الذي لم يجلب إلا الدمار والخسارة؟!

حاول تفهم!!

التلاعب بالتطرف والغلو!!

«الغد» (٢٩/ ١/ ٢٠١٠)

كتب مأمون فندي -وهو من دعاة العلمانية والليبرالية- قبل أيام في «الشرق الوسط»: «كنت في ورشة عمل منذ أيام مع مجموعة من العقول الاستراتيجية الغربية، وكنت العربي الوحيد في الجلسة، وبالتدريج وجدت نفسي حانقاً على ما أسمع، فكان سؤالي للمجتمعين يتلخص في الآتي: إما أن عقولكم بسيطة ولا تستطيع الإلمام بالمشاكل المعقدة مثل: العراق، وفلسطين، وأفغانستان، واليمن، أو أن لديكم سوء نية تجاه القضية الفلسطينية تحديداً؟ قلت لهم: إن الكثيرين في الشرق الأوسط يتمنون لكم الفشل في أفغانستان وفي العراق؛ حتى تتعلموا الدرس، لأنه ليس من المقبول تلك العجرفة الفكرية التي تحاول أن تدخل العرب في العملية (Process)، في موضوع «عملية السلام»، وتبعدوننا عن الحل، بينما تريدوننا أن نساعدكم في حل المعضلات التي تؤرقكم في أفغانستان، سنترككم «شويه تجربوا البروسس (العملية) في موضوع أفغانستان؛ حتى تعرفوا ما نعاني منه».

لقد جرب العرب الغرب ولأكثر من اثني عشر عاماً منذ انطلاق عملية السلام، وهم حتى الآن في وهم «العملية»، ولم يصلوا

للسلام، جربوا أنتم العملية لعشر سنوات قادمة في موضوع إيران، وأفغانستان، والعراق، وغيرها.

قلت لهم: إنني أشك في أن عقولكم محدودة، ولا تستطيع الإلمام بقضايا الاستقرار الإقليمي مجتمعة، ولكن لديكم سوء نية في موضوع القضية الفلسطينية، وأنتم لا تريدون الحل...

كان الأمر بالنسبة لي تعليماً، أي إنني تعلمت شيئاً جديداً، فغرور المفكر الغربي -أحياناً- لا يطاق، وعرفت لماذا لا تطيق جماعتنا هذه الغطرسة الفكرية الجاهلة، فرغم جهل المتحدثين بمعطيات المنطقة، وجهلهم بلغاتها؛ فإنهم لا يتحرجون من إبداء آراء ليست مدفوعة بالمعرفة؛ ولكن بغرور القوة، وهذا أمر مخيف... بدأت أقتنع بمسألة سوء النية الغربية التي نراها في أحاديث من يسمون أنفسهم بعقول الغرب الاستراتيجية». إ. هـ

وهذا الكلام صحيح، فالغربيون حريصون جدّاً على مصالحهم -رغم تعارضها فيما بينهم أحياناً-، وليس على مصالحنا، فهم لا يعنيهم حرب التطرف والإرهاب بحد ذاته، بقدر ما يعنيهم توجيه هذا التطرف والغلو للبعد عن الإضرار بمصالحهم أولاً، ومحاولة استخدام هذا التطرف بما يضعف الأمة الإسلامية، ويحقق لهم بعض ما عجزوا عنه من عقود طويلة.

فرموز التطرف يرعاهم الغرب، ويصرف لهم رواتب وضمان اجتماعي من أموال دافعي الضرائب!! وسيرفرات منتديات التطرف تستضيفها شركات الولايات المتحدة الأمريكية!!

مما يحتاج مزيد دراسة وبحث أن ما نعيشه اليوم من التلاعب

بالقاعدة، وكثير من المجموعات والأفراد الذين اختطوا منهج العنف؛ بدء أواخر ثمانينات القرن الماضي في أفغانستان، فرغم أن الغرب دعم حركات الجهاد الأفغانية والمجاهدين العرب بالسلاح والعتاد، إلا أن الروس الشيوعيين استطاعوا تأليب المجاهدين العرب على الغرب، ودق إسفين كبير بينهم، فاصبح من الملاحظ في مجلات الجهاد الأفغاني مهاجمة التبشير النصراني في أفغانستان؛ رغم انعدامه تقريباً، ومهاجمة الجمعيات الطبية والإغاثية الغربية بدعوى أنها تعمل على تعقيم الأفغانيات، وهكذا، ليغيب الصراع الإسلامي الشيوعي عن الساحة، ويبرز بديلاً عنه الصراع الإسلامي الغربي؛ برغم استمرار احتلال الشيوعية وما تلاها من كيانات لمساحات شاسعة من أراضي المسلمين في جمهوريات روسيا والصين؛ والتي يقطنها مئات الملايين من المسلمين والذين لا يزالون يعانون القمع والاضطهاد والإبادة لليوم؛ كما شاهد العالم أجمع ما يحدث لمسلمي الصين!!

ويكفي التوقف عند مأساة الشيشان النازفة من سنوات طويلة، ولا تجد أي اهتمام من الحركات الإسلامية المعتدلة أو المتطرفة، ولا من الإعلام العربي القومي الذي يحفل ويهتم ببؤر الصراع الإسلامي الغربي فقط!! ولا حتى من العالم الدولي!!

والعجيب أن الشيخ أبو عمر السيف -رئيس المحاكم الشرعية في الشيشان- في كتابه «السياسة الشرعية» يهاجم عدوانية وإجرام أمريكا في أكثر من موضع، في حين لم ينتقد الروس الذين يحاربهم من سنوات، وقاموا بتدميرو كروزني كاملة فوق رؤوس أهلها، وارتكبوا من الفضائع ما يفوق الوصف!!

ومما يلفت النظر وجدير بالتساؤل: لماذا برغم توفر الظروف الموضوعية لنشاط القاعدة ومثيلاتها في مناطق النفوذ الشيوعي، مثل: القرب الجغرافي، ووجود الإعتداء والإحتلال، ونشر الكفر والإلحاد بين الشعوب الإسلامية؛ وهو أخطر شرعاً من الحرية والديمقراطية التي يسمح بها الغرب للجاليات الإسلامية أو الدول المتحالفة معه؛ إلا أن هذا النشاط القاعدي منعدم تقريباً؟ ومثله النشاط القاعدي في إيران التي تصفها الأدبيات القاعدية بالرافضة، والتحالف مع أمريكا، وهي التي ساعدت أمريكا على تقويض حاضنتهم طالبان؟

من الإشارات النادرة لهذا الدور الروسي مع الحركات العنف رواية أحمد سلامة المبروك -أحد مساعدي الظواهري- أن الظواهري تم اعتقاله عام (١٩٩٦) ستة شهور في داغستان دون معرفة هويته!! بتهمة حمل وثائق سفر مزورة؛ حتى تمكن ابن لادن من إرسال من يدفع كفالته ويخرجه من السجن!! -«دليل الحركات الإسلامية في العالم»، مركز الدراسات بالأهرام، (ص ١٤١)-.

ولاحظ أنه في عام (١٩٩٨) تم إعلان انضمام الظواهري -أمير جماعة الجهاد المصرية- إلى الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين، دون موافقة قيادة جماعة الجهاد على هذا القرار، مما أحدث انشقاق في جماعة الجهاد، وأجبر الظواهري بعد عام على التخلي عن قيادة حركة الجهاد!!

وتصاعد هذا التحول؛ ليصبح التعاون الغربي الإسلامي ضد الشيوعية سابقاً عداءاً سافراً يحتل الأولوية في أجندة الطرفين، وأصبح العدو السابق الشيوعية/ الروس طرف محايد، يسعى الطرفين

المتصارعين على كسبه لصفهم!!

وفي مرحلة تالية وجد الغرب أن التطرف ورقة رابحة يمكن استثمارها كفزاعة للتدخل في كثير من الشؤون الداخلية -وخاصة الدينية منها- للدول الإسلامية؛ لم يكن يمكن الاقتراب منها من قبل، فبدأت حملات لتغيير المناهج المدرسية، والضغط على الجامعات الإسلامية وكليات الشريعة، والتضييق على العمل الخيري الإسلامي.

ومن ثم تم طرح فكرة تقديم إسلام معتدل، أو دعم بعض الاتجاهات المنسوبة للإسلام؛ على اعتبار أنها لا تشكل مصدر خطر على الغرب ومصالحه، وحملت راية هذا التوجه «مؤسسة راند للدراسات» في دراسة (الإسلام المدني)؛ والتي ركزت على ضرورة دعم الإسلام الصوفي السلبي، وبعض الحركات الحديثة والمنحرفة كبديل عن الحركات الإسلامية الأخرى المعتدلة والسلمية، أو المتطرفة والعنفية، وهذا مما سيدخل أمتنا في دوامة من زعزعة الأمن الداخلي، وإثارة النزاعات؛ بسبب طروحات هذه البدائل المصادمة للثوابت الشرعية والمشرعنة للهيمنة الغربية، وهو ما سنتعرض له في مقال قادم.

ومؤخراً أصبحت الإستراتيجية الأمريكية على وجه الخصوص تركز على استغلال الممارسات العبثية والمنحرفة لتنظيم القاعدة أو المنسوبة لها كمبرر للتغاضي عن الجرائم الإسرائيلية، وعدم التركيز على القضية الفلسطينية، وأيضاً مبرر للتدخل العسكري في بعض الدول الإسلامية -كما في باكستان واليمن-، وهذا يعمل على زيادة

نشر فكر التطرف ويجذره.

وهكـذا وقعـت الأمـة في مـأزق مـزدوج، التطـرف والعنـف يعيـق مـسيرة الأمـة نحـو النهـضة، ويجعـل الجهـود الحكوميـة الأمنيـة علـى رأس الأولويـات بـدل التنميـة والإصـلاح، ويـشتت كـثير مـن جهـود الـدعوة الإسـلامية عـن المـسار والـدور الحقيقـي لهـا في توعيـة الجمـاهير، والارتقـاء بهـم لنيـل العـزة في الـدنيا والفـوز بـالآخرة، في جهـود عاجلـة بين محاولـة إصـلاح مـا أفـسدته ممارسـات وأفكـار جماعـات العنـف، وبـين صد محاولات الغرب استغلال هذه الممارسات المنحرفة.

والغـرب وجـد في التطـرف وسـيلة وأداة للوصـول للكـثير مـن مصالحه؛ والتي لا تتطابق -غالباً- مع مصالحنا.

ومما يعمـق هـذا المـأزق المـزدوج تغييـب التعامـل الفكـري مـع التطـرف، وتغليـب التعامـل الأمـني مـع التطـرف لـدى غالـب الـدول العربيـة والإسـلامية مـن جهـة، واسـتغلال غـلاة العلمـانيين اليـساريين التطـرف شماعـة للتأليـب علـى الإسـلام والعمـل الإسـلامي، والـسعي لإجتثاثـه مـن جـذوره؛ بـدعوى أن الإسـلام في حقيقتـه متطـرف، وغـير تقدمي أو متوافق مع الحداثة.

قراءة في كتاب «محاربة التطرف» لنتنياهو

صحيفة «المرآة »- موقع «العصر» (٧/ ٦/ ٢٠٠٣)

تمهيد:

لست من أنصار أن الدنيا مؤامرة، لكن الدنيا -أيضاً- لا تخلو من مؤامرات عديدة، والله ﷻ قد حذرنا في القرآن من وجود المنافقين بين أظهرنا في كل زمان ومكان، وأن لهم تأثيراً على المؤمنين؛ فقال الله -تعالى-: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]، وكذلك حذرنا الله ﷻ من البطانة السيئة؛ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].

والدارس لمسيرة العمل الإسلامي السني يلحظ أنه في كثير من الأحيان يتم إبراز بعض الشخصيات من خلفيات أخرى؛ بدعوى أنهم قد تبنوا منهج أهل السنة، أو لنقص عند أهل السنة يتم الإستعانة ببعض من لهم إسهامات في مجالات سياسية أو عسكرية، فيصبغ كثير من مناشطها بصبغته دون شعور من أهل السنة.

وأيضاً يجب أن ننتبه لمسألة دقيقة في تاريخنا الإسلامي؛ وهي قضية عبد الله بن سبأ؛ حيث من المعلوم والشائع أنه كان يهوديّاً يقول في يوشع بن نون: وصي موسى، فلما دخل الإسلام قال في علي أنه وصي محمد ﷺ، ولذلك كان هذا هو أساس التشيع وهذا

معروف مقرر، لكن ما يغفل عنه الكثيرون هو دوره الهدام قبل هذه المرحلة، ودوره في تشكيل الخوارج والثوار على عثمان، ولذلك ورد اسم ابن سبأ عند المؤرخين منذ عام (٣٠هـ)، وإظهاره القول بالوصاية وألوهية علي كان بعد خلافة علي عام (٣٥هـ)، وهذه المرحلة من تاريخ ابن سبأ لا يسلط عليها الضوء كثيراً.

وإذا أمكن ظهور ابن سباء في عصر الصحابة، وقيامه بإفساد دولة الخلافة؛ فما المانع من وجود أمثاله اليوم؟ خاصة أن العقلاء والعلماء يجمعون -تقريباً- على أخطاء كثير مما يحصل، وضرره بالدعوة الإسلامية والأمة كذلك.

ولذلك أقدم هذه القراءة لكتاب نتنياهو «محاربة التطرف»؛ لأن كثيراً من مطالبه تحققت، وهي مطالب تحقيقها يسبب لنا خسائر على صعيد الدعوة الإسلامية؛ من تضييق على الدعاة في بلادهم وخارجها، وإضراراً بالمؤسسات الإسلامية التعليمية والخدمية، وكذلك محاصرة المؤسسات المالية الإسلامية الخيرية أو الإقتصادية، وضرب للحركات الجهادية ضد المحتل الكافر الأصلي في بلدانها، واستعداء لشعوب وأنظمة محايدة تجاه الإسلام، وكل هذا يتم -أحياناً- بمبرر يصنعه بعض الأفراد منا!

أصدر رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق نتنياهو عام (١٩٩٥) كتاباً مهمّاً، لكن لم يلتفت إليه كثير من الباحثين والدراسين -فيما أعلم-؛ سوى الكاتبة الأردنية حياة الحويك عطية؛ التي نشرت عنه دراسة موجزة في صحيفة «الدستور» بعد صدوره، ثم عادت ونشرت عرضاً لمقدمة الطبعة الثانية التي صدرت بعد أحداث (١١

أيلول) في نفس الصحيفة بتاريخ (٢٦ تشرين الثاني ٢٠٠٢).

والكتاب يقدم وجهة نظر إسرائيلية حول الإرهاب، ويقدم خطة عمل لمقاومة الإرهاب، والغريب أن كثيراً من مطالبه قد تحققت؛ لكن بعد أن قدم أعداؤه له الفرصة لذلك!

والكتاب ترجم للعربية عام (١٩٩٧م)، وصدر في مصر عن دار قطر الندى وبيت الحكمة، وقدم له فهمي هويدي، ومكون من مقدمة، وسبعة فصول، تناول فيها المحاور التالية؛ كما يلخصها هويدي:

- أن إسرائيل ضحية للإرهاب العربي منذ الأربعينات!
- أن الإرهاب الإسلامي يهدد العالم الآن، وهو وريث الشيوعية؛ بل أخطر منها.
- أن العداء للغرب متأصل في ثقافة المسلمين، ومن ثم فعدوهم الحقيقي هو الغرب عامة، والولايات المتحدة بوجه خاص؛ التي وصفها بأنها: «الهدف النهائي للمعركة».
- ما يفعله الفلسطينيون هو إرهاب لا مقاومة، والذين يساندونهم إنما يساندون الإرهاب.
- ينبغي أن تتكاتف جميع الدول لتصفية المقاومة الفلسطينية وخنقها، وإلا فإنها ستدفع ثمناً غالياً إن هي تقاعست في ذلك.

ونلاحظ أن هذه الأفكار أصبحت اليوم هي السائدة، والتي كان نتنياهو -حسب قوله- قد بذل سنوات طوال للدعاية لها دون

فائـدة، لكـن الأحـداث الـتي وقعـت في الـسنتين الماضـيتين كانـت كفيلـة بتفعيل وتطبيق كل ذلك، أليس هذا غريباً!

يوضـح نتنيـاهو في المقدمـة أنـه يقـدم هـذه الأفكـار للنخبـة الغربيـة؛ وخصوصاً الأمريكية، منذ منتصف السبعينات.

وكــذلك ألــف نتنياهوعــام (١٩٨٦) كتابــاً عنوانــه: «الإرهــاب.. كيـف يمكـن للغـرب أن ينتـصر؟»، وكـان قـد أسـس معهـداً للدراسـات حول الإرهاب عام (١٩٧٨).

والــذي يريـده نتنيـاهو هـو صـبغ أي عمـل إسـلامي بالإرهـاب؛ وخاصــة في الــدول الغربيــة، ولــذلك يجــب أن لا يُعطــى المــسلمون في الغـرب الديمقراطيـة والحريـة الـتي سـتمكنهم مـن الإنتـشار والتغلغـل في مفاصــل هــذه الــدول؛ ممــا ســيؤدى إلى زوال النفــوذ اليهــودي فيهــا تــدريجيّاً؛ خاصــة مــع بدايــة ظهــور الــدور الــسياسي المــنظم للعــرب والمسلمين في هذه الدول.

ولـــذلك نجـــده في الفـــصل الأول يهـــون مـــن شـــأن الإرهـــاب الأمريكــي المحلــي؛ قــائلاً: «يمكــن القــضاء عليــه خــلال فــترة قــصيرة، فــيمكن عــزل كــل واحــدة مــن الجماعــات المــشاركة فيــه، والتــسلل إلى صفوفها، وتجريدها من سلاحها».

وفي هــذا الفــصل كــذلك يقــرر حقيقــة لا يــدركها مــن يقومــون بكــثير مــن الأعمــال العنفيــة؛ وهــي أن «إنطباعــات الخــوف والرعــب تــضعف وتتلاشــى تحــت إنطباعــات لا تقــل عنهــا قــوة، وفي بعــض الأحيـان تكـون أقـوى منهـا؛ وهـي إنطباعـات الإنكـار والغـضب مـن جانــب المــواطنين، فالأســاليب اللاإنــسانية الــتي يتبعهــا الإرهــابيون

لتحقيق أهدافهم تتنافى بطبيعة ذاتها مع هذه الأهداف من البداية؛ بإعتبارها غير جديرة بالتأييد الأخلاقي».

أما في فصله الثاني؛ الذي سماه: (حريات المواطن)؛ فهو ينتقد الحريات الغربية، ويطالب بإلغاء الكثير منها، وأن هذه الحريات ستكون سبباً لتفريخ الإرهاب هناك، لكن هذه المطالب لم تنل آذاناً صاغية من السلطات الغربية؛ إلا عقب أحداث (١١ أيلول)؛ حيث ظهر لها صدق نتنياهو؛ كما زعم في مقدمة الطبعة الجديدة!!

وفي الفصل الثالث؛ يبرز الدور الروسي في دعم إرهاب منظمة التحرير الفلسطينية ضد الديمقراطية الغربية، وهذا فيه خلط؛ فالمنظمة ليست هي من قامت بالعديد من العمليات ضد المصالح الغربية - آنذاك-، وأيضاً هل ما تحقق من هذه العمليات المدعومة روسيّاً كان في مصلحة القضية الفلسطينية أم إسرائيل؟! وهل سير بعض التنظيمات الإسلامية على هذا الطريق سيكون له نتائج مختلفة؟!

كما يسلط الضوء على مسألتين مهمتين:

الأولى: إنكشاف الدور الروسي في دعم الإرهاب، وانتهاج الغرب استراتيجية واضحة تجاه روسيا في ذلك؛ مما نتج عنه تخلي الروس (الشيوعية) عن هذا المسار منذ منتصف الثمانينات.

ولي تعليق على هذه القضية المهمة؛ حيث يجب أن نبين أن الشيوعية (روسيا، وأتباعها من الأنظمة العربية، والمنظمات، والأحزاب) قد تخلت بشكل كبير فعلاً عن هذا المسار؛ لكن استلم الراية في هذه الفترة إيران والشيعة في الدول العربية، وأصبحت هذه الأعمال في الثمانينات ذات طابع شيعي! ثم تخلوا عنها في بداية

التسعينات، ولذلك تم اغتيال عباس الموسوي - رئيس حزب الله السابق- لفتح المجال لقيادات تواكب المرحلة! الطفيلي الذي همش ومن بعده نصر الله، ونصر الله الآن في آخر أيامه؛ حيث لا يصلح للمرحلة الحالية لحية وعمامه! وحمل الراية في التسعينات بعض أفراد أهل السنة؟!

والمسألة الثانية: أن السبيل لتصفية الإرهاب الدولي يكمن في وقوف الولايات المتحدة في مقدمة الصراع، وأن تجر هذه القيادة الأمريكية من ورائها دول العالم الحر، كما يجر قطار قوي وراءه حافلات القطار.

وهنا أقول: أليس هذا ما تم وجرى بعد (١١ أيلول)؟!

أما الفصل الرابع؛ فخصصه لظهور الإسلام المسلح وبروزه، وهنا يقرر أن القوى الجديدة المهمة جداً التي تحفز الإرهاب الدولي وتدفعه دفعاً في التسعينات هي جمهورية إيران، والحركات السنية الإسلامية المسلحة؛ التي ترتدي زيّاً دوليّاً، ولم تعد محصورة في بلد!! -ولعل هذا يفسر لنا لجوء القاعدة لإيران؛ إن صحت الأخبار!-.

ويحذر من «جيتوات» إسلامية كبيرة توجد في أمريكا وأوروبا حاليّاً، يتسلل إليها الإرهاب الإسلامي، ويحاول أن يصورها بمعسكرات تدريب لا بد من الإنتباه لها وتقويضها مبكراً.

وقد قامت الأحداث الأخيرة في الرياض والدار البيضاء، وإشتراك مسلمي بريطانيا في عمليات داخل فلسطين بتأكيد هذه القناعات عند الغرب، فهل هذا ما يريده أصحابها؟!

وفي الباب الخامس؛ يبين فيه رؤيته للقضية الفلسطينية، ومسيرة السلام، ويمكن أن نجمله على النحو التالي:

١- أكبر دعم للإرهاب الإسلامي منذ الثورة الإيرانية هو قيام الحكم الذاتي في غزة!!

٢- بعد حرب (٦٧) أصبح هناك نظريتان عند الدول العربية تجاه إسرائيل، هي:

أ- بما أنه ليس هناك قدرة عسكرية عربية على هزيمة إسرائيل؛ فلا بد من التعايش معها، ودعمت إسرائيل هذا التوجه حتى عام (١٩٩٢).

ب- أنه ليس ممكناً الآن هزيمة إسرائيل؛ لكن الأنسب تجاهها هو إبعادها إلى حدودها السابقة (٦٧)؛ الغير قابلة للذود عنها وحمايتها، ثم محاولة تدميرها.

وهذه العودة لحدود (٦٧) تتم بمزيج من الهجمات الإرهابية، وضغوط عربية ديبلوماسية على الغرب، وكان هذا نهج منظمة التحرير منذ عام (٧٤) حتى تحقق باتفاقية أوسلو.

٣- ثم يسرد خيانات عرفات لاتفاقيات أوسلو، وكيف أفرغها من محتواها، والملفت للنظر أنه يتحدث بنبرة عالية من الحقد والكراهية لشخصية عرفات!

٤- يشرح الفرق بين موقف منظمة التحرير وحماس من إسرائيل؛ بالتالي: أن لهما هدفاً استراتيجيّاً مشتركاً؛ هو: تدمير إسرائيل؛ إلا أنها مختلفتان في أسلوب تحقيق هذا الهدف، فحماس

تريده بضربة واحدة، وفتح ترى أنه على عدة ضربات!

والتوصيات التي ينادي بها هي: أنه يجب عزل عرفات، وتحجيم صلاحياته الأمنية، والتعاون مع الفلسطينيين العملاء، وليس مهمّاً إعطاء الفلسطينيين مساحة كبيرة؛ لأنها ستكون بؤرة لتصدير الإرهاب للعالم!!

وفي الباب السادس الذي عنونه بـ: (شبح الإرهاب النووي)، وهدف منه إلى تحذير الغرب من خطر وصول إيران أو الحركات السنية إلى السلاح النووي أو البيلوجي أو الكيماوي.

وسبب شدة الخطورة من وصول المسلمين -تحديداً- لهذا السلاح أنهم غير عقلانيين! بعكس القوى الشريرة السابقة في العالم (الشيوعية)؛ حيث يصف «الإرهاب» الإسلامي بأنه يعمل من أجل (هدف غير منطقي بصورة غير منطقية)، وهنا يجب أن نلاحظ أنه فعلاً هناك بعض الأعمال التي تنسب لحركات إسلامية هي غير منطقية ولا شرعية عند كل العقلاء!

فهل يا ترى من فعلها جاهل؟ أم مغرر به؟ أم مدسوس؟ والذي يجعلني لا أقول: جهات أجنبية؛ هو تصريح هذه الجهات بتبني الأمر؟!

ويختم كتابه بفصل (ما ينبغي عمله)، ويعيد القول أنه لفهم ظاهرة الإرهاب العالمي لا بد من فهم نوعية هذا التهديد، وطابعه (الإسلامي)، ثم معرفة أنه يمكن القضاء عليه!

ولذلك يركز على التضاد بين الإسلام والديمقراطية الغربية؛

ليكون هو وقومه الفائزين من هذا الصراع.

ويرى أنه يجب أن يكون هناك عدة إجراءات على المستوى المحلي والعالمي، وهي:

أولاً: على المستوى العالمي:

١- فرض عقوبات على موردي التقنية النووية للدول الإرهابية، وهذا يتطلب تغيير بعض القوانين التجارية، والحد من حريتها.

٢- فرض عقوبات دبلوماسية واقتصادية وعسكرية على الدول الإرهابية ذاتها.

٣- تجميد الجيوب الإرهابية.

٤- تجميد ثروات الدول الإرهابية.

٥- تعاون استخباراتي.

٦- إدخال تغييرات على القوانين والتشريعات تمكن من مقاومة الإرهاب في الدول الديمقراطية! ومن ذلك:

أ- اعتبار جمع الأموال وتحويلها لمنظمات إرهابية خروجاً على القانون.

ب- السماح بالتحقيق مع الجماعات التي تنادي بالإرهاب؛ حتى قبل قيامها بأي عمل.

جـ- تبسيط شروط الإعتقال في حالات الإرهاب.

د- وضع قيود على حق الإحتفاظ بالسلاح.

هـ- تشديد قوانين الهجرة.

و- دراسة دورية للقوانين.

ي- مطاردة إيجابية للإرهابيين.

حـ- عدم الإفراج عن الإرهابيين المسجونين.

ط- تدريب قوات خاصة لمكافحة الإرهاب.

ز- تعليم الشعب معارضة الإرهاب.

وهكذا يريد نتنياهو أن يكافح الإرهاب من خلال وصم الإسلام كله بالإرهاب، ثم العمل على ضرب كل مفاصل العمل الإسلامي، وهذا ما نجح في تحقيقه بعد (١١ أيلول)!

ويبقى لنا وقفة أخيرة مع المقدمة الجديدة للطبعة الثانية عام (٢٠٠١)، وهي كانت في الأصل خطاب ألقاه في الكونغرس الأمريكي بعد أسبوع من تفجيرات (١١ أيلول)، وهذا التوقيت سيكون له دور في تفعيل هذه الأفكار اليهودية؛ والذي ركز فيها على النقاط التالية:

١) ليس هناك إرهاب دولي بدون دعم دول، ولذلك زالت طالبان عن الخريطة، وراح النظام العراقي إلى سجل التاريخ!

٢) من هم الإرهابيون؟ إنهم إيران، والعراق، وسوريا، وطالبان، وسلطة عرفات، والسودان، وتتبعهم شبكة من التنظيمات التابعة لهم، بإختصار هم المسلمون!

٣) سبب الإرهاب هو العداء للغرب!

٤) لقد تلقينا إنذاراً من جهنم (!) فهل سنوحد الصفوف للعمل؟ والعمل المطلوب ما يلي:

- لا بد من تفكيك الشبكة الإرهابية كلها.

- يجب أن تسرى القوانين على كل الدول!

- ليس هناك أعمال إرهابية مبررة!

٥- على الدول التي تريد أن تشارك في الحملة على الإرهاب أن تتخلى هي عنه، مثل: إيران، وسوريا.

والخلاصة التي يصل إليها القارىء لكتاب نتنياهو أنه جعل من الأعمال التي يقوم بها بعض الحركات الإسلامية وسيلة للقضاء على المقاومة الفلسطينية، وجعل عرفات وحماس والجهاد وغيرهم إرهابيين لا بد من أن يقضى عليهم، وقد نجح في كثير من مسعاه.

وهذا يرجعنا للسؤال المهم: هل ما يقدم عليه كثير من التجمعات الإسلامية بهدف الجهاد هو في النهاية يصب في خدمة خطة العدو؟!

ربط العنف بالمنهج السلفي.. خطيئة كبرى

«الغد» (١٨/ ٩/ ٢٠٠٤)

كثرت مؤخراً الكتابات المجانبة للصواب؛ والتي تقوم على مغالطة ضخمة، وهي: أن سبب كثير من العنف الجاري في العالم اليوم هو المنهج السلفي.

وهذه فرية وكذبة يسهل كشفها لمن يتأمل قليلاً، أو يكون على معرفة بحقيقة المنهج السلفي، ولكن لجهل كثير من الناس بالسلفية، وتقصير أغلب السلفيين في شرح حقيقة دعوتهم لعامة الناس، وتفريط كثير من الدعاة السلفيين في التواصل مع وسائل الإعلام والثقافة المختلفة؛ تروج مثل هذه المغالطات!

ويمكن تفنيد هذه المغالطة والخطيئة من وجه مختصر، وآخر مطول، فالوجه المختصر هو:

السلفية -كما يتصورها كثير من الناس-: تمسك حرفي جامد بظاهر النصوص -وهي ليست كذلك-، فكيف يستقيم هذا التصور القاصر للسلفية مع أعمال العنف التي تخالف النصوص الواضحة من القرآن والسنة؟! علماً أن السلفيين هم أكثر الناس إطلاعاً على النصوص!!!!

وبهذا يبطل دعوى أن السلفية جمود على النصوص، أو أن هذا

العنف سلفي.

أما الوجه المطول:

أولاً: حقيقة الدعوة السلفية:

السلفية في حقيقتها عودة للنصوص الشرعية؛ وهي القرآن والسنة، وفهمها على منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ذلك أن منهج الفهم هو سبب الاتفاق أو الاختلاف، وهذا ما يظهر اليوم بقوة بين المناهج الأدبية، والفلسفية، والفنية، وغيرها.

وهذا التمسك لا يعني: الجمود؛ لأن النصوص الشرعية نوعان: خبر، وأمر، فالخبر يشمل العقائد، والأخلاق، والتاريخ، وهذه ثابتة لا تتبدل لكونها من لدن العليم الخبير.

وأما الأمر؛ فهو مرتبط بالقدرة والحال ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

والنصوص الشرعية وجهت المسلمين للمرونة في التعامل مع الحياة ضمن حدود الشرع، فمن ذلك: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»، «**سددوا وقاربوا**».

والمنهج السلفي هو الذي قعّد وأصّل لفقه المقاصد، وغالب «الإصلاحيين» اليوم يستندون لتراث ابن تيمية وابن القيم في كثير من طروحاتهم «المستنيرة، والعصرية»!

ليست السلفية هي المطالبة بتحكيم شرع الله فقط، أو المطالبة بالعودة للإسلام، فهذا هو التصور الغربي عن السلفية، السلفية منهج لفهم الإسلام بشموله؛ ومنه تحكيم شرع الله، ولذلك تهاجم

وتحارب أغلب الحركات الإسلامية السلفيين بحجج شتى.

هذه هي حقيقة الدعوة السلفية، والتي تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل؛ ولا تزال، ولم تنحصر في مكان أو زمان، أو مذهب فقهي، أو جماعة، أو دولة.

ثانياً: قصة مسار العنف:

لقد شهد العصر الحديث حتى مطلع التسعينات العديد من الأعمال التي تصنف في دائرة العنف، أو الثورة في بلاد متعددة؛ كمصر؛ من حادثة الكلية الفنية، وقتل الشيخ الذهبي، وقتل الخازندار، واغتيال السادات، وما بعدها من أعمال جماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية، أو سوريا؛ من صدامات الإخوان بحزب البعث بداية السبعينات؛ حتى تدمير حماة، أو حادثة جهيمان في الحرم، أو أحداث الجزائر؛ من مصطفى أبو يعلى، إلى جبهة الإنقاذ، أو حركة عبد الكريم مطيع في المغرب.

فهل هذه الأعمال قام بها السلفيون؟

لقد كان إنكار هذه الأعمال هو سبب عداء هذه التيارات للسلفية، ووصمها بمهادنة الحكام والعمالة للأنظمة!

ولقد تبني السلفيون الجهاد ضد الكافر الأصلي بوضوح في العصر الحديث، ودعموه بالمال والشباب في أفغانستان، والشيشان، والبوسنة، وكشمير وغيرها، في حين بقي قطاعات كبيرة تتغنى بالجهاد -أغلى أمانينا- دون مساهمة تذكر فيه! وقسم آخر ذهب لساحات الجهاد -وخاصة أفغانستان- لتكون محطة إعداد وتدريب

للعودة «للجهاد في بلاده»، وهنا بدأت أزمة الشباب السلفي!

لقد ذهب الشباب السلفي لقتال الكافر المعتدى على حرمات إخوانه المسلمين، وهناك التقى بعض السلفيين بأصحاب الأفكار الثورية من شتى الدول، وبدأت تظهر أفكار جديدة توجت بتحالف الظواهري (جهاد مصري) مع ابن لادن، وبذلك يكونون قد نهجوا مساراً جديداً؛ لا علاقة له بالسلفية.

فكانت الحصيلة ما يلي: رفض منهج العلماء السلفيين في العالم؛ ولذلك تخلو بيانات وأدبيات القاعدة وما شابهها من الاستناد للعلماء المعاصرين الذين هم رموز المنهج السلفي.

وأصبح المنظر والموجه لهذه التيارات شباب (في الغالب دون الأربعين)؛ ليسوا من أهل العلم الشرعي، ولا السابقة في الدعوة، بل كثير منهم حديث عهد بالتدين!

ولوحظ تأثر بعض القادة الجدد بالفكر الثوري اليساري (عمر عبد الحكيم في كتابه عن ثورة سوريا).

إن أغلب القائمين بهذه الأعمال لهم توجهات فكرية وسياسية مخالفة لما عليه عامة العلماء السلفيين، فتجد بعضهم له أصول تحريرية، أو جهادية، أوتكفيرية، وأغلب هذه التيارات تتعاون مع جهات تناصب السلفية العداء؛ مثل: إيران، وسوريا، وحزب البعث في العراق!!

كما لوحظ أن مسار العنف والثورة تنقل في المنطقة العربية بين اليساريين في السبعينات، إلى الشيعة في الثمانينات، إلى الإسلاميين

السنة في التسعينات.. **هؤلاء الذين تنسب لهم أعمال العنف ليسوا ممثلي السلفية في أوطانهم**، بل هم طارئون عليها.

فكما أن الإسلام لايتحمل خطأ هؤلاء المسلمين، فالسلفية لا تتحمل خطأهم كذلك.

ثالثاً: موقف الهيئات السلفية والعلماء:

من المعلوم أن للسلفيين في أغلب البلاد العربية رموزاً وهيئات معروفة من قديم، قبل ظهور هذه التجمعات وأفكارها، ومواقفها معروفة ومعلومة تجاه هذه الأعمال، ولذلك أصحاب هذه التوجهات يهاجمون السلفيين في بلادهم، فكيف تحسب هذه الأعمال على السلفية؟

أسباب ظهور فكر العنف

«الغد» (١١/ ١٢/ ٢٠٠٩)

في هـذا المقـال نتنـاول نـشأة هـذا الفكـر، وأسـباب ظهـوره، حيـث أن فكـر العنـف في الوسـط الإسـلامي الحـديث لم ينـشأ مـن فـراغ أو دون سياق موضوعي، وإنما كان لظهوره سببان رئيسيان:

الأول: هـو الانقطـاع الـذي حـصل بـين جهـود العلمـاء والمفكـرين والمـصلحين في مطلـع القـرن الماضـي؛ والـذين كـان أغلـبهم مـن الـسلفيين؛ مثـل: جمـال الـدين القـاسمي، ومحمـود شـكري الألوسـي، ومحمـد رشـيد رضـا، وشـكيب أرسـلان، ومحـب الـدين الخطيـب، وعبـد الحميـد بـن باديس، وعبـد العزيـز الثعـالبي، وغيرهـم، وبـين الحركـات الإسـلامية اللاحقـة؛ والـتي سميـت مرحلتهـا بالـصحوة الإسـلامية، وذلـك نتيجـة محاربـة قـوى الاحـتلال لهـم مباشـرة، أو عـبر وكلائهـم في الدولة الحديثة.

أمـا الـسبب الثـاني فهـو: انتقـال عـدوى العنـف والثوريـة مـن التيارات اليسارية إلى الحركات الإسلامية الحديثة.

إن جهـود العلمـاء المـصلحين في مطلـع القـرن الماضـي كانـت الـسبب الـرئيس في غالـب مـا تحقـق مـن نهـضة تعيـشها الأمـة اليـوم، وكـثير مـن النقـائص الـتي عـادت أو لم تـزل بالكليـة هـي بـسبب عـدم

مواصلة مسيرتهم الإصلاحية.

فالدعوة لنشر العلم والمعرفة، وفتح باب الاجتهاد، وتأسيس المدراس للبنين والبنات، وطباعة الكتب، وإنشاء الصحف والمجلات إنما حمل رايتها العلماء، وحاربها الاحتلال وأعوانه من مشايخ الطرقية والتصوف، وحالة الجزائر أكبر شاهد على ذلك.

وقد كان على رأس أولويات هؤلاء العلماء المصلحين: محاربة الاستبداد والظلم، والعمل على مشاركة الأمة في تقرير مصيرها عبر مخاطبة الحكام، وتأسيس الجمعيات، وإقامة المؤتمرات، وتقديم المقترحات القانونية والدستورية لذلك.

كما أن هؤلاء العلماء كان لهم قصب السبق في مقاومة الاحتلال، وقيادة المجاهدين لحربه، كما أنهم كانوا مندوبي الأمة في التفاوض مع المحتل، وفي المحافل الدولية.

وللأسف؛ فإن هذا الدور العظيم للعلماء والمفكرين في نهضة الأمة والدفاع عنها أصبح في غياهب النسيان؛ بسبب الجهود الماكرة لوكلاء المحتلين؛ الذين رباهم الاحتلال في مدارسه ومعاهده، ومن ثم سلمهم مقاليد الحكم في كثير من الدول الحديثة، فقاموا على طمس هذه الجهود المباركة من جهة، ومن جهة أخرى عملوا على تفريغها من مضمونها؛ فضلاً عن عدم المراكمة عليها وتنميتها.

ولذلك دخلت شعوب الأمة ودولها في دوامة من المراوحة مكانها، ومسيرة مضطربة من تبدل الأنظمة والأيديولوجيات؛ عبر سلسلة من الانقلابات والانقلابات المضادة لها، مما أعاق مسيرة التنمية والنهضة، وكرّس التجزئة والفرقة، وبالتالي ضعفت الأمة، وأضاعت كثيراً من مقدراتها

ومقدساتها، وعجزت عن حماية فلسطين.

فتولد من ذلك جيل غاضب على قادته، يشعر بالتهديد حيال هويته ومعتقده، يرى ثرواته ومقدساته تُسرق وتصادر، يملك الشجاعة والصدق، وينقصه الخبرة والعلم، ورافق هذا أجواء ثورية على الصعيد الفكري والسياسي، يبشر بها سدنة الأنظمة الثورية، وقادة التقدمية ومفكرو التنوير، فلجأ هذا الشباب الغاضب المقطوع عن تجارب علمائه ومفكريه المصلحين إلى الثورية والعنف.

ممن أدرك هذه الحقيقة بوضوح الباحث تركي الربيعو في كتابه «الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر»؛ حيث يقرر بعد أن فنّد كل النظريات التي تم تداولها في شأن ظهور الصحوة الإسلامية، والعنف الذي رافق بعضها، مستخدماً نفس المناهج، وعلى ذات الأرضية المعرفية؛ حتى وصل إلى إطلاق حكم عليها بأنها: «خردة أيدلوجية»!!

يقرر الربيعو أن «هناك إجماع على أن بنية الخطاب الإصلاحي الإسلامي لا تقوم على العنف، وأن قادة هذا الخطاب كانوا بالفعل دعاة لا قضاة، ولم يكن لديهم هذا الميل إلى التكفير الذي يصادر التفكير.

وأن العنف لاحق، وأنه يمكن كتابة تاريخه على إثر القطيعة التي حدثت في أواسط عقدنا هذا بين الإصلاحية الإسلامية؛ التي تمتد جذورها من خير الدين باشا والأفغاني إلى محمد رشيد رضا، وبين ما عرف لاحقاً بالإسلام السياسي؛ الذي تبلور ظهوره في أواسط هذا القرن». (ص٩١).

ومصداق هذا نجده اليوم في استناد كثير من مراجعات جماعات العنف إلى مقولات ومفاهيم هؤلاء العلماء المصلحين، وضرورة الاستفادة من تجربتهم ومحاولاتهم.

وبسبب هذه القطيعة مع التجارب السابقة، وقلة العلم والخبرة، والواقع الضاغط أصبحت مسيرة الحركات الإسلامية المعاصرة تتصف بـ «أن الممارسة الواقعية في الحركات الإسلامية عادة ما تسبق التنظير أو وضوح الرؤية الكلية»؛ كما يقرر ذلك هشام جعفر في ورقته: (الإسلاميون وتحديات بناء مشروع ديمقراطي)، ضمن كتاب «إسلاميون وديمقراطيون».

ولذلك فإن دراسة سيرة وتجارب هؤلاء العلماء المصلحين من الضرورة بمكان، ويلاحظ أن الدوائر العلمانية تعتني بذلك أكثر من الإسلاميين، وهذا وضع غير صحي، وقد يكون هذا من أوجه محاربة الصحوة الإسلامية بتقديم نماذج إسلامية مقبولة علمانيّاً؛ كما أوصى بذلك تقرير «مؤسسة راند»: (الإسلام المدني)!!

أما كون هذا العنف وليد الأجواء الثورية التقدمية؛ فيكتب الربيعو في هامش نفس الصفحة ما يلي: «في رأيي أن العنف الثوري الراديكالي الداعي إلى التغيير بالقوة هو عنف لاحق، انتقلت عدواه من الأحزاب الراديكالية العربية إلى الحركات الإسلامية، وهذا ما يحتاج إلى بحث طويل».

وهذا الربط بين الثورية اليسارية أو الشيوعية، وبين الثورية الإسلامية قديم، ومن آخر ما وقفت عليه ما ذكره «جون س. حبيب» في كتابه «الإخوان السعوديون»؛ حيث نقل عن الشريف

الحسين، والأمير فيصل، وبعض الضباط البريطانيين في بغداد اتهامهم لحركة الإخوان (إخوان من طاع الله) أنهم ينفذون دون وعي منهم مخططاً بلشفيّاً (وهو اسم الثورة الماركسية -آنذاك-)؛ لإشعال ثورة تقضي على الدول القائمة!!

ورغم أن «حبيب» يعتبر هذا من الأفكار الخاطئة عن حركة الإخوان، إلا أن الدعم الثوري اليساري لحركة جهيمان -الذي يعتبر امتدادا لحركة الإخوان، والذي حدثت حركته في مثل هذه الأيام قبل ثلاثين عاماً-، وتمثل الدعم اليساري لحركة جهيمان من خلال طباعة كتب «جهيمان» في الكويت لدى مجلة «الطليعة» اليسارية مقابل ثمن رمزي، ومدّه بالسلاح عبر «ناصر السعيد» زعيم «الحزب الشيوعي السعودي»، وقيام «مظفر النواب» الشاعر الماركسي برثاء «جهيمان»! هذا كله يجعل من الضرورة بمكان فحص هذه التهمة بشكل علمي وموضوعي.

فما الذي يدعو اليساريين لدعم جهيمان؟ ولماذا تقبل مثل هذه الجماعات دعم خصومها الألداء؛ وهو ما ما يزال يحدث لليوم؛ كما هو الحال مع الدعم الإيراني لتنظيم القاعدة في العراق، أو التعاون بين القاعدة والمتمردين الحوثيين في اليمن الآن؟

ونخلص من هذا كله أن القطيعة المعرفية مع العلماء والمصلحين، والأجواء الثورية كانت محضن التفريخ لفكر العنف؛ ولذلك فإن تجاوز حالة القطيعة مع تجارب العلماء والمصلحين، والبناء والمراكمة عليها هو سبيل تجاوز دوامة العنف، وهذا هو محور حديثنا في الأسبوع القادم -بإذن الله-.

التكفير والعنف.. منتج إخواني؟!

«الغد» ٢٠/ ٥/ ٢٠١١

من المؤسف أن نعمة انتشار المعرفة والعلم لا تخلو من شوائب ومعايب، ومن ذلك انتشار كثير من الأكاذيب واعتبارها حقائق لا مجال لنقاشها بسبب تكرارها، وهي قاعدة إعلامية أسسها غلوبز وزير الإعلام النازي بقوله: أكذب ثم أكذب وستصدق الكذبة!!

ومن هذه الأكاذيب الدارجة أنّ ظاهرة التكفير والعنف المعاصرة هي ظاهرة ومشكلة سلفية، كقول ياسر الزعاترة بصحيفة الدستور ١١/ ٥/ ٢٠١١ «أن بعض هذه المجموعات (السلفية) تعاني من سهولة الاختراق والتطويع، بدليل أنها هي ذاتها التي خرج من رحمها تيار العنف قبل مراجعاته المعروفة».

وهذه الفرية أصبحت حقيقة عند الجمهور بسبب كثرة ترددها، وبسبب تقاعس غالب السلفيين بل معضمهم عن التواصل الإيجابي مع وسائل الإعلام المختلفة، والاقتصار على مخاطبة الذات على طريقة الأعرابي الجاهل «أوسعتهم شتماً وأودوا بالأبل».

والحقيقة التي يتعامى عنها الزعاترة وغيره أن التكفير والعنف مشكلة إخوانية، بينهم نشأت وترعرت، وبينهم راجت وانتشرت، ومن ثم صدروها للسلفيين عبر منظريهم الذين لجؤا إلى السعودية؛

الـتي احتـضنتهم ودمجـتهم في مؤسـساتها بـل تجـنس بعـضهم بجنـسيتها، فأصـبحوا قـادة التوجيـه فيهـا في وزارة التربيـة وبعـض المؤسـسات الدعوية!!

ولـيس هـذا الكـلام تهمـة لـيس لهـا دليـل بـل الأدلـة عليهـا كـثيرة ومتعـددة، ممـا يجعـل إيرادهـا جميعـاً في غايـة الـصعوبة، لكـن سـأحاول إيراد أبرزها على شكل نقاط مختصرة:

١- معلـوم أن أول ظهـور لفكـر الـتكفير في العـصر الحاضـر كـان بين سـجناء جماعـة الإخـوان المسلمين في مـصر سـنة ١٩٦٥، وتـزعّم هـذا الفكـر خـريج الأزهـر علـي إسماعيـل شـقيق عبـد الفتـاح إسماعيـل؛ الرجل الذي قـام بإعـادة إحيـاء تنظـيم الإخـوان المـسلمين بعـد اعتقـالات ١٩٥٤، والـذي اسـتقطب سـيد قطـب لقيـادة التنظـيم الجديـد، وأعـدم هو سيد قطب معاً سنة ١٩٦٥.

وبعـد تراجـع علـي إسماعيـل عـن الـتكفير تـابع تلميـذه مـصطفي شـكري المـسيرة، وبعـض سـجناء الإخـوان سـنة ١٩٦٥، الـذين رفـضوا تقديم استرحامات لجمال عبد الناصر.

٢- وممـا سـاعد علـى انتـشار فكـر الـتكفير بـين سـجناء الإخـوان أفكـار سـيد قطـب الـتي تربـى عليهـا تنظـيم ١٩٦٥ الـذي أشـرف عليـه عبـد الفتـاح إسماعيـل، وشـدة التعـذيب والتعـدي علـى الـذات الإلهيـة من ضباط السجن وقادة عبد الناصر.

٣- وبـسبب انتـشار هـذه الأفكـار بـين سـجناء الإخـوان، سـارعت قيادة الإخوان للإستفـسار مـن سـيد قطـب – وهـو مـسؤول نـشر الـدعوة بالجماعـة - عـن مـسؤوليته عـن هـذه الأفكـار، خاصـة أنهـا جـاءت بعـد

تأليفه لكتاب «معالم في الطريق» فنفاها ونسبت له مقولة: «وضعت حملي على حمار أعرج»، وقامت الجماعة سنة ١٩٦٩ باعداد كتاب «دعاة لا قضاة» لمعالجة مشكلة التكفير بين أفراد الإخوان في السجن وخارج السجن، وبقي السجال في داخل الجماعة بين خط يؤيد أفكار سيد قطب وخط يرفضها أو يحاول تأويلها ونزع دسمها.

٤- بقي الفكر القطبي متواجداً بقوة على الساحة بين تيارين، تيار من جماعة الإخوان في داخل وخارج مصر، وبين الجماعات الإسلامية المسلحة، والتي هي انشقاقات عن جماعة الإخوان بسبب تبنيها فكر سيد قطب كما يقول عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري) في كتابه «دعوة المقاومة الاسلامية العالمية»، والقرضاوي في كتابه «الإخوان المسلمون سبعون عاما في الدعوة والتربية والجهاد».

٥- ومن المتأثرين بالفكر القطبي من الإخوان مثلاً الشيخ مروان حديد من سوريا والذي كان قائد أحداث حماة في السبعينات والذي كانت له صلات بعبد الفتاح إسماعيل؛ ود.إسماعيل الشطي الذي حضر محاكمة سيد قطب وتأثر بصلابة وعزة سيد فنقل أفكاره للكويت ولمجلة المجتمع، والشيخ محمد رأفت الذي تبنى منهج سيد قطب بغلو شديد مع الإخوان في منطقة البقعة بالأردن في السبعينيات حتى استنجد الإخوان بالألباني لحل مشكلة تكفير عموم المسلمين عندهم.

٦- في السبعينات كان الإخوان خارج مصر يميلون لأفكار وتيار سيد قطب أكثر من ميلهم لأفكار حسن الهضيبي، يرصد هذا إبراهيم غرايبة في كتابه «جماعة الإخوان المسلمين في الأردن» بقوله:

«وغلب على فكر الجماعة اتجاه التطرف وتكفير المجتمعات ووصفها بالجاهلية، وهي موجة فكرية عمت الحركة الإسلامية منذ منتصف الستينات، ولكنها تبلورت بقوة في السبعينات»، وأما د.فلاح المديرس في كتابه «جماعة الإخوان المسلمين في الكويت» فيقول: «في أواخر الستينات وبداية السبعينات حيث تمكن التيار الأصولي من السيطرة على القيادة التاريخية لجماعة الإخوان المسلمين في الكويت...مما أدى بقيادة الإخوان في الكويت في عام ١٩٧٦ أن تصدر أوامرها بعزل جميع من تأثروا بفكر تنظيم التكفير والهجرة»، أما كتاب د.معتز الخطيب «سيد قطب والتكفير» فيرصد الصراع الإخواني حول فكر سيد قطب في سنة ١٩٧٢ على صفحات مجلة «الشهاب» اللبنانية الإخوانية بين مؤيدي قطب ومخالفيه الذين مثلهم عبدالله أبو عزة بمقالاته «التكفير والجاهلية». وقد تغلب التيار المعارض لفكر سيد قطب من قيادة الجماعة من نهاية الثمانينات في غالب الدول.

٧- وفي تطور لفكر التكفير في جماعة الإخوان، نشأة فكرة أن جماعة الإخوان هي جماعة المسلمين، يقول محمد الغزالي في كتابه «من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث»: «ولقد عجبت لخلاف وقع بين شباب الإخوان المسلمين أثاره بعضهم بتشاؤم: هو: هل نحن جماعة المسلمين، أم جماعة من المسلمين؟

والإجابة على هذا السؤال لها نتائج ذات بال، بل نتائج ترتبط بها صيانة دماء وأموال! فإن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين يرون مخالفة الأستاذ حسن الهضيبي ضرباً من مخالفة الله ورسوله،

وطريقاً ممهدة إلى النار وبئس القرار!

وقد كنت أسير مع زميلي الأستاذ سيد سابق قريباً من شعبة المنيل، فمرّ بنا اثنان من أولئك الشبان المفتونين وأبيا إلا إسماعنا رأيهم فينا وهو أننا من أهل جهنم! وصادف ذلك منا ساعة تبسط وضحك فمضينا في طريقنا وقد سقط طنين الكلمة النابية على الثرى قبل أن يتماسك في آذاننا... فمن المضحك أو المبكي أن يخطب الجمعة في مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يؤكد أن الولاء للقيادة يكفر السيئات، وأن الخروج عن الجماعة يمحق الفضائل، وأن الذين نابذوا القيادة (يقصد المرشد للجماعة) عادوا للجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة.. تغلغل هذا الضلال في نفوس الناشئة حتى كتب بعضهم لأخ له ــ من قبل ــ يسأله: هل تظن نفسك مسلماً بعد ما خرجت من صفوف الجماعة» ا.هـ.

ولم يقتصر هذا على أفعال بعض الشباب بل أخذ طريقه ليدوّن ويُسطر في كتابات بعض القادة التاريخيين لجماعة الإخوان مثل سعيد حوى حيث يقول في كتابه «المدخل الى دعوه الإخوان المسلمين»: «إننا في هذا المدخل استقرأنا النصوص لنصل إلى مواصفات جماعة المسلمين، وبرهنا على أنها موجودة في دعوة الأستاذ البنا»، ويقول أيضاً: «وقد أراد الأستاذ البنا رحمه الله من حركة الإخوان المسلمين أن تكون دعوتهم هي القاسم المشترك بين المسلمين وأن تكون الإطار الذي يضم عامة المسلمين... ولا زالت دعوة الإخوان المسلمين وحدها هي الجسم الذي على أساسه يمكن أن يتم التجمع الإسلامي في العالم»، ويقول: «إن مواصفات الجماعة التي يصح أن نعتبرها جماعة المسلمين موجودة في جماعة الإخوان كما أقامها البنا».

وإن كانت الجماعة تنبهت لخطورة هذه الفكرة ونبذتها لاحقاً.

٨- وبسبب مطاردة الأنظمة في مصر وسوريا والعراق للإخوان في الستينات والسبعينات لجؤا إلى السعودية خاصة والخليج عموماً، وعمل أكثر هؤلاء مدرسين في الجامعات والمدارس، فنقلوا أفكارهم للطلبة هناك وروجت بينهم أفكار وكتب سيد قطب.

٩- وبسبب الأفكار القطبية وتفاعلها عند بعض الشباب ظهر خط جديد يجمع بين القطبية من جهة والمظهر والخطاب السلفي من جهة أخرى، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك هو: أبو محمد المقدسي الذي يقول عن نفسه في كتابه «ميزان الإعتدال في تقييم كتاب «المورد الزلال»: «أحب أن يعرف المتعصبون للظلال بأنني حين أتكلم عن الظلال فلست كأولئك الذين لم يقرؤوا منه إلا مواضع الانتقاد المشهورة كالكلام على سورة الحديد والإخلاص وما جاء فيهما والآيات المتعلقة بالاستواء ونحو ذلك.. بل قد أمضيت عمراً في رافد تصحيحي من روافد الإخوان (يقصد السرورية) الذين قد أرضعونا الظلال والمعالم وغيرها من كتب سيد وأخيه والمودودي – رضاعة في طور الحضانة (أعني بداية الهداية)».

وهذا اعتراف صريح من المقدسي حول حقيقة نشأته أن بدايته كانت مع جماعة الإخوان والأفكار القطبية، لكن بسبب طبيعة المقدسي لم ينضبط تنظيمياً في الإخوان أو ما تفرع عنها لكنه بلور الأفكار القطبية أكثر من خلال صلاته مع بقايا جماعة جهيمان – الذين تأثروا بجماعة مصطفي شكرى – صلته بالجماعات الجهادية القطبية في زياراته لبيشاور في الثمانينات.

١٠- ومع تصاعد وتيرة الجهاد الأفغاني ذهب الكثير من الشباب السلفي للجهاد هناك بدعم من دولهم، ولكن كانت معسكرات التدريب تحت إدارة الجماعات المسلحة فتعرض هؤلاء الشباب لعملية توجيه ودعوة للإنضمام لمنهج التكفير والعنف على يد الجماعات المسلحة المصرية والجزائرية والسورية والليبية وغيرها، وقد فصل ذلك كميل الطويل في كتابه «القاعدة وأخواتها» وخالد المشوح في «التيارات الدينية في السعودية»، ومما ساعد على ذلك غفلة العلماء السلفيين عن ما يحدث في مضافات بيشاور من غسيل أدمغة للشباب!!

هذه هي الحقيقة حول أبوة الإخوان المسلمين لفكر التكفير وليس السلفية، وهي الحقيقة التي تدعمها كل الأدلة والوثائق. وغالب الصراع بين السلفيين والإخوان في السبعينات والثمانينات كان حول انكار السلفيين على الإخوان قضايا التكفير والعنف.

قصة الجماعات الإسلامية المسلحة

«الغد» ٢٧/ ٥/ ٢٠١١

فيما مضى تناولت شيء من تاريخ الدعوة السلفية المباركة، واليوم أتناول تاريخ الجماعات الإسلامية المسلحة أو جماعات العنف الإسلامية أو السلفية الجهادية وهي التسمية التي خرجت من بنات أفكار د.محمد أبورمان، في ليلة ليس فيها ضوء قمر، وتورطنا نحن معشر السلفيين بها!!

وهي قصة توردها العديد من الدراسات الخاصة بالجماعات والحركات الإسلامية مثل «الإحياء الديني، ملف إجتماعي» لرفيق حبيب، و«الإسلام السياسي في مصر» لهالة مصطفي، و«الحركة الاسلامية من المواجهة إلى المراجعة» لكمال حبيب، و«الإسلاميون» لبشير نافع، و«الحزاب والحركات والجماعات الإسلامية» لفيصل دراج وجمال باروت، و«تحولات الخطاب السلفي، الحركات الجهادية» لمروان شحادة، وهذا ملخص لما ورد في هذه المصادر وغيرها بشكل موجز:

بداية يلخص لنا الموضوع الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «الإخوان المسلمون سبعون عاما في الدعوة والتربية والجهاد» بقوله: «ومن التهم التى توجه إلى الإخوان باستمرار وتلوكها الألسنة

والأقــلام: أن (جماعــات العنــف) ظهــرت مــن تحــت عبــاءتهم، مثــل جماعــات (جماعــة الجهــاد) أو (الجماعــة الإســلامية) و(جماعــة الــتكفير) وغيرها من الجماعــات التــى نــشأت فــى مــصر واتخــذت العنــف نهجــا لهــا وســبيلا لتحقيــق أهــدافها. والحــق الــذى لا ريــب فيــه: أن بعــض هــذه الجماعــات مثــل (جماعــة الــتكفير) تعتــبر (انــشقاقاً) علــى الإخــوان ولــيس (امتداد) للإخوان».

وهــذه هــي الحقيقــة أن الجماعــات الإســلامية المــسلحة هــي انشقاقات عــن جماعــة الإخــوان وحــزب التحريــر – كمــا ســيأتي - ولــيس عــن الــدعوة الــسلفية، فــأول إرهاصــات هــذا التيــار كمــا يوضــح القرضاوي تعــود لمجموعــة منــشقة عــن جماعــة الإخــوان المــسلمين في مــصر سمــت نفــسها (شــباب محمــد) عــام ١٩٣٧ بتحــريض مــن حــزب مــصر الفتاة اعتراضاً على تقاعس حسن البنا عن نصرة فلسطين!!

ومــن ثــم قــام (التنظــيم الــسري) لجماعــة الإخــوان عــام ١٩٥٨ بعمليــات عــسكرية ضــد الاحــتلال في فلــسطين قبــل أن يتــورط في اغتيــال القاضــي الخازنــدار ورئــيس الــوزراء المــصري محمــود النقراشــي ويحــاول تفجــير مبنــى محكمــة الإســتئناف لإتــلاف وثــائق التنظــيم الخــاص الــتي ضبطت.

وبعــد أن اصــطدمت جماعــة الإخــوان بالــسلطات وبــدأت مــسيرة المعتقلات والــسجون الــتي صــب علــيهم فيهــا العــذاب صــباً علــى الجميــع من أذنب ومن لم يــذنب، بــدأت تظهــر بــذور التطــرف والعنــف كــرد فعــل على هــذا الظلــم الكــبير، ظهــر التطــرف والــتكفير عنــد مــصطفي شــكري الــذي أســس جماعــة المــسلمون والــتي عرفــت بجماعــة الــتكفير والهجــرة،

وعند نبيل البرعي الذي سيكون جد الجماعات الإسلامية المسلحة.

مصطفي شكري كان من الإخوان المسلمين واعتقل بين عامي ١٩٦٥-١٩٧١، وبسبب العذاب الأسطوري من قبل النظام الناصري التقدمي والذي كان يهين معتقدات المساجين بسب الذات الإلهية والتوعد بسجن الله – والعياذ بالله – تولدت فكرة تكفير هؤلاء السجانيين وقادتهم والقادة السياسية التي تأمرهم بسجن الإخوان، ووصل به الأمر إلى تكفير العلماء والشعب الذين لا يتحركون لوقف هذا الظلم والطغيان والكفر، وقد لقيت هذه الفكرة رواجاً بين البعض بسبب حالة الظلم وقوة شخصية مصطفى شكري، فاعتزلوا المجتمع ومن ثم تصادموا معه وتوج ذلك بقضية قتل الشيخ الذهبي عام ١٩٧٧، فحكم على شكري بالإعدام وتفتت التنظيم بين الجماعات الجهادية.

أما نبيل البرعي فهو أيضاً أحد سجناء الإخوان انشق عنهم وأسس حركة جهادية، سرعان ما انشق عنها مصطفى علوي عام ١٩٧٣، وشهد نفس العام تأسيس د.صالح سرية لتنظيم مشابه، وهو الفلسطيني الذي تنقل بين حزب البعث العراقي وحركة فتح وحزب التحرير وجماعة الإخوان في الأردن والعراق ومصر، وقاد ما عرف بعملية الكلية الفنية عام ١٩٧٤ في القاهرة بهدف اغتيال السادات وقياداته العسكرية والسياسية، بعد فشله وإعدامه أصبحت هذه المجموعات تتكاثر وتنشق على نفسها وكان من رموزها محمد سالم الرحال - وهو فلسطيني أيضاً كان يدرس في الأزهر ونشأ في حزب التحرير!! – الذي كان حلقة وصل بين أبرز الشخصيات في هذه

التنظيمات مثل أيمن الظواهري وعصام القمري.

ويعد تنظيمي صالح سرية ومحمد سالم الرحال واللذين أساس لكل التنظيمات المسلحة اللاحقة، ويوصفان بأنهما تنظيمان تابعان لحزب التحرير في دراسات هالة مصطفي وفيصل دراج ورفيق حبيب!! (حزب التحرير كان في البداية يؤمن بالإنقلابات العسكرية والأعمال المادية مثل محاولته الانقلابية في الأردن سنة ١٩٦٨، ثم غير موقفه واقتصر على التحريض، وهذا يشابه ما يجرى اليوم لدى قطاع من التيار الجهادي في الأردن).

ما تبقي من أفراد هذه التنظيمات بعد القتل والسجن والفرار سيعودون للتجمع في تنظيم جديد على يد محمد عبد السلام فرج عام ١٩٨٠، وهو التنظيم الذي سيغتال السادات.

في مرحلة السبعينيات سمح السادات للعمل الإسلامي بالنشاط فتشكلت في الجامعات لجان طلابية دينية عرفت لاحقاً بالجماعة الإسلامية، وهي تجمع للشباب المتدين مقابل التيارات اليسارية، وبعد خروج جماعة الإخوان من المعتقلات وبداية مسيرة السلام انقسمت الجماعة الإسلامية لعدة تيارات فبعضها انضم لجماعة الإخوان مثل عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح وبعضهم كون ما عرف بالمدرسة السلفية بالإسكندرية مثل محمد إسماعيل المقدم وأحمد فريد وياسر برهامي، وبقي البعض باسم الجماعة الإسلامية مثل كرم زهدي وعصام دربالة وهو التيار الذي سيتحالف مع جماعة الجهاد في اغتيال السادات تحت إشراف الشيخ عمر عبد الرحمن وقيادة محمد عبد السلام فرج حتى اعدامه، ومن بعدها فض

هـذا التحـالف بـسبب الخـلاف علـى إمـارة الأسـير (عبـود الزمـر) أو إمارة الضرير (عمر عبد الرحمن).

هـذه هـي قـصة ظهـور الحركـات الإسـلامية المـسلحة باختـصار، وقـد تأسـست غالـب هـذه الجماعـات بـشكل أساسـي علـى أفكـار أبـو الأعلـى المـودودي وخاصـة كتابـه «المـصطلحات الأربعـة» (الإلـه، الـرب، العبـادة، الـدين) والـذي كـان لـه دور محـوري في تـشكيل ذهنيـة هـذه الجماعـات والـتي تـأثر بهـا سـيد قطـب واعـاد إنتاجهـا في كتبـه «معـالم في الطريق» و«في ظلال القرآن».

بعــد أن اصــطدمت هــذه الجماعــات بالنظــام المــصري وبــدأ يطاردها فـر الـبعض لخـارج مـصر، كمـا أن بعـض مـن أنهـوا محكوميـاتهم سـافروا لخـارج مـصر، وكانـت الأردن والـسعودية وجهـة الكـثيرين مـنهم، وفي أحـد خطابـات الـسادت وجـه رسـالة تهديـد إلى حـسن الهـلاوي أحـد القيـادات البـارزة والـذي كـان هاربـاً في الأردن، وقـد شـهدت الثمانينيـات تـولى بعـضهم إمامـة مـساجد في الأردن، ونـشروا أفكـارهم بـين الأردنـيين وقـد يكـون لهـم دور في ظهـور مـا عـرف بقـضية «جـيش محمـد» في أواخـر الثمانينـات، قبـل قـدوم أبـو محمـد المقدسـي للأردن بعد الغزو العراقي للكويت.

وقـد سـبق ذلـك قـدوم محمـد سـالم الرحـال الفلـسطيني وهـو أحـد الزعمـاء التـاريخيين لجماعـة الجهـاد المـصرية لـلأردن، والـذي قـام بنقـل تجربتـه في مـصر إلى الأردن وأسـس تنظيمـاً أطلـق عليـه اسـم (تنظـيم الجهاد الإسلامي في الأردن) وكان هذا ما بين ١٩٨١ و١٩٨٤.

أما عـن تـأثير هـولاء القـادة المـصريين الهـاربين للـسعودية وتـأثيرهم

على جماعة جهيمان فهو موضوع المقال القادم .

فإذن هذه الجماعات نشأت في مصر وليس في السعودية موطن الدعوة السلفية المعروفة بالوهابية، وعلى يد شخصيات كانت منتمية لجماعة الإخوان المسلمين أو حزب التحرير، وقادة هذه الجماعات ليس فيهم من ينتمي للدعوة السلفية بمختلف مدارسها في مصر مثل جماعة أنصار السنة المحمدية أو الجمعية الشرعية أو غيرهما، والمراجع التنظيرية لها هي كتابات أبو الأعلى المودودي وسيد قطب، وليست الكتب السلفية المعروفة.

جهيمان بين التكفيريين والسلفيين

«الغد» ٢٠/ ٥/ ٢٠١١

بعد أن استعرضنا التسلسل التاريخي لنشأة الجماعات الإسلامية المسلحة في مصر، وذكرنا أن بعض أفرادها هرب أو خرج من مصر، ونواصل اليوم الحديث عن تأثيرهم.

من أرخ لجماعة المسلمون (التكفير والهجرة) يذكرون أن مصطفي شكري بعد خروجه من السجن أرسل عدداً من أتباعه للبلاد العربية لنشر الدعوة والحصول على دعم وتمويل للجماعة وذلك سنة ١٩٧٤، ومن الدول التي ذهب لها هؤلاء المبعوثين السعودية.

وعن دورهم أو بعضه في السعودية يحدثنا ناصر الحزيمي أحد الجهيمانيين القدماء، وذلك في كتابه الجديد «أيام مع جهيمان: كنت مع الجماعة السلفية المحتسبة»، عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر سنة ٢٠١١، وهي أول شهادة مكتوبة لأحد أفرادها السابقين.

ولابد من تقديم موجز عن شهادته لنشأة جماعة جهيمان حتى تكتمل الصورة ونفهم تأثير مندوبي مصطفي شكري، يقول الحزيمي أنه سأل جهيمان عن تاريخ نشأة الجماعة فأخبره أنها بعد حادثة تكسير الصور (المانيكات، التي توضع عليها الملابس) في المدينة المنورة

سنة ١٩٦٥، وهي الحادثة التي على إثرها تم تسفير الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ود.عمر الأشقر من السعودية رغم أنه لا علاقة لهم بالتكسير، ورغم أن الشيخين عبد الخالق والأشقر أشارا للحادثة في سيرتهما الذاتية دون تسمية جهيمان، وفي حديث خاص مع د.الأشقر وضح الصورة كما يلي: حين دخلت هذه المجسمات على أسواق المدينة المنورة، استنكرها العلماء والدعاة لأنها من التماثيل، ولكن تبنى بعض الشباب القيام بتكسيرها وتحطيمها، وهو ما رفضناه أنا وعبدالرحمن، وكان رأينا أن نبين حكمها في دروس عامة في المسجد النبوي، ومن ثم نخرج للسوق وننصح أصحابها بخصوص ذلك كما سبق أن فعل الشيخ ابن باز، ويقول لي د.الأشقر وفي النهاية أظهروا لنا الموافقة والقبول بالإكتفاء بالنصيحة، وفعلاً بعد صلاة الفجر قامنا بإلقاء كلمات حول ذلك، وخرجنا للسوق لننصح أصحاب المحلات، فوجدنا أن تلك المجموعة بدأت بالهجوم على المحلات وتكسير المجسمات والسوق بخلاف الاتفاق، وطبعاً كنا نحن في الواجهة فتعرضنا للسجن والطرد.

يواصل الحزيمي سرد القصة فينقل عن جهيمان أنه طلب بعد هذه الحادثة بمدة من الشيخ ابن باز أن يترأس مجموعتهم الدعوية – على غرار جماعة التبليغ- للدعوة للتوحيد واتباع الكتاب والسنة، فوافق الشيخ على ذلك واعطاهم بيت (سمي بيت الإخوان) يجتمعون فيه وعين معهم الشيخ أبو بكر الجزائري مشرفاً.

لكن مخالفة العلماء والدعاة والخروج عن رأيهم واللجؤ للشدة تكرر من جهيمان – الذي لم يتعد تعليمه الرابع الابتدائى، ولم يدرس

على العلماء بطريقة غير نظامية – كما يخبرنا الحزيمي حيث ظهر ميل جهيمان وأصحابه نحو التشدد والشذوذ في المسائل الفقهية، وتكررت مصادماتهم للعلماء والعامة، ولما كثرت الشكايات منهم عقد الشيخ الجزائري بحضور بعض العلماء عام ١٩٧٨ اجتماع مع بعض الشباب ونهاهم عن أفعالهم وتبري من أفكارهم وأن من لا يلتزم بذلك فليخرج من بيت الإخوان، فانحاز أغلب الشباب لجهيمان وحصل بذلك الفراق بين جهيمان والشيخ ابن باز والذي كانت رئاسته شرفية، وانفرد جهيمان بقيادة الجماعة، ومن ثم يسرد الحزيمي عدد من المواقف التي عاتبه فيها جهيمان على بقائه يدرس على الشيخ ابن باز.

أما عن دور اتباع مصطفى شكري فيقول الحزيمي: «أن الإخوان قد التقوا ببعض الأفراد من جماعة التكفير والهجرة المصرية، فطرحوا بين الجماعة قضايا الحاكمية والموقف من الحكام وفعلوها، وكان على رأسهم شخص عرف بيننا باسم أبوعبدالله المصري وأسامة القوصي[1]، قدما للعمرة ثم تخلفا عن السفر وجلسا ثم استمالا معهما عدداً محدوداً من طلاب الجامعة الإسلامية من مصر وبعض الطلبة اليمنيين»، ويقول أيضاً: «كان بيت الإخوان يستقبل مجموعة من المرتادين للمدينة والمعتمرين المخالفين لنظام الإقامة، وكانوا بمجملهم من مصر وأغلبهم من الجماعة الإسلامية من طلاب الجامعات المصرية، واتضح في ما بعد أن بعضهم من جماعة الجهاد

---

(١) وقد انتقل القوصي من التطرف في التكفير إلى التطرف في الولاء لأجهزة القمع الأمنية في نظام حسني مبارك !!

وبعضهم من جماعة التكفير والهجرة أو لهم علاقة بهم، وكان أكثر ما يثار وقتها بينهم هو موقف السلفيين من سيد قطب وموقفهم من تكفير الحاكم.. وكانت تحدث سجالات طويلة عريضة بينهم وبين السلفيين من أصحاب البيت»[(١)].

ورواية الحزيمي تتفق مع ما يذكره أسامة القوصي – الذي ورد اسمه في شهادة الحزيمي- عن نفسه، حيث يقول: «كانت أمي تقول لي: أنت تكفر الحاكم لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، لماذا تكفرني أنا؟ ما ذنبي؟» وفي عام ١٩٧٧ ذهب في رحلة نظمتها الجامعة إلى العمرة، فكان لا يصلي خلف أئمة الحرم لأنه كان يكفرهم، فيصلي وحده!!

وهي تتوافق مع قول الشيخ مقبل الوادعي في كتابه «المخرج من الفتنة»، أن بعض من يحملون أفكار «التكفير والهجرة» دخلوا الجماعة عام ١٩٧٨، ومقبل الوادعي اليمني يعد من شيوخ الجماعة، ولكنه رُحل قبل حادثة الحرم، وانكر عليهم ادعاء المهدية واحتلال الحرم.

وهذا أيضاً ما يقرره الشيخ عبدالرحمن عبد الخالق في تفسيره انحراف جهيمان وجماعته من التشدد الفقهي والتغيير باليد إلى التكفير والقتل.

وهذه الرواية يؤكدها اعدام عدد من المصريين مع جهيمان، ومن المصريين الذين يقال بأنهم عاصروا حادثة الحرم ثم عادوا لمصر

---

(١) أكد لي هذا التأثير للمصريين من جماعة مصطفى شكري الشيخ الدكتور أحمد المعلم من اليمن، والذي كان في ذلك الوقت مشرف بيت الإخوان الذي جرت فيه هذه الأحداث، وذلك في لقاء شخصي سنة ٢٠١١.

محمد شوقي الإسلامبولي الشقيق الأكبر لخالد إسلامبولى الذي اغتال السادات!!

هذه العلاقة بجهيمان وجماعته مع اتباع مصطفي شكري جاءت بعد انقطاع صلة جهيمان بالعلماء السلفيين مثل الشيخ الألباني الذي سكن المدينة بين عامي ١٩٦٠- ١٩٦٤ ودرس في الجامعة الإسلامية، وانقطاع صلته بالشيخ ابن باز الذي رحل للرياض وانقطاع صلته بالشيخ أبو بكر الجزائري.

شهادة الحازمي تكشف أيضاً عن دور مهم للألباني في محاولة اصلاح جهيمان وجماعته وهو دور غير معروف من قبل، يقول الحزيمي: «لما جاء بعض المصريين إلى المدينة، وبعضهم ينتمى إلى التكفير والهجرة، واستطاع بعضهم من خلال نقاشه مع فيصل محمد – من قدماء الجماعة – أن يتبنى هذا الفكر «ويعتنقه» في سنة ١٩٧٧ حتى أنه ترك سكنى المدينة ونصب لعائلته خيمة في منطقة برية، وكان معه عصام شيخ وانضم إليهم أحمد الزامل».. «كانت هذه الأفكار التي بات يحملها فيصل تؤرق مضجع جهيمان، خصوصاً وأنها تتلاقى مع أفكار فرقة الخوارج، الاسم الذي يرعب جهيمان جداً، وصادف في أحد الأيام أن زار المدينة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني فشرح له جهيمان هذه المشكلة مع فيصل، فطلب اللقاء به وفعلاً تم لقاء في بيت فيصل محمد بترتيب من جهيمان، وحضره يوسف أكبر وجهيمان وفيصل وعصام شيخ والشيخ الألباني، وتم الحوار حول مسائل الحاكمية والفكر التكفيري وعلاقة هذه الأطروحات بفكر الخوارج، وأن الكفر أنواع، واستشهد له الشيخ

الألباني بكلام السلف...خرج فيصل بعد هذا اللقاء بفكر جديد حول قضايا التكفير والإيمان أقرب إلى الاعتدال في تلك الفترة... وسَجل هذه الجلسة على شريط كاسيت... وعلمت أن جهيمان أتلفه مباشرة، وكانت وجهة نظر جهيمان أن مشايخ السلطة ينقبون عن مثالب الإخوان ويبحثون عنها، فهذا الشريط دليل قوي على أن الإخوان يحملون فكر الخوارج». ولكن يبدو أن تواجد المصريين الدائم، وتكاثرهم واستخدام البعض لحيلة الرؤى والمنامات غلبت توعية الألباني عند جهيمان، ولكن هذه التوجيهات كان لها أثر عند بعض الأفراد الذين لم يقبلوا حكاية المهدى وانشقوا عن الجماعة وجهيمان قبل احتلال الحرم بستة شهور كما يقول الحزيمي.

ولذلك حين تبلورت نظرية جهيمان الجديدة في كتابه «رفع الالتباس» هاجم السلفيين بقوله: «أما حال من التبس عليهم الأمر عمداً أو جهلاً، فلنسرد لك أعمالهم وأقوالهم ليتجلى لك حالهم: تقول طائفة منهم إن قيام الدين أساسه محاربة القبوريين وإظهار العدواة لهم... وطائفة أخرى تقول بقول الطائفة الأولى وتزيد عليها بالحمل على التعصب المذهبي الأعمى والدعوة إلى الذب عن الحديث وتصفيته مما أدخل فيه» ويواصل جهيمان نقده لهما بقوله: «أما الطائفة الأولى والثانية ومن شاكلهم، فيظهر لنا من حالهم أن ما قاموا به حق لا ينكر؛ ولكن لما كان هذا القيام منهم في مواجهة من لا سلطة في يده، وأنهم سكتوا عن أصحاب السلطات فيما يقومون به به من هدم لدين الله كان طريقهم الذي سلكوه هو الذي ضل به من كان قبلهم»، ويوضح الحزيمي الطائفتين بقوله: «يقصد جهيمان هنا في الطائفة الأولى جماعة أنصار السنة –بمصر– ويقصد في الثانية

الجماعة السلفية أتباع الألباني في الشام والكويت».

هذه هي الحقيقة لمن يبحث عنها، وهذا هو الفرق بين السلفيين (ابن باز، الألباني، أبو بكر الجزائري، عبدالرحمن عبد الخالق، عمر الأشقر) والتكفيريين (شكرى مصطفي)، وهذا مصير أصحاب القوة وقلة العلم والفهم حين يبتعدوا عن العلماء السلفيين ويختلطوا بالتكفيريين، فجهيمان وعبد الرحمن وعمر هم من جيل واحد، ولكن أنظر لما آلت له أحوالهم، جهيمان بسبب قلة العلم والصدام مع العلماء احتل الحرم المكي وعطل الصلاة فيه أكثر من ٨٠ صلاة وقتل فيه العشرات!! وبين عبدالرحمن وعمر الذين –بتوفيق الله– حرصوا على العلم وصحبة العلماء فأصبحوا من أبرز قادة وفقهاء ومنظري العمل الإسلامي المعاصر.

تأثير أفكار سيد قطب على الجزيرة العربية؟!

«الغد» ١٣/ ٥/ ٢٠١١

استعرضنا فيما سبق مسيرة التكفير في العصر الحاضر، وكيف أن التكفير ظهر بين أفراد في جماعة الإخوان المسلمين ابتداء، وأن هؤلاء الأفراد أسسوا جماعات تنتهج التكفير والعنف معتمدين على كتابات سيد قطب مسؤول نشر الدعوة بجماعة الإخوان المسلمين، وأن قطاعات من الإخوان تبنت هذه الأراء بدرجات متنوعة، وقادت الجماعة بها مدة من الزمن في بلدان متعددة، ولا يزال فيها لليوم من يمجد هذا الفهم لكتابات سيد قطب، ولعل الهجمة التي تعرض لها الشيخ القرضاوى سنة ٢٠٠٤ وسنة ٢٠٠٩ بسبب نقده لفكر سيد قطب مثالاً على ذلك.

ما أود الحديث عنه اليوم هو كيف تفاعلت ونمت الأفكار القطبية حين وصلت للجزيرة العربية؟

١- ذكرنا أن العديد من قادة الإخوان في مصر وسوريا والعراق لجؤا للسعودية وتولوا التعليم والمؤسسات الدعوية؛ كرابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وقاموا بتربية الكثير من الشباب على كتب سيد قطب، وكان لهذا أثر واضح على قطاعات كبيرة من الشباب السعودي، كما أن كتابات محمد قطب

الجديدة والمعتمدة عند التيار السروري - نسبة للشيخ محمد سرور، أحد القيادات الإخوانية السورية – الذي مزج الإخوانية القطبية بالتراث السلفي خاصة تراث ابن تيمية، هذه الأفكار بقيت تحت السيطرة من خلال هيمنة التنظيم، ولكن حين يتفلت الفرد من هيمنة التنظيم فإنه كان يمشي مع هذه الأفكار لنهاية الشوط!!

ويمكن أن نضرب قصة أبي محمد المقدسي مثالاً على ذلك فهو يقول حول نشأته وبدايته أنها كانت مع جماعة الإخوان والأفكار القطبية في كتابه «ميزان الإعتدال في تقييم كتاب «المورد الزلال»: «أمضيت عمراً في رافد تصحيحي من روافد الإخوان (يقصد السرورية) الذين قد أرضعونا الظلال والمعالم وغيرها من كتب سيد وأخيه والمودودي – رضاعة في طور الحضانة (أعني بداية الهداية)».

وبسبب طبيعة المقدسي المتمردة على الضبط التنظيمي، ومن خلال صلاته مع بقايا جماعة جهيمان – الذين تأثروا بجماعة مصطفي شكرى - وهو ما أشار له منصور النقيدان في كتاب «قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام»، ومن ثم صلته بالجماعات الجهادية القطبية في زياراته لبيشاور في الثمانينات، فإنه بلور طريقة جديدة تتبنى أفكار قطب من خلال مزجها مع تراث أئمة نجد.

وفي مقابلة قديمة ونادرة مطلع التسعينات للمقدسي من السجن مع مجلة الأفق التي كان يصدرها طارق مصاروة – وزير الثقافة الأردني الحالي- اعترف المقدسي فيها بأنه كذب على المحقق بانتمائه لجمعية إحياء التراث الإسلامي واجهة الدعوة السلفية بالكويت ليخفي حقيقة فكره منهجه!! ولقد عاصرت شخصياً في

منتصف الثمانينات صراعات المقدسي – كان أيامها يعرف باسمه عصام برقاوي – مع السلفيين في مسجد المسلم في منطقة حولي بالكويت.

وهنا نتسائل أين هي المرحلة السلفية في حياة أبو محمد المقدسي؟؟ هل يمكن أن تدلونا عليها؟؟ وكيف يحسب على السلفية وهو لم ينتمى إليها أو يدرس على علمائها أو يحترمهم أصلاً؟؟ فضلاً عن أن يخدمها، فالسلفية كما يعلم الجميع تقوم على الإلتزام بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة في جميع مناشط الحياة، والمقدسي ليس له هم سوى قضية الحاكمية وما تعلق بها، وهذا جوهر الفكر القطبي!! وهذا يدل على خرافة مصطلح «السلفية الجهادية»!!

وما حدث مع المقدسي تكرر مع أبي أنس الشامي، ففي مقاله المشهور «سرور بل أحزان» تصريح بانتمائه للسرورية، وأنه كان عنصراً قلقاً لم يستطع قبول التحولات السلمية التي طرأت على مسار الجماعة، ففي الوقت الذي بدأت السرورية تتخفف من الأفكار القطبية فإن الشامي واصل المشوار لآخر الطريق فلحق بأبي مصعب الزرقاوي!!

ومن أجمل ما قيل في وصف هذه التحولات العميقة عند التيار السروري قول د.سلمان العودة: «كم تمنيت أن تظهر آراؤه الجديدة وخلاصة تجاربه (يقصد محمد سرور) عبر وسائل الإعلام ليتعرف الناس إليه من خلال ذاته وما توصل إليه عبر تجربته الطويلة التي بدأت كفرد في جماعة الإخوان المسلمين السورية، ثم شخصية مستقلة ذات تأثير على عدد من الأتباع، وربما انتهت به شخصية مختلفة عن

هـذا وذاك»، (سـلمان العـودة مـن الـسجن إلى التنـوير)، لتركـي الـدخيل، وهو رسالته في الماجستير!!.

٢- حـين مـزج أبـو محمـد المقدسـي الـسرورية بالجهيمانيـة والفكـر الجهادي أنتج مجموعـة مـن الكتابـات تقـوم علـى تبنـى أفكـار سـيد قطـب لكـن بخطـاب وحجـج تتكـأ علـى الـتراث الـسلفي إلا أنهـا منزوعـة مـن سـياقاتها، عمـل علـى تـرويج هـذه الكتـب الجماعـات الجهاديـة القطبيـة في معسكرات بيشاور وبقايا الجهيمانيين في السعودية والكويت.

٣- مع تـصاعد وتـيرة الجهـاد الأفغـاني ذهـب الكـثير مـن الـشباب الـسلفي للجهـاد هنـاك بـدعم مـن دولهـم وعلمـائهم الـسلفيين، ولكـن كانــت معــسكرات التــدريب تحــت إدارة الجماعــات المــسلحة القطبيــة فتعرض هـؤلاء الـشباب لعمليـة توجيـه ودعـوة للإنـضمام لمنهج الـتكفير والعنـف علـى يـد الجماعـات المـسلحة المـصرية والجزائريـة والـسورية والليبية وغيرها، ومما سـاعد علـى ذلـك غفلـة العلمـاء الـسلفيين عـن مـا يحدث في مضافات بيشاور من غسيل أدمغة للشباب!!

يقـول كميـل الطويـل في كتابـه «القاعـدة وأخواتهـا»: «كـان الفكـر الــذي جــاءت بــه جماعــة الجهــاد المــصرية المنتــصر الأكــبر في ســاحة الاســتقطاب الأفغانيــة...وأصــدروا كتابــاً ضــخماً أعــده أميرهــم الجديــد الـدكتور سـيد إمـام الـشريف بعنـوان «العمـدة في إعـداد العـدة». وصـار هــذا الكتــاب الــضخم مرجعــاً أساســياً يــدرس في معــسكرات تــدريب العــرب... وســرعان مــا بــدأ هــذا الفكــر الجهــادي في الانتــشار وســط الأفغــان العــرب... ولعــل النجــاح الأول والأبــرز الــذي حققــه هــؤلاء الجهــاديون في النـصف الثـاني مـن الثمانينيـات تمثـل في التـأثير فكريـاً في

أسامة بن لادن وإقناعه بالإستقلال عن مكتب الخدمات وأميره عبد الله عزام فأسس بن لادن في البداية بيت الأنصار في بيشاور».

أما خالد المشوح فيلخص لنا تجربته في بيت الأنصار ببيشاور في كتابه «التيارات الدينية في السعودية» بقوله: «تقيم فيه بضعة أيام.. تشكل مؤشراً لمدى قابليتك لأفكار من هذا النوع القائم على تكفير الجميع... فإذا كنت سعودياً فسوف تحصل على أهم كتابين في تلك المرحلة «الكواشف الجلية في تكفير الدولة السعودية» و«وعد كيسنجر»، وفي حال تفاعلك مع الأول تحديداً فهناك مرحلة أخرى بانتظارك تميزك عن الآخرين، أما إذا لم تبد تجاوباً معه أو رفضته، فإنه سيتم الإسراع في نقلك إلى المرحلة الثانية وهي النقل إلى معسكر التدريب في أفغانستان»، للتخلص من نقاشاته والتعجيل باستشهاده!!

فمن خلال السيطرة على بيوت المجاهدين ومعسكرات التدريب في بيشاور وأفغانستان كان يخضع الشباب السلفي لمؤثرات تكفيرية تحرفه عن منهجه وجهاده الذي جاء من أجله ليصبح قنبلة موقوتة تتحكم بها القيادات الجهادية القطبية.

ويدعم هذا تصريح أبي مصعب السوري في كتابه «الدعوة الإسلامية العالمية»: «الشيخ أسامة قد بنى القاعدة على جهود كوادر من تنظيم الجهاد المصري أساساً... فقام هؤلاء الجهاديون - وكنت من بينهم لفترة - ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء والحاكمية..وغيرها من الأمور السياسية الشرعية، وفقه الواقع في تلك المعسكرات حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين..!».

الخلاصة أن مزج الأفكار القطبية بتراث ابن تيمية وبالتراث النجدي على يد الإخوان وخاصة السرورية، ومن ثم على يد المقدسي، ولد تشكل نوعين من الجماعات المسلحة تقوم على أساس الفكر القطبي كما يقول أبو مصعب السوري في كتابه «الدعوة الإسلامية» هي: «الجماعات الجهادية الحركية: ومعظمها انبثقت عن الصحوة الإسلامية مطلع الستينات وحملت مؤثرات فكر الإخوان المسلمين بالإضافة للفكر الذي قام على أسس الولاء والبراء والحاكمية، والذي كان من أوائل وأعظم منظريه الشهيد سيد قطب في مصر، والأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان. والجماعات الجهادية السلفية: وهي الجماعات الجهادية التي ضمت إلى الفكر السابق، الاعتماد على عقائد السلف وفق فتاوى الإمام ابن تيمية وأمثاله من أقطاب المدرسة السلفية، واعتمدت فقه الدعوة النجدية وأفكار الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، وأفكار من سار على هذا المنهج ممن جاء بعدهم».

إذن فإن العامل الحاسم في ظهور هذه الأفكار هو أفكار سيد قطب، لأن السلفيين يدرسون ويوزعون كتب ابن تيمية وعلماء المدرسة الوهابية ولا يتطرف أحدهم إلا إذا أضيف لتكوينه أفكار قطبية!!

ولذلك يرصد خالد المشوح في ملاحظة ذكية أن تنظيم القاعدة رغم نسبته «للسلفية الجهادية» يشكل السعوديين (السلفيون) غالب وقوده وجنوده الميدانيين بينما يشكل المصريون (الجهاديون القطبيون) قادته وموجهيه!! وأضيف أنه لا يوجد منظر سعودي عالمي «للسلفية

الجهادية» - وهي مركز الثقل للسلفية اليوم – على غرار أبو محمد المقدسي والظواهري وأبو مصعب السوري وأبو قتادة الفلسطيني، ولولا مال أو زهد بن لادن لربما ما كان له اسم يذكر!!

لكن خرافة «السلفية الجهادية» مهمة جداً اليوم للماكنة الإعلامية والتي تحتاج الآن فزاعة جديدة في صراع الإسلاميين وغلاة اليساريين والعلمانيين بعد ربيع الثورات العربية!!

السلفية الجهادية في الأردن

«الغد» (٢٠/ ١١/ ٢٠٠٩)

أصدر الزميلان: د. محمد أبو رمان، وحسن أبو هنية دراسة بعنوان: «السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوى»، وهو الكتاب الثالث ضمن سلسلة مؤسسة (فريدريش ايبرت) عن الحركات الإسلامية.

يمتاز الكتاب بأنه يصدر عن كاتبين قريبين ومختصين بالموضوع، ويؤمنان بأهمية الحل الفكرى والثقافي لهذه المشكلة، وعدم الاعتماد الكامل على الحل الأمني.

ويبدو أن الكتاب -الذي خرج باللغتين العربية والإنجليزية- موجّه بالدرجة الأولى للقارئ الأجنبي، صاحب الاهتمام بالموضوع في بعديه الثقافي والأمني، ولذلك لم يتطرق لبعض المواضيع والتفصيلات التي تهم القارئ العربي بدرجة أكبر -فيما أعتقد-.

من الملاحظات: أن الكتاب يبدأ من مرحلة بداية التسعينيات، ولذلك يتجاوز التعريف بنشأة عصام برقاوي، المعروف بأبي محمد المقدسي، العصب الرئيسي والمحورى في هذا التيار، وتجاوزُ هذه النشأة في نظري يؤدى إلى خلل منهجي في توصيف هذه الظاهرة، وحيث أن المؤلفين ينطلقان من أرضية البحث الثقافي لهذه الظاهرة؛

فإن إعطاءها اسم «السلفية الجهادية» دون سند علمي وموضوعي هو خلل وخطأ يجب الوقوف عنده.

ففكر العنف نشأ في مصر في منتصف الستينيات داخل السجون الناصرية، واشتهر وانتشر على يد مصطفي شكري؛ الذي أسس «جماعة المسلمين»، والإعلام الناصري سماها: «جماعة التكفير والهجرة»، ولم يكن لمصطفى شكري علاقة بالمنهج السلفي، بل كان في الصف المقابل للسلفية في غالب أفكاره وعقائده.

وكان لكتابات سيد قطب وأبي الأعلى المودودي حول الحاكمية والجاهلية دور في تنمية هذا الفكر، ومعلوم أن المرجعية الفكرية لقطب والمودودي لم تكن مرجعية سلفية؛ ولذلك حين ظهرت الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية في بداية السبعينيات لم تكن لها هوية واضحة، ولما خرج الإخوان من السجون في تلك الفترة، ونشطوا في الجامعات، وحاولوا احتواء الجماعة الإسلامية تشظت الجماعة إلى مجموعات، منها فئة انضمت للإخوان، مثل: د. عصام العريان، وأبي العلا ماضي، وفئة أصبحت تمثل السلفيين، مثل: د. محمد إسماعيل، وياسر برهامي، وهي ما تعرف بـ (مدرسة اسكندرية السلفية)، وقسم بقوا تحت اسم «الجماعة الإسلامية»، وبدؤوا يؤصلون لفكر العنف دون مرجعية علمية، مما جعلهم يعودون بعد ربع لقرن لأفكار ومنهج السلفية الذي ينبذ التكفير والعنف.

هذه هي بداية فكر العنف في مصر، وواضح أن السلفية عنه بعيدة.

أما في المشرق؛ فلعل أحداث حماة وجهيمان تعتبران البداية لهذا الفكر، وهما من خارج الدعوة السلفية، وإنكار العلماء السلفيين لفكر جهيمان كان قبل اعتدائه المسلح في الحرم المكي، ومن هؤلاء العلماء: الشيخ ابن باز، والألباني، وأبو بكر الجزائري، وعبد الرحمن عبد الخالق؛ ولذلك لم ينضم لحركة جهيمان إلا بعض الشباب الصغير في السن والعلم، كما يرصد ذلك مؤلِّفا «السلفية الجهادية في الأردن»!!

هذه خلفية تاريخية ضرورية لدراسة نشأة عصام برقاوي، فهو نشأ في الكويت، وتعرّف على الحركة الإسلامية من خلال فصيل إخواني يعظّم فكر سيد قطب، وله ميول سلفية، لكن طبيعة البرقاوي المتمردة والمائلة للشغب جعلته يتجاوز هذا الفصيل، ويتعرف على بعض أتباع جهيمان في الكويت، وبقي نشاطه وعلاقاته تدور في هذا الفلك، وهم ما يُطلق عليهم في الكويت اسم: «أهل الجواخير»، وهي عبارة عن حظائر للأغنام في الصحراء!! ولا يعرف له شيخ أخذ العلم عليه.

وكان البرقاوي يتصادم دوماً مع التيار السلفي القوي هناك، ولذلك لم ينجح البرقاوي في استقطاب أتباع له في الكويت، كما أن صورته العامة هناك كانت صورة الشاب المتهور والجاهل!!

ولكن حين جاء البرقاوي الأردن بعد التسعينات؛ رآه بعض الأردنيين شيخاً ومجاهداً، ولكن بعضهم -كما يذكر المؤلفان- بعد الاحتكاك به في السجن وخارجه سقطت هالته من أعينهم، وما لم ينقله المؤلفان كثير، وبسبب الصراع مع أتباع الزرقاوى نشرت على

شبكة الإنترنت قصص وحكايات عديدة!!

بعد هذا كله نتساءل: كيف يصحّ إطلاق اسم «السلفية الجهادية» على هؤلاء؟؟ إلا إذا كان اسماً إعلاميّاً لشيء في نفس يعقوب!! كما صنع الناصريون مع مصطفى شكري، وهو الأمر الذي يشير إليه د. أبو رمان -«الغد» (١٦/ ٩/ ٢٠٠٩)- في حالة مشابهة بقوله: «في الحقيقة، قصة الصقور والحمائم انتهت منذ سنوات، ولم تعد قائمة فعليّاً، ولا تتمحور حولها نواة الخلاف الحالي في الجماعة، لكن حافظنا (في تعاطينا الإعلامي) على هذه التسميات، في محاولة للحدّ من أبعاد الأزمة الداخلية، وتحايُلاً -قدر المستطاع- من تعريف هوية التيار الآخر وأجندته السياسية».

إن إطلاق اسم «السلفية الجهادية» على هؤلاء فيه ظلم وتعسف علمي وموضوعي مع آلاف الشباب السلفي؛ الذي شارك في جبهات الجهاد دون أن يتورط في التكفير والخروج على المسلمين، ومن الخطأ أن نجعل فئة قليلة من الذين شاركوا في جبهات الجهاد وتورطوا في أفكار العنف والتكفير هم الأصل!!

والمشكلة أن من يُسمون بـ «السلفيين الجهاديين» مثل البرقاوي لم يشاركوا بالجهاد؛ حتى الأفغاني؛ رغم أنه زار بيشاور!! وهم عادة يطلقون على جماعتهم أسماء مثل: «التوحيد والجهاد»، «قاعدة العراق»، وغيرها، فلماذا نقحم اسم السلفية معها!!

السلفية دعوة علمية مباركة، يعترف كل الفضلاء والعلماء بفضلها، فنسبة هؤلاء لها فيه تشويه لها وتزكية لهم.

جذور فكر القاعدة

صحيفة «المرآة» الأردنية - موقع «العصر» (١٩/ ٥/ ٢٠٠٣)

يدور جدل حاد الآن في أوساط المثقفين والسياسيين في العالم العربي حول تنظيم القاعدة، في هذا السياق يبرز تساؤل رئيس حول أيدلوجيا التنظيم؛ ومن هم قريبون منه: فيما إذا كان تفكيرهم السياسي هو إفراز طبيعي للمنهج السلفي الذي يدرس ويرعى من المملكة العربية السعودية؟ أم أنه نتاج عملية تحول أو تفاعل بين الفكر السلفي، وفكر آخر أو معطيات مختلفة؟

في منتصف (فبراير عام ١٩٩٨م) أعلن عن قيام (الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين)، وهي تحالف ضم (القاعدة) ابن لادن، وجماعة الجهاد المصرية أو على الأقل الظواهري، وجزءًا من الجماعة، وثلاث جماعات إسلامية من باكستان وبنغلادش.

وبعدها تم تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام في (أغسطس) من نفس العام؛ لتبدأ موجة من التفجيرات ضد المصالح الأمريكية، بلغت قمتها في تفجيرات (١١ أيلول) في نيويورك وواشنطن، وأصبحت الجبهة العالمية التي اختزلت في تنظيم القاعدة على رأس الأحداث والأخبار في العالم.

فمن أين أتى هذا الفكر؟ وكيف نما؟

من المعلوم أن القاعدة يمكن أن تختزل في شخص قائدها وهو أسامة بن لادن، وأسامة بن لادن هو أحد المجاهدين السعوديين في أفغانستان، وهو من الأثرياء الذين زهدوا في ثرائهم من أجل الجهاد، وهذه كانت بداية شهرته وقوته!! وكل من تابع الجهاد الأفغاني في بدايته يعرف الدور المهم الذي اضطلع به ابن لادن في دعم المجاهدين بالمال والمعدات والأسلحة، وتعاونه مع عبد الله عزام رحمه الله في رعاية المجاهدين العرب قبل أن يستقل عنه.

وأسامة حين ذهب إلى أفغانستان فعل ذلك بدافع الدعوة السلفية التي يحملها؛ والتي تدعو إلى الجهاد ضد الكافر الأصلي إذا احتل بلداً من بلاد الإسلام، كما ذهب الكثير من شباب هذه الدعوة المباركة.

وفي أفغانستان كانت هناك فرصة ذهبية لتقديم نموذج إسلامي يحتذى به في الدعوة والجهاد، وبناء الدولة الإسلامية المنشودة، لكن عدم وعي قادة العمل الإسلامي بذلك سبّب إجهاض هذه الفكرة على كل المستويات الجهادية والدعوية، وتكوين الدولة، وليس هنا مكان شرح ذلك.

ولكن يهمنا التركيز على أن أفغانستان أضحت في تلك المرحلة محطة لكل الفارين من بلادهم؛ بسبب الصدام مع حكوماتهم، وكذلك كانت مركز إستقبال كل أجهزة المخابرات، والعجيب أن بيشاور حوت كل الأجناس والهيئات، ولكن خلت من العلماء!!

وهذا التواجد لأفراد الجماعات الإسلامية المختلفة المناهج

والمشارب لم يخدم الجهاد الأفغاني كثيراً، بل كان سبباً في إثارة كثير من المشاكل لديهم؛ سوى ما سببه من إنحرافات لدى الكثيرمن المجاهدين الذين لم يكن همهم سوى الجهاد، وينقل لنا عثمان عبد السلام نوح في كتابه «الطريق إلى الجماعة الأم» عن دور أفراد هذه الجماعات الإسلامية في بيشاور؛ فيقول «والحقيقة أن هؤلاء قد جاءوا فعلاً لغرض الجهاد؛ ولكن رأوا بعض التصرفات غير الشرعية في نظرهم؛ فشككهم في مشروعية الجهاد الأفغاني، فجلسوا في بيوت الضيافات التي يشرف عليها العرب، وكان بعضهم في ضيافة بيت الأنصار، وبعضهم في ضيافة السلفية، وصار أكثر حديثهم ومناقشتهم في قضية الحكام وتكفيرهم ووصل بعضهم إلى تكفير العلماء المشهورين بدعوى موالاة الحكام، وقد حدثت معارك كلامية بينهم وبين المسؤولين عن الضيافات، فقام المغرضون بنسبة هذه التصرفات إلى السلفية؛ ليصرفوا الشباب عن هذه الدعوة الصافية، ويشككوهم فيها، وقد اطلعت على منشور تم توزيعه في بيشاور صادر عن هؤلاء الشباب؛ يحضون فيه العرب على الإنصراف للجهاد في بلادهم»[1].

وهذه شهادة من رجل عاش هناك، وشارك في الجهاد، والجماعات المقصودة هي: الجماعات المصرية والجزائرية -بشكل أخص-، وبعض السوريين، وغيرهم.

وكان من ضمن الذين جاءوا إلى بيشاور أيمن الظواهري؛ الذي خرج من القاهرة وتوجه إلى السعودية فترة، ثم اتجه إلى أفغانستان منتصف عام (١٩٨٦) حتى (١٩٩٠)، بعد أن كان قد زار أفغانستان

(١) من كتاب «الطريق إلى الجماعة الأم» (ص٢٠٢)، الطبعة الأولى.

مـــرتين في عـــامي (٨٠- ٨١)، في مهـــام إغاثيـــة قاربـــت مـــدتها ســـبعة أشهر، تحـدث عنهـا الظـواهري في كتابـه «فرسـان تحـت رايـة النبـــي ﷺ»؛ فقـال: «باحتكـاكي بـساحة الجهـاد الأفغـاني تـبين لـي منـذ عـام (١٩٨٠) مدى ثراء هذه الـساحة، ومـدى النفـع الـذي تقدمـه للأمـة المسلمة عامـة، وللحركـة الجهاديـة خاصـة، وأدركـت ضـرورة الاسـتفادة مـن هـذه الـساحة... »، إلى أن يقـول: «اتـضحت لـي حقـائق في غايـة الخطـورة لا بـد مـن تـسجيلها، أهمهـا: أن الحركـة الجهاديـة في حاجـة إلى سـاحة جهادية تكون لها بمثابـة المحـضن الـذي تنمـو فيـه البـذور النابتـة، وتكتـسب فيها خبراتها العملية والقتالية والسياسية والتنظيمية»[١].

وواضـح هنـا الرؤيـة المـصلحية لحركتـه؛ ولـيس لخدمـة القـضية الأفغانية.

ولـــذلك بعـــد أن خـــرج الظـــواهري مـــن الـــسجن اســـتقر في أفغانـستان المحـضن المناسـب لرعايـة النبتـة الـصاعدة، وهنـاك كـان اللقـاء الأول مـع ابـن لادن زعـيم القاعـدة لاحقـاً، وفي هـذه اللحظـة بـدأت فكـرة القاعـدة بـالنمو؛ حتـى تـشكلت في صـورتها النهائيـة عـام (١٩٩٨) بإعلان الجبهة، ثم اختزلت في القاعدة.

ومـــر هـــذا النمـــو بمراحـــل متعـــددة مـــن التعـــاون والتـــصادم والتقـاطع، وكـان التـأثير فيـه متبـادلاً بـين الظـواهري وابـن لادن؛ لكـن علـى أرضـية الظـواهري! فقـد كتـب الظـواهري في أحـد أعـداد نـشرة (كلمـة حـق): «جـاد الـشباب بـأرواحهم، وضـن الأغنيـاء بـأموالهم»؛ في إشـارة لابـن لادن؛ كمـا ينـسب ذلـك الزيّـات لمقـربين مـن الجهـاد فـترة

(١) نقلاً عن «أيمن الظواهري كما عرفته» للزيات (ص٨١).

عامي (٩٣ -٩٥)[1].

أما مسار اللقاء الفكري بين الظواهري وابن لادن؛ فيصفه ضياء رشوان بأن «العلاقة الحقيقية بين أيمن الظواهري وأسامة ابن لادن ترشح الأول لموقع بارز في الجبهة؛ ربما يصل إلى قيادتها الفكرية والعملية، فالظواهري ذو خبرة طويلة في الحركة الإسلامية المتشددة، ضمن عدد من جماعاتها تعود إلى عام (١٩٦٦)، بينما لا تعود خبرة ابن لادن سوى إلى بداية الثمانينات.

فالجبهة العالمية لا تضم سوى تنظيم واحد حقيقي، ذي خبرة، وأطر فكرية وتنظيمية وعملية محددة؛ هو: «جماعة الجهاد»، ويصعب اعتبار تنظيم القاعدة تنظيماً حقيقيّاً بقدر ما هو تجمع لاسلاميين حول ممارسات بن لادن وإمكاناته»[2].

ولزيادة الإيضاح أنقل رؤية منتصر الزيات في هذه النقطة الذي يرى أن «الظواهري استطاع أن يحدث تحولات جذرية واستراتيجية في فكر أسامة بن لادن بعدما التقيا معاً في أفغانستان منتصف عام (٨٦)؛ بسبب العلاقة الانسانية بينهما التي وصلت إلى الصداقة، واستطاع الظواهري أن يقنع ابن لادن بالفكر الجهادي الإنقلابي، وحوله من داعية سلفي يهتم بأمور الإغاثة إلى مقاتل جهادي يعني بأحكام الجهاد ضد الطواغيت، وضرورة إجلاء القوات الأمريكية عن بلاد العرب، وزرع الظواهري حول ابن لادن نخبة من أخلص

---

(١) نقلاً عن «أيمن الظواهري كما عرفته» للزيات (ص١٠١).

(٢) انظر: «كراسة الأهرام الاستراتيجية» رقم (٩٢)، بعنوان: (تحولات الجماعات الإسلامية في مصر) لضياء رشوان (ص٤٠).

خلصائه ممن صاروا لاحقاً أبرز العناصر المعاونة لابن لادن وقادة تنظيم القاعدة، وهؤلاء كانوا يدينون بالولاء للظواهري شخصيّاً -وتاريخياً-، مثل: علي الرشيدي (أبو عبيدة البشيري) وأبو حفص (محمد عاطف)».

ويكمل الزيات: «لكن ينبغي أن نقرر في الوقت نفسه أن تأثير الظواهري في فكر ابن لادن وخطته الحركية لم يكن أحادي الجانب؛ وإنما الإنصاف يلزمنا أن نقرر أن أسامة بن لادن أثر -أيضاً- في فكر ومنهج الظواهري -وجماعة الجهاد-؛ حين وجه النصح بضرورة وقف العمليات المسلحة داخل مصر، وأن يتحالف معه ضد عدو مشترك هو أمريكا وإسرائيل، وكان هذا بعد عودتهما إلى أفغانستان مع دخول طالبان كابول»[1].

وهذا التأثير لابن لادن هو لازم الاقتناع بالفكر الانقلابي عند الظواهري؛ وليس هو أصل فكره السلفي، ويتضح هذا أكثر من ملاحظة خلو قيادات القاعدة من السلفيين، وإقتصارها على شخصيّات مصرية ليست معروفة بالعلم الشرعي؛ حتى الظواهري، ولم يبرز في القيادة أحد من الجزيرة العربية سوى أبو غيث؛ وهو -أيضاً- ليس من طلبة العلم المعروفين في الكويت.

وتبقى هنا مسألة دور عبد الله عزام رحمه الله في تغيير فكر ابن لادن، ويعرضها الزيات بقوله: «إن عزام كان يستخدم ابن لادن في أغراض إغاثية ومالية لدعم المجاهدين في الحرب ضد الروس، وكان تأثر ابن لادن به مرتبط بالحدود السياسية والفكرية والجغرافية

---

(١) الزيات (ص١٠٤-١٠٥).

بالجهاد ضد الروس لتحرير أفغانستان، لأن عزام كان حريصاً على عدم التصادم مع الحكومات العربية التي تدعمه، ويمكن أن نقول: إن ذلك ساعد الظواهري كثيراً في التحولات الجذرية داخل فكر بن لادن»[1].

ولعل هذا هو سبب إنفصال بن لادن عن مكتب الخدمات (عبد الله عزام)، وتأسيسه «بيت الأنصار» بعيداً عن عبد الله عزام، مع بقاء نوع من التعاون بينهما.

وهكذا يتبين أن فكر القاعدة تكون من لقاء ابن لادن والظواهري خاصة، وغيره من الجماعات الإسلامية الوافدة؛ والتي لا تعرفها الجزيرة العربية مع غياب تواجد لعلماء ومفكرين سلفيين في بيشاور، وفي وقت كانت تعج بكل الأفكار والإتجاهات؛ مما سهل لها استقطاب العديد من الشباب السلفي، وتحويله إلى فكر ثوري.

ولمزيد من فهم فكر الظواهري ومنابته نضع الملاحظات التالية:

١- نجد أن الظواهري تبنى تكفير الدولة، والانقلاب العسكري عام (١٩٦٦م)، وكان عمره ستة عشر عاماً، وأسس تنظيماً لذلك![2].

٢-كان متأثراً بكتابات سيد قطب رحمه الله، ثم بصالح سرية؛ الذي يصنفه الظواهري بأنه «كان محدثاً جذاباً ومثقفاً على درجة واسعة من الإطلاع والمعرفة، وكان حاصلاً على درجة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، كما كان متطلعاً في عدد من العلوم

(١) نفس المصدر.

(٢) الزيات (ص٣٦).

الـشرعية... وبمجـرد اسـتماعي لـه أدركـت أن للكـلام وقعـاً أخـر، وأنـه يحمـل معـاني أوسـع في وجـوب نـصرة الإسـلام، وقـررت أن أسـعى للقـاء هـذا الزائـر؛ ولكـن كـل محـاولاتي للقائـه لم تفلـح»، وكـان للظواهري ملاحظات عقائدية على منهج سرية[1].

وصـالح سـرية هـو منفـذ عمليـة الكليـة الفنيـة في مـصر عـام (١٩٧٤)، وهو مـن نـشطاء حـزب التحريـر، ويـصفه بعـض المـراقبين بأنـه كان متأثراً بأفكار علي شريعتي الإيراني اليساري[2].

٣- إن جماعـات الجهـاد الـتي نـشأت في الـسبعينات كانـت ترتكـز علـى جهـود صـالح سـرية عـام (١٩٧٤) الـسابق ذكـره، وبعـده علـى يـد سـالم الرحـال، وهـو فلـسطيني -أيـضاً- مثـل صـالح سـرية، وكـان طالبـاً في الأزهر، وهو -أيضاً- من حزب التحرير!!

ويفصل هذه النقطـة كمـال حبيـب الـذي تـولى القيـادة بعـد هـروب الرحـال مـن مـصر[3]؛ فيـبين مـا يلـي: «ومجموعـة ثالثـة ذات مواصـفات خاصـة؛ هـي مجموعـة «سـالم الرحـال»، وهـو طالـب دراسـات عليـا في جامعة الأزهر بكليـة أصـول الـدين، وعلـى درايـة كـبيرة بالفقـه والعقيـدة والحركة إذ كـان مـن قبـل عـضواً بحـزب التحريـر الإسـلامي، لكنـه خـرج منـه لتحفظـه علـى منهجـه الفقهـي والعقـدي، لكـن ظلـت منـاهج السياسة والحركة لحزب التحرير جزءاً من خطته».

ثم يواصـل كمـال حبيـب بيـان الـدور المحـوري للرحـال في جماعـات

---

(١) الزيات (ص٤٧، و٤٨).

(٢) «الإسلام السياسي في مصر» لهالة مصطفى (ص١٤١).

(٣) «الإسلام السياسي في مصر» لهالة مصطفى (ص١٥٠).

الجهاد في انبعاثها الثاني «هذه المجموعة (مجموعة الرحال) كانت عبارة عن مجموعات أخرى عدة تتبنى الفكر الجهادي، وهي سلفية العقيدة، ولا ترى أسلوب الثورة الشعبية؛ وإنما الانقلاب العسكري باعتباره أقرب للروح الإسلامية؛ لأنه لا يؤدي إلى الهرج والدماء والقتل، وكانت هذه المجموعة تضم أكثر العناصر وعياً وخبرة؛ فقد كانت تضم أيمن الظواهري، وعصام القمري...، وكان سالم الرحال هو الذي يربط بينهم»[1].

وهكذا يتضح لنا البعد التحريري في فكر الظواهري؛ وحتى فكرة الانقلاب العسكري، وتكفير النظام، وهذا أصل فكر حزب التحرير الذي يكفر كل الأنظمة، ويدعو لإعادة الخلافة؛ عن طريق طلب النصرة، وقيام أعضاء منه بانقلاب عسكري مثل بعض المحاولات في الأردن قديماً.

وإن هذا الفكر الانقلابي عند الظواهري هو الذي جعله يترك جماعة أنصار السنة المحمدية؛ بعد أن تربى فيها[2]، فبقي الظواهري سلفيّاً في العقائد والفقه؛ لكنه انقلابي في العمل والطريق، وهذا ما تكرر مع ابن لادن فيما بعد.

والخلاصة التي نصل إليها أن الشباب السلفي حين يخوض العمل الإسلامي بعيداً عن علمائه، وأيضاً بتقصير من علمائه؛ فإنه يصبح لقمة سهلة لأبناء المناهج الأخرى، ولذلك نرى أثر الحوار والنقاش مع العلماء السلفيين الكبار كيف نتج عنه تحول كبير في

(١) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص٣٨).

(٢) نفس المصدر (ص٣٣).

منهج كبار الدعاة في السعودية، ويمكن اعتبار موقفهم الأخير من تفجيرات الرياض نموذجاً على ذلك[1].

وبهذا يتضح عدم صحة نسبة فكر القاعدة للدعوة السلفية، بل هو ينتسب إلى حزب التحرير! وفي هذا إشارة لغزو بعض الأفكار صفوف جماعات أهل السنة، وهذا له آثار وبيلة.

---

(١) يمكن العودة إلى البيان الذي نشره موقع «الإسلام اليوم» عن التفجيرات.

إيران والقاعدة
التباينات، والتقاطعات، والمعايير المزدوجة!

«الحياة» (١٢/ ١/ ٢٠١٠)

شكل فرار «إيمان بنت أسامة بن لادن» من السلطات الإيرانية إلى السفارة السعودية في طهران صدمة للكثيرين الذين كانوا يرفضون تصديق لجوء عائلة ابن لادن وكثير من قادة القاعدة لإيران، والذين أخضعهم الحرس الثوري للإقامة الجبرية.

ولجوء السلطات الإيرانية لنفي معرفتها بوجود عائلة ابن لادن، ومن ثم سماحها بسفر «بكر أسامة بن لادن» إلى دمشق؛ يثبت كذب السلطات الإيرانية.

هذا الإثبات الجديد على تقاطع في العلاقات بين إيران والقاعدة يفتح الباب على مصراعيه؛ لمناقشة تفاصيل العلاقة وأبعادها، بعد النفي المتكرر من كلا الطرفين!! والذي يخالف ما يجرى على الأرض من تفاهمات، وترتيبات، ومكاسب متبادلة!!

أوجه الشبه:

من الملاحظ أنه برغم اختلاف مرجعية القاعدة وإيران إلا أن أوجه الشبه بينهما كبيرة جداً، ويمكن إيراد بعضها على سبيل المثال:

١- كلاهما يقوم على فكر ثوري في منهج التغيير.

٢- كلاهما يتبنى تكفير خصومه واستحلال قتلهم؛ كما في فتوى محاربة المتظاهرين بطهران لله ورسوله!!

٣- كلاهما لا يعترف بشرعية السلطات القائمة، ويعمل على زعزعة أمنها الداخلي.

٤- كلاهما يدير حرب إعلامية مميزة ضد خصومه؛ يألب بها الجماهير ضد أنظمتها.

٥- كلاهما تكون معظم ضرباته ضد الأمة الإسلامية، ومصالحها، وعلى أرضها.

٦- كلاهما تكون نتائج أفعالهم تجذر الإستبداد، والتضييق على الدعوة الإسلامية، وايجاد مبررات للقوى الدولية لترسخ هيمنتها على الأمة.

٧- كلاهما يختبأ خلف قضايا عادلة للأمة؛ لكن أعمالهما تصبان في خدمة أعداء الأمة.

هذه بعض أوجه الشبه، ولكن هناك -أيضاً- أوجه تباين، منها:

١) إيران تجد سنداً وقبولاً شعبياً لها بين أوساط السنة من القوميين وبعض الإسلاميين؛ وخاصة جماعة الإخوان، بخلاف القاعدة؛ خاصة بعد أحداث رفح.

٢) إيران رغم كل مؤامراتها واعتداءاتها على شعبها وعلى دول الجوار والعالم؛ إلا أنها -أيضاً- تجعل نفسها في صف محاربة

٣) إيــران تعــرف كيــف تحــافظ علــى وجودهــا بــرغم إرهابهــا وعــدوانها؛ مــن خــلال التقيــة، والمنــاورة، والألاعيــب الــسياسية الــتي لا مبــدء لهــا ســوى مــصلحة الثــورة وبقائهــا؛ ولــو بالتحــالف مــع الــشيطان الأكــبر والأصــغر، أو بــسحق مــن يعــارض؛ ولــو كــان رئــيس ســابق، بخلاف القاعدة التي لا تجيد فنون المناورة.

٤) تــستطيع إيــران التلاعــب بالقاعــدة، وتــسخير أعمالهــا لتــصب في صــالح الدعايــة لإيــران؛ مــن خــلال تقــديم نفــسها لــدول المنطقــة والعــالم أنهــا عــدو عاقــل، بخــلاف القاعــدة العــدو الجاهــل! ومــن خــلال ضرب أعدائها بالقاعــدة لتحــافظ علــى قوتهــا، ومــن خــلال التغطيــة علــى جرائمها.

٥) تــستطيع إيــران مــع كــل إرهابهــا ودمويتهــا وأعمالهــا الوحــشية أن تــشارك في المؤســسات الدوليــة والإقليميــة كعــضو كامــل الــصلاحية؛ إن لم يكــن عــضواً مميــزاً، كمــا يحــضى قادتهــا باســتقبال رســمــي حــسب البروتكولات ومقابلة كبار مسؤوليها؛ حتى في دول خصومها!!

إذا جعلنــا هــذه النقــاط في حــسباننا؛ فــيمكن لنــا تــشبيه دور القاعدة في بعــض الأحيــان بــدور «الــدوبلير»؛ وهــو الممثــل المغــامر والــذي يقــوم بــالأدوار الخطــرة بــدلاً مــن الممثــل الحقيقــي والمــشهور، وذلــك للحفاظ عليه، وحرصاً على عدم إصابته.

تحولات مدمرة.. أبو قتادة نموذجاً

«الحياة» (١/ ٧/ ٢٠٠٨)

في عصر الصورة تغيب التفاصيل والبدايات عن غالب المتلقين للأخبار والمعلومات، وتصبح المعلومات الخاطئة -من كثرة ترديدها- حقائق مسلمة عند الجماهير، وفي هذه المرحلة التي يمكن تسميتها: «عصر المراجعات»؛ والتي تشهد حالة من النقد الذاتي للمسيرة الحركية من قبل عدد من الرموز أو الجماعات الإسلامية؛ بسبب الحصاد المر للتجربة والنتائج الهزيلة؛ إن لم تكن المدمرة، وأيضاً بسبب النضج العمري والعلمي نوعاً ما -أغلب القيادات التي أعلنت تراجعاتها في عقدها الخامس الآن!!-، قد يكون من المفيد -أيضاً- دراسة سبب تحولات عدد من رموز هذه التيارات أصلاً إلى خيار العنف والتطرف بدرجاته وأشكاله المختلفة؛ حتى نمنع الداء من أصله.

من الرموز المتحولة للعنف: أسامة بن لادن؛ الذي كان يميل لحركة الإخوان المسلمين، والذي كان في الثمانينات يرفض تكفير الحكام العرب، وأيضاً: أيمن الظواهري الذي نشأ في جماعة أنصار السنة المحمدية؛ التي كانت تعد نسخة منقحة من جماعة الدعوة والتبليغ، وأبو قتادة (عمر محمود).

يمكن أن نعتبر أبا قتادة نموذجاً مناسباً لدراسة أسباب ومبررات التحولات إلى العنف، فهو شخص متعلم ومثقف، وصاحب علم وخطابة مؤثرة، كما أنه كان يمتلك رؤية مضادة لفكر العنف والتطرف.

أبو قتادة نشأ مع جماعة التبليغ، وعمل لفترة من الوقت في دائرة الإفتاء العسكري، وخدم في السجن العسكري، مما أتاح له التعرف على بعض النشطاء الإسلاميين من المساجين، وبقيت له علاقات وثيقة ببعضهم بعد خروجهم من السجن، بعدها تحول إلى ما يسمى بـ: «السلفية الإصلاحية».

لم يكن يرى كفر الحاكم بغير ما أنزل الله بالمطلق، بل يعتقد أن حكام الأردن، والسعودية، والخليج هم حماة للإسلام، كما كان من أشد المناوئين لحزب التحرير، وجماعات الجهاد، ولم يكن يخفِ ذلك؛ فقد ناظر وناقش قيادات في حزب التحرير، وكذلك الشيخ أسعد بيوض التميمي؛ حين ناصر ثورة الخميني -تراجع التميمي عن ذلك فيما بعد-، كما كان له نقد ورفض واضح لكافة تجارب الانقلابات والثورات التي قامت بها جهات إسلامية؛ كحادثة الكلية الفنية في مصر، وأحداث جهيمان في مكة وغيرها، وكان يرى أنها تضر العمل والأمة الإسلامية، ولا يستفيد منها سوى القوى اليسارية وإسرائيل، ولذلك كان له نشاط بارز في محاربة الفكر الشيوعي واليساري الثوري.

وكان أبو قتادة يؤمن بالمشاركة السياسية والدخول في اللعبة الديمقراطية، ففي انتخابات عام (١٩٨٩م) في الأردن؛ حثّ المصلين

في خطب الجمعة على المشاركة في الانتخابات النيابية، حدث ذلك بمسجد الخلفاء الراشدين بمنطقة رأس العين بعمّان، وقام بزيارة مرشحي الإخوان بمنطقته وأيدهم، ونقل بعض الناس إلى صناديق الاقتراع بسيارته، وكان يعيب على التيار السلفي العام في الأردن بعده عن المشاركة السياسية.

أصبح أبو قتادة شخصية معروفة في الأوساط السلفية في الأردن وخارجه نوعا ما، فزار الإمارات؛ والتقى بعبد الله السبت – الناشط السلفي –، وتواصل بعدها مع بعض التيارات الجهادية الفلسطينية الناشئة؛ وخاصة تيار منير شفيق –بعد تحوله من الماركسية إلى الإسلام–، وذلك في بدايات الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

وقد فشل في تأسيس عمل جماعي؛ بسبب فقدانه للخبرات التنظيمية، وشخصيته الحادة التي لا تصلح لبناء فريق عمل، وتعد نشرة «المنار» والتي صدر منها (٥) أعداد فقط هي نتاج لهذه التجربة غير الناجحة؛ والتي تقاطعت فيها رؤيته برؤية بعض من تعرف عليهم سابقاً في السجن، كما أن اختيار شعار(حسم) ليكون اختصار ورمز لهذه التجربة؛ كان نتيجة اجتهاد شخصي من أحد المقربين لأبي قتادة.

حين احتل العراق الكويت سنة (١٩٩٠م) كان لأبي قتادة موقف حاد من غزو حزب البعث أو صدام للكويت، وكان هذا بداية الصدام بينه وبين الأجهزة الأمنية الأردنية، ويبدو أن الصدام والصدمة كانا كبيرين، فرغم أنه كان يؤمن في ذلك الوقت بأن حامي حمى الإسلام هما: (الحسين، وفهد)، وكان يشعر أنه متساوق مع

منهجهما السياسي، لكن موقف الملك حسين من أحداث الكويت، وتعامل الأجهزة الأمنية معه؛ يبدو أنها فجرت في داخله تناقضاً رهيباً، أو أخرجت للسطح فكراً مكبوتاً، وقد يكون رافق ذلك مؤثرات خارجية.

وعند هذه المرحلة قفز أبو قتادة إلى الجانب الآخر؛ جانب التطرف والعنف، والمسار الثوري الانقلابي الذي كان يحذر منه سابقاً.

بعد هذا الاستعراض لمسيرة أبو قتادة يبرز السؤال المركزي: لماذا تحول أبو قتادة لخيار العنف والتطرف، والمنهج الثوري الذي كان يحاربه؟؟ ما هي المبررات والدوافع؟؟ ماذا يمكن أن نستفيد من هذه التجربة للمستقبل؛ حتى توفر أمتنا على نفسها عناء تكرار التجارب القاتلة؟؟

المعلومات والإجابات المتعلقة بهذا الشأن وتفاصيله شحيحة ومتناقضة، ولم يتم بحثها من قبل بشكل علني أو علمي، والهدف من هذا المقال التنبيه على أهمية دراسة وبحث مثل هذه التجارب، وفتح الباب لمناقشة ذلك للوصول لما فيه نجاة أمتنا من التجارب المتعثرة.

أقرب المقربين له مختلفون في أسباب ودوافع ما حدث له من تحولات، فمنهم من يرجعها لسبب نفسي؛ هو: إعجابه وثقته الزائدة بنفسه؛ مع حبه للزعامة، ومنهم من يرجعها إلى المؤثرات الخارجية التي استغلت نفسيته التواقة للزعامة؛ مع ظروف اختلال التوازن الفكري نتيجة تصادمه مع الواقع؛ حيث وجد أن فكره السياسي المندمج في الحكومات القائمة لم يكن صحيحاً؛ فقد اختارت الدولة

الأردنية المسار الخطأ بالتحالف مع العراق، فولد له ردة فعل عكسية بالكامل.

ففي هذه المرحلة تصادم أبو قتادة مع الشارع الأردني المؤيد لصدام وحزب البعث، وتصادم مع الأجهزة الأمنية، وكانت هناك فجوة بينه وبين أصدقائه المقربين؛ بسبب فساد مالي وإداري في مشروع تجاري فيه تجاوزات شرعية!

ظهر أثر هذه الصدامات على سلوك أبي قتادة من خلال عزوفه عن صلاة الجماعة في المساجد، وتفرّغه لمشاهدة مباريات كرة القدم!! في هذه المرحلة التي عزف فيها أبو قتادة عن المجتمع نوعا ما كان يتردد عليه بعض الشخصيات غير المعروفة للمقربين منه، وكان يصفها بأنها كوادر يسارية قيادية؛ تركت يساريتها بفضل جهوده معها.

وقبل خروجه من الأردن التقى أبو قتادة وفداً من جبهة الإنقاذ الجزائرية؛ وخاصة محمد سعيد مخلوف، ويبدو أن علاقته بالجزائر والجزائريين بدأت من هنا، وبعدها قام بشكل مفاجئ لمعارفه، ومناقض لفكره المعروف بزيارة سجناء (جيش محمد) في الجفر!! ومن هنا بدأت مسيرة تحولاته نحو التطرف والعنف.

كلما حاولنا فهم المبررات والدوافع التي سببت هذه النقلة؛ فسنجد أن هناك أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات من المهم الوصول لها حتى نتجنب تكرار مثل هذه التجارب المرة دوماً؛ والتي لا تعيق تقدمنا فقط، بل هي تهوى بنا -للأسف- بعيداً.

فهل العلة أن أمتنا لا تزال عرضة للأمراض النفسية للقيادات

والزعامـات، ولم تـستطع بعـد أن تميـز الـشحم مـن الـورم؟! أم أن خيـارات الـسلطة والأجهـزة الأمنيـة تحتـاج تطـويراً وتغـييراً؛ حتـى لا تبقـى تنـتج أعـدائها بأخطائهـا؟!! أم هنـاك علـل أخـرى؟ أو قـد تكـون العلة مركبة من جميع ذلك؟

أحـد أصـدقاء أبـي قتـادة قـديماً قـال عنـه يومـاً: «أظنـه حـين يبلـغ الخمـسين -سـنة (٢٠١٠)- سـيترك مـا هـو فيـه، ويجلـس للتـدريس والتعلـيم»، فهـل تـصدق هـذه المقولـة؛ ونـرى تراجعـات أبـو قتـادة عـن التحولات!!

أبو قتادة مؤسس منهج إدارة التوحش

«الحياة اللندنية» (٣/ ٨/ ٢٠٠٨)

لم أكن أتوقع أن أعود للحديث عن أبي قتادة مجدداً بمثل هذه السرعة، لكن كثرة المقالات والتحليلات مؤخراً حول كتاب «إدارة التوحش» -الذي ضبط مع المعتقلين مؤخراً في السعودية-، وقد ركزت هذه المقالات على أن الطرح الذي يحتويه الكتاب تطور جديد في فكر القاعدة، ونقلة جديدة في عمل دعاة العنف والإرهاب؛ لكن الحقيقة خلاف ذلك!!

وحين تفرغت لقراءة بعض ما كتب عن الموضوع من خلال الإنترنت وجدت أن هناك تضخيماً لقضية اكتشاف هذا المنهج وحداثته، وأن الفضل يعود لاهتمام وزارة الدفاع الأمريكية به وترجمته، وصدمت من أن غالب الكتاب محتارون في مؤسس هذا المنهج، ومؤلف الكتاب!

وهذا يدل على أن من نصبوا أنفسهم باحثين ومختصين بشؤون الجماعات الإسلامية من الكتاب والموظفين هم موظفون فعلاً؛ لكنهم غير جادين!!

فلم يستغرق الأمر سوى نصف ساعة من مراجعة كتاب «الجهاد والاجتهاد» لأبي قتادة؛ والذي طبع في عمان سنة (١٩٩٩م)

عـن دار البيـارق -وأصـله سلـسلة مقـالات نـشرتها «نـشرة الأنـصار الجزائريـة»، تحـت عنـوان: «بـين مـنهجين»؛ كمـا في ترجمـة أبـو قتـادة علـى موقعـه «الطائفـة المنـصورة»-؛ لنجـد في صـفحة (١١٠) أن مـنهج «التوحش» و«إدارته» فكرة قديمة لدى أبي قتادة.

وحين تقارن بين مـا كتبـه أبـو قتـادة في كتابـه «الجهـاد والاجتهـاد»، وبـين كتـاب «إدارة التـوحش» لأبـي بكـر النـاجي؛ يكـون أمامنـا احتمالان هما:

١- أن كتـاب «إدارة التـوحش» هـو مقـالات سـابقة لأبـي قتـادة منـشورة، أو محـدودة النـشر، وأن مـا نـشر في كتـاب «الجهـاد والاجتهـاد» هـو بعـض هـذه المقـالات، ويؤيـد ذلـك تنبيـه جـامع المقـالات في المقدمـة أنه هو المسؤول عـن هـذا الترتيـب، أو الـنقص والخلـل، وأيـضاً تكـرر في كتاب «إدارة التـوحش» الإشـارة إلى أنـه عبـارة عـن مقـالات، مثـل: قولـه في المقدمـة -أيـضاً-: «كتبـت في موضـوع سـابق عـن قـدر الإعـداد المـادي»، وقولـه: «وقـد أشـرت في ذلـك المقـال أنـي في سـبيلي إلى اسـتكمال دراسـة أفـك فيهـا الاشـتباك لكامـل الفقـرات الـسابقة»، وقولـه في بدايـة الفـصل العاشـر: «في دراسـة سـابقة نُـشر مقتطفـات منهـا -يـسر الله نشرها كاملة- ناقشنا قضية التربية».

وهـذا يحتـاج إلى مراجعـة مقـالات أبـي قتـادة المعروفـة باسـم: «بـين منهجين»، وهـي منـشورة علـى موقعـه «الطائفـة المنـصورة»، وأيـضاً هنـاك نفـس مـشترك كـبير في الكتـابين في المـضمون والأسـلوب، وعلـى هـذا الاحتمـال يكـون أبـو بكـر النـاجي هـو نفـسه أبـو قتـادة، أو مقـرب منـه، جمع مقالاته المتفرقة، وأضاف لها شيئاً يسيراً.

٢- الاحتمال الثاني: أن يكون أصل الفكرة ولبها هو لأبي قتادة، وجاء أبو بكر الناجي فشرحها ووسعها، وهي الفصول التي يعزو فيها لأبي قتادة، وهذا يحتاج إلى مقارنة دقيقة بين الكتابين.

وقبل أن أعرض ما كتبه أبو قتادة في «الجهاد والاجتهاد» -نشر سنة (١٩٩٩م)- أنبه لملاحظة غريبة هي أن كتاب زبيغنيو بريجنسكي «الفوضى» الصادر سنة (١٩٩٣م) قد ترجم للعربية سنة (١٩٩٨م)، وهناك تشابه واضح في التحليل للوضع الإستراتيجي العالمي، ودور الحركات الإسلامية بعد انهيار روسيا، والكتاب كان موضع اهتمام من أمثال أبي قتادة -آنذاك-!!

يقول أبو قتادة في كتابه الجهاد والاجتهاد» (ص١١٠)، تحت عنوان: (الدولة الإسلامية بين الحلم والحقيقة)، وسأنقل النص كاملاً -رغم طوله النسبي-؛ لتتضح الفكرة كاملة:

«يتهمنا خصومنا أننا أصحاب أوهام وأحلام، وأننا حين نتحدث عن دولة الإسلام القادمة، وأنها دولة هجرة وعزة؛ أننا نتحدث عن أضغاث أحلام، لكننا بفضل الله -تعالى- الأقدر على فهم سنة الله -تعالى- في الحياة، والذين أتعبتهم رقابهم وهي تنظر إلى حضارة الكفر بانبهار وانهزام هم الذين لا يفهمون سنة الله -تعالى- في الحضارات وسقوطها.

وإذا أردنا أن نستشرف المستقبل الذي نرتقبه لهذه التركيبة لحضارة الشيطان، ومن خلال معطيات أولية، وحتى نحضر أنفسنا لهذا المستقبل؛ فإن هذه المعطيات الحقيقية تقول لنا التالي:

١- قوة أي دولة تكمن في مركزيتها، والعالم بلا شك الآن يمثل

قريـة صـغيرة، عاصـمتها حـضارة الـشيطان في الغـرب، وعلـى الخـصوص في هــذا الوقــت أمريكــا، واســتناد كافــة الولايــات في العــالم قــائم علــى المركز؛ منه يستمد قوتـه، ومنـه يكتـسب هيبتـه؛ مـع التنبيـه علـى أن بعـض أطراف هذه الدولة العالميـة ضـعيفة الـصلة بهـذا المركـز، ومـن خـلال هـذا الـضعف تكتـسب حركـات الجهـاد مواقعهـا، وتحـافظ علـى نفـسها مـن الانتهــاء والتلاشــي، وهــذه البــؤر الــضعيفة تمــد هــذه الولايــات المهمــة عـصارة الحـق ببقـاء صـوت الإسـلام والتوحيـد والجهـاد مـدوياً وحاضـراً في نفوس مادة الجهاد وهم الشعوب.

هذا المركز العالمي عوامل الفناء الحضاري قائمة فيه وبقوة، وحديث القرآن عن سبب الفناء الحضاري هو بسبب ما بالأنفس من فساد عقدي، وانهيار خلقي، ومظالم اجتماعية، وهي نفس صرخات العقلاء في هذه الحضارة كـ «توينب»؛ حين يصرخ في بني قومه أن مجتمعاتهم إلى زوال، ولا بد من التنبيه إلى نقطة مهمة بها تفترق هذه الحضارة في هذا الزمان عن بقية الحضارات، وهي تسارع الدورة الاجتماعية من المبتدأ إلى السقوط -وهو داخل في حديث رسول الله ﷺ بتسارع الزمن-، فما كان يحتاج من الوجهة الاجتماعية إلى سنة صار يحتاج إلى أقل منها بكثير، وهذا بسبب اكتشاف السنن الكونية التي أعانت حركة الإنسان، وجعلت تحقيق إرادات قلبه ممكنة الحصول وبسرعة فائقة، ثم لعل هذا قريب الشبه بأخبار رسول الله ﷺ على علامات الساعة، وأنها في آخر الزمان تتسارع كحبات العقد منفلتة من عقالها وحبلها، وهذا يفيدنا أن السقوط سيكون مفاجئاً حتى لأكثر الناس إساءة ظن بهذه الحضارة، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ﴾ [الحشر:٢].

ولعــل انفجــار أوكلاهومــا كــشف لنــا شــيئاً عــن التيــارات الخفيــة

المتنامية داخل هذه المجتمعات، والتي ستكون البدائل الحقيقية لهذه المركزية الصارمة؛ لأن الروابط بين المركز وغيره تتزايد ضعفاً وهشاشة، وقبل انفجار أوكلاهوما ما حصل في لوس أنجلوس من ثورة فجرها الرجل الأسود ضد الظلم والقهر المفروض عليه في مجتمعه وأهل بلده.

أما في أوروبا؛ فالكلام عليها يطول من كشف هذه التيارات الخفية، ويكفي أن نعلم أن تيارات التعصب الديني والعرقي قد أوجدت لها مقاعد داخل السلطات التشريعية في البرلمان وغيره، بل إن بعضها قد صار أمل وصوله إلى الحكم وشيك الوقوع.

٢- عند سقوط هذه الدول من مركز وولايات؛ ما هو البديل؟ وبعيداً عن الأوهام والأحلام نقول: لن تسقط ولاية كاملة بيد بديل واحد؛ سواء كان إسلامياً أو كفريّاً، **فالبديل هو التوحش**، وسبب هذا الجزم أنه لا يوجد تجمع واحد قادر أن يحتوي هذه الثمرة الناضجة إلى جرينه، والذين يتصورون أن الإسلام هو البديل الوحيد لهذه الحضارة الشيطانية واهمون، وسبب وهمهم أنه لا يوجد مقدمة موضوعية لهذا الأمل، وليس هذا حديثاً عن الإسلام وقدرته، ولكنه حديث عن المسلمين وعجزهم.

وحتى تكون الصورة أقرب إلى الأذهان؛ فبين يدي الباحث عدة أمثلة تبين لنا عجز الحركات الإسلامية عن تلقي الثمرة وهي ساقطة سقوطاً حرّاً علاوة، على عجزهم من قطفها بأنفسهم، هذه الأمثلة هي: أفغانستان، والولايات الإسلامية الخارجة من الحكم الروسي.

أمـا أفغانـستان؛ قـد شـاركت الحركـات الإسـلامية في سـقوطها، وقـد سـقطت، لكـن هـل كـان المسلمون؛ وعلـى الخـصوص أهـل الـسنة والجماعـة عنـدهم مـن المقـدمات مـا يؤهلـهم لوراثـة هـذه الثمـرة؟.. النظرة تكفي الجواب.

أمـا الولايـات الإسـلامية الخارجـة مـن الحكـم الروسـي؛ فقـد سـقطت مركزيـة الحـضارة الـشيوعية، وتنـاثرت حباتهـا، فهـل يوجـد حبـة واحـدة مـن هـذه الثمـار وقعـت بيـد المسلمين؛ سـوى طاجكـستان؟ مـع أن الفرحة لم تتم!

وفي هــذا الوقــت لــو ســقطت أي حلقــة مــن حلقــات الــردة في العالم، هـل يوجـد عنـد الحركـات الإسـلامية القـدرة علـى تلقـي التـساقط ليكون وارثـاً لـه؟ وهـل تملـك هـذه الحركـات المقـدمات الموضـوعية لهـذه الوراثة؟

لـو تـصورنا هـذه اللحظـة أن المملكـة الـسعودية ضـعفت مركزيتهـا الآن، وانتهــى حكــم آل ســعود؛ فكيــف هــو التــصور الموضــوعي لهــذا الإرث؟ الجـواب بكـل وضـوح: لـن يكـون مـن الـوارثين أحـد يـسمى: (الــوارث الإســلامي)، بـل سـتكون بـدائل جاهليـة جديـدة، كمـا هـي البدائل الحاصلة في الصومال حين سقوط الدولة.

وأنـا ضـربت مثـالاً بـالجزيرة العربيـة كـون العلمنـة فيهـا إلى الآن لم تصل إلى أهـدافها داخـل الـشعوب، مـع وجـود مقـدمات جاهليـة خادمـة لخـصومنا مثـل القبليـة، وغيرهـا، أمـا إن ضـربت مـثلاً بتـونس؛ فالـصورة قاتمــة ولا شــك، كــون عــرى الإســلام قــد هــدمت مــن أصــولها في الشعوب، علاوة على الحكم والقضاء.

٣- **هــذا التــوحش** الــذي سـيكون وارثــاً لهــذه الولايــات بعــد انفلاتها من المركز؛ يوجب علينا عدة أمور أهمها:

أ- بنـاء تنظيمـات مـسلحة قـادرة علـى الترقـي مـن مرحلـة شـوكة النكاية إلى شوكة التمكين.

وإن كانــت هــذه التنظيمــات تحمــل مــن اسمهــا: القلــة، وعــدم الانتــشار؛ إلا أنهــا حتــى **تقــود هــذا التــوحش** ثــم تعيــد صــياغته مــن جديد؛ فإنهـا بحاجـة إلى الـسلاح والقـدرة علـى **إدارة التـوحش**، أو بمعنـى آخر: **على إدارة الفوضى**.

وهــذه التنظيمــات وإن كانــت في كــثير مــن الــبلاد في هــذا الوقــت ليست بقادرة على تحقيـق تقـدم نـوعي، أو حتـى كمـي؛ فـإن وجودهـا قـد يزدهر بدخول عوامـل جديـدة علـى هـذه المعادلـة الخاسـرة، ثـم لأن هـذه التنظيمـات هـي الخـط الرئيـسي في الـدفاع عـن إسـلام الأمـة وتوحيـدها، ثــم هــي بنكايتهــا الــضعيفة تعطــي هامــشاً جديــداً لحركــات الــبلاغ والـدعوة داخـل مجتمعاتنـا المتحولـة، فانـشغال حكومـات الـردة بحركـات الجهــاد المقاتلــة، يــشغلهم عــن الوعــاظ والمدرســين ومــشايخ التربيــة، وخطبـاء المـساجد عمـلاً بالقاعـدة العقليـة: «ارتكـاب أخـف الـضررين»، وهذه التنظيمات واجبة القيام على الأمة أصلًا.

ب- التوحش أو الفوضى ستعم العالم، وخاصة في بلادنا.

أمــا الغــرب؛ فهــم موصــوفون أصــلاً بالقــدرة علــى قيــادة هــذه الإدارة في بلادهــم تاريخيّــاً، وهــم المقــصودون بقــول عمــرو ابــن العــاص: «وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة»، والحديث في «صحيح المسلم».

هـذا التـوحش -أو الفوضـى- القـادم علـى العـالم سـيجزئ الدولـة الواحـدة إلى تجمعـات صـغيرة، تختلـف مـن تجمـع لآخـر مـن حيـث رابطتهـا، فبعـضها قلـبي، وبعـضها فكـري، وبعـضها مـذهبي، وبعـضها طائفي، كمـا كنـا نـرى في لبنـان، وأفغانـستان، والـصومال، وكمـا سـنراها لاحقاً في كـثير مـن الـبلاد، إمـا بـصورة جماعيـة وهـو الأقـوى نظـراً، وإمـا على صورة تتابع في سقوط متتالي.

هـذا التـوحش يوجـب علينـا تعلـم فـن إدارة هـذا التـوحش، وهـو سـلاح ذو حـدين -أقـصد التـوحش-، إمـا أن يجتثنـا، أو نفيـد منـه، وإفادتنـا منـه تكـون بـسبب ضـعف المركزيـة، مما يجعـل لحركـات الجهـاد هامـشاً مـن الحركـة غـير المراقبـة، مـن تـدريب وإعـداد وتنظـيم؛ كمـا حصل في أفغانستان.

وهنـا لا بـد مـن التنبيـه علـى ضـلال دعـوة بعـض قـادة الحركـات المهترئـة بوجـوب الحفـاظ علـى النـسيج الـوطني، أو اللحمـة الوطنيـة، أو الوحـدة الوطنيـة، فعـلاوة علـى أن هـذا القـول فيـه شـبهة الوطنيـة الكافرة؛ إلا أنـه يـدل علـى أنهـم لم يفهمـوا قـط الطريقـة الـسننية لـسقوط الحضارات وبنائها.

ثـم هـذا التـوحش يوجـد للغربـاء مـأوى يـستترون فيـه بعيـداً عـن طلبـات اللجـوء إلى بـلاد الغـرب، هـذا إذا اسـتطاعت حركـات الجهـاد أن توجد لها مكانا في قطعة الجبن المتناثرة.

جــ- القـدرة علـى إعـادة التـشتت إلى لحمـة جديـدة تحمـل صـورة الإسـلام الـصحيحة، وهـذا يـستدعي وجـود قـادة لهـم نظـر ثاقـب في الإدارة والحـرب، وحتـى أقـرب الـصورة أكثـر؛ فـإن القـارئ الباحـث

يستطيع أن يستطلع شيئاً مما هو مقبل من خلال معرفته معرفة حقيقية لواقع المجتمع الإسلامي قبل الحروب الصليبية وخلالها وبعدها، فإنه قد يعيد التاريخ نفسه إذا وجدت نفس المعطيات، والمعطيات متشابهة ها هنا؛ وليست متطابقة.

د- وبقيت هنا نقطة، وهي: السؤال الذي تقدمت الإشارة إليه، وهو: كيف سيعالج الغرب حالة الفوضى التي ستجتاحه؟

ولأن الجواب له علاقة بواقع مجتمعاتنا؛ فلا بد من الإجابة عليه.

عادة الغرب أنه كلما تضخمت مشاكله الداخلية، وضاقت موارده الاقتصادية، واضطربت معالم بنائه، وتزايد العاطلون عن العمل، وتزايدت حدة اللصوصية والجريمة؛ فإن الغرب بطريقة ذكية يتقنها يوجه المشاكل إلى حالة استنفار نحو خصومه التقليديين في المشرق الإسلامي، وهذا مصداق حديث رسول الله ﷺ: «**والروم كلما كسر لها قرن؛ ذر لها قرن آخر**»، لكن يبقى السؤال: من الذي سيكسر هذا القرن؟»». إ. هـ

ومن الواضح جداً التطابق في الأفكار بين كلام أبي قتادة، وكلام أبي بكر مثل: التوحش، إدارة التوحش، إدارة الفوضى، مراحل العمل، شوكة النكاية، ومن ثم شوكة التمكين.

وحيث أن الناجي يستشهد بكلام أبي قتادة؛ فهذه دلالة على سبق أبي قتادة في طرح منهج التوحش، وبذلك يتأكد أن أبا قتادة هو مؤسس منهج «إدارة التوحش».

موقف الجماعة الإسلامية بمصر من أحداث (١١ سبتمبر)

«الدستور» (٢٠٠٢)

إن الجماعة الإسلامية من التيارات الفاعلة على الساحة المصرية، وكان لها دور بارز في الصحوة الإسلامية التي عاشتها مصر في فترة السبعينات من القرن الماضي.

والجماعة الإسلامية سارت في الخط «الجهادي» والصدام مع الدولة؛ إلى حد المشاركة في اغتيال رئيس الدولة السادات، والقيام بالعديد من العمليات العسكرية ضد العسكريين والسياسيين والسياح الأجانب في مصر.

ولكن قيادة الجماعة بعد خمسة عشر عاماً من اغتيال السادات قامت بمراجعة لمسيرتها، ومعرفة للثمار التي حققتها من خلال هذا المنهج، فظهر لها خطأه؛ فتراجعت عنه، وتبرأت منه، وذلك في (٥/ ٧/ ١٩٩٧) قبل أحداث (١١ سبتمبر)؛ حيث أعلنت قيادة الجماعة من طرف واحد مبادرة وقف العنف مع السلطة المصرية.

وتجربة الجماعة الإسلامية من أعمق التجارب «الجهادية» في العصر الحاضر، وذلك من نواح عدة:

١- تاريخها الطويل الذي بدأ في الجامعات المصرية عام (٧١م) في المجال الدعوي، وتحول «جهاديّاً» عام (٨١م)؛ مع مقتل

السادات، وانتهى عام (٩٧)؛ الذي أعلن فيه وقف العنف.

٢- الأعداد الكبيرة التي انضمت لها على مدار عمرها الطويل.

٣- القوة التي وصلتها مقارنة بالتجارب «الجهادية الأخرى» (جهيمان، حماة، الكلية الفنية).

٤- وضوح الطرح والتأصيل الذي قامت به في مسيرتها.

بهذه العوامل مجتمعة كان من الواجب على العاملين في الساحة الإسلامية الاستفادة من هذه التجربة الهامة، وتجنب الأخطاء التي وقعت فيها؛ حتى لا يظل العمل الإسلامي يدور في حلقة مفرغة؛ دون الاستفادة والتعلم من تجارب الآخرين، والمراكمة عليها في سبيل نهضة إسلامية مباركة!

من هنا؛ كان هذا العرض لموقف الجماعة الإسلامية من أحداث (سبتمبر)؛ والذي نشر في كتاب «نهر الذكريات، المراجعات الفقهية للجماعة الإسلامية»، وهو من تأليف وإعداد قادة الجماعة، وقد أفردوا الباب الثالث لذلك العنوان: (١١سبتمبر في الميزان)، من (ص١٨٩- ص٢٨٢).

وهذا بيان لأهم الأفكار الواردة في هذا الباب:

بين يدي الأحداث:

إن (١١ سبتمبر) علامة فارقة في التاريخ؛ ليس لبشاعته، أو كثرة ضحاياه، فقد قتل الجيش الروسي في العاصمة الشيشانية جروزني وحدها عشرين ألف مسلم، بل هو علامة فارقه؛ لأنه

أصـاب القـوة العظمـى في كبريائهـا وكرامتهـا، ولم يـصدم هـذا الحـادث الأمــريكيين وحــدهم، بــل -أيــضاً- صــدمنا نحــن، وانهــار «برجــان عاليــان» عنــدنا في أفغانــستان همــا طالبــان والقاعــدة؛ واللــذان ظــن البعض أنهما بعيدا المنال.

وتـسبب هـذا الحـادث في جعـل الـدول والحركـات الإسـلامية في ساحة معركـة لم تـرد دخولهـا، فإمـا أن تقتـل أبناءهـا بيـدها، وتخلـع أنيابهـا وأظافرها طواعية، وإما أن تواجه الآلة العسكرية الأمريكية.

إرهاصات (الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١):

إن عمليـة قتـل الجنـود الأمـريكيين في الـصومال، واتهـام ابـن لادن بأنــه مــن ورائهــا عــام (١٩٩٤)، وبعــدها تأســيس «الجبهــة الإســلامية العالميـة لقتـال الأمـريكيين واليهـود» عـام (١٩٩٨)؛ الـتي كانـت إعلامـاً وإعلانـاً عـن حـرب واضـحة علـى أمريكـا تجلـت في تفجـيرات نيروبـي ودار الــسلام في نفــس العــام، والــرد الأمريكــي بقــصف أفغانــستان والـسودان، شـكل هـذا كلـه إرهاصـات للعلاقـة المـستقبلية بـين الطـرفين: القاعدة، وأمريكا.

وشــهدت العلاقــة بــين الطــرفين فــصلاً جديــداً في تــدمير المــدمرة كــول في عــدن عــام (٢٠٠٠)، ثــم كــان الفــصل الــدامي: أحــداث (١١سـبتمبر)؛ ومـا تلاهـا مـن رد أمريكـي، تمثـل باجتيـاح أفغانـستان، وإسقاط حكم طالبان، (ثم احتلال العراق).

وقـد نبـه قـادة الجماعـة الإسـلامية في هـذا الفـصل أنهـم أرغمـوا الـشيخ رفـاعي أحمـد طـه؛ الـذي شـارك «مـن تلقـاء نفسه ودون الرجـوع إلى مجلـس شـورى الجماعـة» في تأسـيس الجبهـة العالميـة باسـم الجماعـة

على الانسحاب من الجبهة، وإعلان ذلك؛ وإلا سيتم إبعاده.

وقد استجاب الشيخ رفاعى للجماعة، وأعلن الانسحاب قبل أحداث دار السلام ونيروبي ببضعة أيام؛ لاعتراض الجماعة على الأساس الذي قامت علية الجبهة؛ وهو القتال على الجنسية!!

هل تعتبر جنسية المرء مسوغا لقتله؟!

وقد ركز قادة الجماعة على بيان خطأ جعل الجنسية الأمريكية مسوغاً لقتل حاملها في أكثر من كتاب ومكان، لأن هذا يصادم أصول الإسلام في الجهاد التي تحرم قتل المدنين، والنساء، والأطفال، والتجار، والفلاحين، والرهبان؛ مع الاعتقاد بكفرهم، لكن الإسلام لا يحل قتل الكفار إلا إذا انتصب لقتالنا.

والجهاد في الإسلام له أصول وأسس، والسيوف الإسلامية لها أخلاق وقيم؛ تستند للقرآن الكريم وسنة النبي الكريم؛ الذي كان يأمر الجيوش بقوله ﷺ: «**اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا؛ ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**». رواه مسلم.

موقف الجماعة الإسلامية من الأحداث:

إن العواطف لا ينبغي لها أن تتغلب على الأحكام الشرعية، فالمسلم ينبغي أن يكون الشرع حاكماً له؛ لا محكوماً لعواطفه، ولذلك مع التقدير لمشاعر المسلمين الكارهين لسياسات أمريكيا تجاه القضية الفلسطينية، ومع تقدير تضحيات المجاهدين وعطائهم؛ إلا أن الغاية لا تبرر الوسيلة، ولذلك كان موقف الجماعة من أحداث (١١

سبتمبر) هو عدم شرعيتها؛ بسبب قتل المدنين (سواء العاملين بمركز التجارة العالمي، أو ركاب الطائرة)، وأثارها السلبية على الإسلام والمسلمين؛ شعوباً وحكومات، وثروات ومقدرات.

تقييم دور طالبان من وجهة نظر الجماعة:

إن طالبان وقد تحقق لها السيطرة على (٩٠٪) من أرض أفغانستان لم تفطن لأهميتها كدولة محورية في المنطقة المحتلة من جمهوريات روسيا الإسلامية، والدول الأخرى؛ مثل: تركيا، وباكستان، وإيران.

وبدلاً من أن تعمل على تمتين روابطها بالدول الإسلامية التي لم يعترف بها إلا ثلاث دول (باكستان، السعودية، الإمارات)؛ عملت على أن تجبر هذه الدول على سحب الاعتراف بها!! وذلك بسكوتها على تصرفات خاطئة صدرت من تنظيم القاعدة الذي أراد مواجهة كل الخصوم في آن واحد، وفتح عدة جبهات في الوقت نفسه، متحدياً بذلك سنن الله الكونية التي لا تحابي أحداً، ومخالفاً بذلك السنة النبوية؛ حيث لم يحارب ﷺ في جبهتين معاً في آن واحد...

عدم استفادة طالبان والقاعدة من تجارب التاريخ «من خوارزم شاه إلى الملا عمر»:

إن من المؤسف أن التتار المعاصرين اجتاحوا أفغانستان في قصة تشبه اجتياح التتار لبلاد المسلمين؛ بدءاً من بلاد خوارزم شاه (أفغانستان الآن)؛ وذلك حين عمد نائب خوار زم شاه إلى قتل بعض تجار التتار طمعاً في ما معهم من أموال، وحين بلغ جنكيز خان ذلك؛ طلب من خوارزم شاه تسليمه قتلة التجار وأمواله؛ وإلا

اجتاح بلادهم، فأبى خوار زم شاه، ويقال: إنه قد قتل الرسل الذين أرسلهم جنكيز خان.

وبدأ خوارزم شاه الاستعداد للتتار، وطلب المساعدة من الممالك الإسلامية حوله؛ ولكنها لم تستجب له، فما كان من خوارزم شاه إلا أن هاجم الممالك الإسلامية المجاورة، وهاجم -أيضاً- حدود التتار؛ لما كانوا مشغولين في بلاد الصين.

وعندما بدأ السيل التتري على بلاد المسلمين، ولم يقف حتى سقطت بلاد الإسلام وعاصمة الخلافة بغداد (كما حدث اليوم: اجتياح أفغانستان، وسقوط بغداد).

وبقليل من التأمل يمكن القول بأن التتار ما كانوا يفكرون بالعدوان على بلاد الإسلام؛ لولا تلك الحادثة الغريبة من قتل التجار وعناصر خوارزم شاه، ونظرته المحدودة للأمور، فهل أعاد التاريخ نفسه مع تغير الشخوص؟!

وإن المسلم عليه الاعتبار بحوادث التاريخ؛ حتى يستفيد منها، ومن ذلك: أن أمريكا حين عانت من قدر كبير من المهانة والألم في حادثة «بيرل هاربر»؛ لجأت لرد فعل غير عقلاني، وهو استخدام السلاح النووي.

ولا شك أن أي عاقل أو منصف لا بد أن يتوقع رداً غير عقلاني من أمريكا إذا تعرضت لشيء من هذا القبيل؛ وخاصة في ظل العداء الموجود أصلاً للإسلام، ووجود من ينميه، فهل غاب عن قيادة القاعدة أنه إذا تشابهت المقدمات أن النتائج ستكون متشابة -أيضاً-؟!

فوائد هجرة المسلمين إلى الحبشة:

إن من المسلمات: استنباط الأحكام من مسيرة النبي ﷺ وأصحابه في حركتهم لنصرة هذا الدين، فهل غفل هؤلاء عن فقه هجرة الصحابة الكرام للحبشة، وكيف تعامل الصحابة مع هذا المجتمع غير المسلم؟! فهل قام الصحابة بكسر الصلبان، وهدم الكنائس، وحرق الحانات؟ لا بل أقاموا متمسكين بتوحيدهم لله، وأداء شرائع الإسلام في إطار «علاقة حميدة»؛ كان لها الأثر في توفير الحماية الأمان لهم.

إن الواقع المعاصر يدل على أن من استفاد من المسلمين اليوم من سيرة الصحابة في الحبشة كان له أثر كبير في الدعوة إلى الإسلام في بلاد الغرب بشكل كبير قبل أحداث (١١ سبتمبر)؛ وإن كان الأمر مستمراً؛ لكنه أقل وتيرة.

أثر أحداث (١١ سبتمبر) على الإسلام والمسلمين:

لقد كان لهذه الأحداث تأثير سلبي بالغ على كثير من قضايا الإسلام، ومن ذلك:

القضية الفلسطينية:

فمع أن القاعدة ادّعت «أن هذه الأحداث كانت من أجل فلسطين والعراق»، والحق أن نقيض ذلك هو ما حدث واقعيّاً!

فقد كانت الأحداث سبباً لتراجع القضية الفلسطينية، وفتح المجال أمام شارون للتمادي في الاعتداء على الفلسطينيين، وكشفت الدعم والغطاء الحركات الإسلامية في فلسطين، وكذلك العديد من

المؤسسات الإغاثة، واضطرت العديد من الدول وغيرها لتقليص دعمها للشعب الفلسطيني!

التدخل السياسي والثقافي في الدول الإسلامية:

كان لهذه الأحداث -أيضاً- دور بالغ لفرض نظم سياسية موالية لأمريكا، بدل الخلاص منها؛ كما كانت تأمل القاعدة، وفتحت الباب أمام التدخل في المناهج الدراسية في الدول العربية والإسلامية.

كان هذا مجمل موقف الجماعة الإسلامية من أحداث (١١ سبتمبر)، وتكمن القيمة المميزة لها في كونها رؤية جماعة معاصرة مارست هذا المنهج قرابة عشرين عاماً، كما ثبت لها خطأه؛ فتركته لكن -للأسف- في الوقت التي تخلت عنه قام تنظيم القاعدة بتبنيه وتأييده!!

فمتى ينتبه المسلمون إلى الاستفادة من تجاربهم، وعدم تكرار الأخطاء مرات ومرات؟؟!!

عرض كتاب «تفجيرات الرياض - الأحكام والآثار»
تأليف وإعداد قادة الجماعة الإسلامية – مصر

«الدستور» (٢٠٠٢)

هـذا كتـاب آخـر مـن سلـسة كتـب المراجعـات الـتي أصـدرتها الجماعـة الإسـلامية في مـصر؛ تعـرض فيـه لفكرهـا الجديـد، وتنقـد فيـه مـسار العنـف الـذي يمارسـه تنظـيم القاعـدة، وتوضـح خطـأه وبعـده عـن الإسلام والحق.

يقـع الكتـاب في (١١٤) صـفحة مـن الحجـم الكـبير، وصـدر في عام (٢٠٠٣) عن مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة.

بدأ الكتاب بمقدمات لا بد منها، هي:

١- رفـض هـذه الـتفجيرات وإدانتهـا لا يعـني الطعـن في إخـلاص منفذيها.

٢- الطغيان الأمريكـي لا يـبيح لنـا القتـل بالجنـسية. (وهـذه مـسألة ركزت عليها كتب الجماعة في أكثر من كتاب من كتبها).

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤، وغيرها]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران:١١٣].

٣- يجـب رعايـة مـصالح الـدين والأوطـان العليـا أولاً؛ علـى

مصالح الحركة الإسلامية الذاتية.

ومن ثم استعرض الكتاب تسلسل الأحداث التي رافقت سلسلة تفجيرات المغرب والرياض.

أما الفصل الأول؛ فكان بعنوان: الجهاد لذاته؟ أم لغاية؟

إن تاريخ الجهاد الإسلامي يشهد له كل منصف بالرحمة، والتسامح، والعدل، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك: سيرة البطل صلاح الدين مع الصليبيين؛ الذي بطشوا بالمسلمين، واعتدوا بقسوة على المؤمنين، لكن صلاح الدين عاملهم بالرحمة والمسامحة.

لذلك لم يكن الجهاد يوماً ما مراداً لذاته، بل كان وسيلة لبلوغ الغايات الإسلامية النبيلة.

ولذلك فإن الفقهاء يعتبرون إراقة الدماء -أيّاً كانت- إنما هي مفسدة؛ لكن أبيحت في بعض الأوقات لمصلحة أعظم منها، وهي إعزاز الدين، والذود عن بلاد المسلمين.

قال ابن دقيق العيد: «الأصل عدم إتلاف النفوس، وإنما أبيح منه ما يقتضي دفع المفسدة».

فإذا غلب على الظن أن القتال لن يعلي دين الله وشرعه؛ فلا يحل الخوض فيه.

ولما كان الجهاد يندرج في عداد الوسائل وليست الغايات، ترتب على ذلك:

١- الجهاد وسيلة، متى لم تحقق المراد لا يجوز استخدامها.

٢- لو توفرت وسائل أخرى تحقق المراد؛ فالواجب ترك الجهاد.

واستدلوا على ذلك بطلب عدي بن حاتم من خالد بن الوليد تأخير القتال لطيء؛ حتى يرجعهم بعد ردتهم.

٣- سياسة الصدام العسكري ليست هي الوسيلة الوحيدة التي يجب اللجوء إليها مع غير المسلم، بل هناك وسائل أخرى؛ من التعاون، والتحالف، والمسالمة، والمصالحة.

إن الجهاد للجهاد هو نموذج خاطئ، وفهم سقيم يتكرر هذه الأيام بكثرة (١١ سبتمبر، وبالي، الرياض، الرباط...)، وكانت النتيجة الخراب والدمار، ولم تنفع المسلمين بل أضرتهم.

وإن بعض منظري هذه التفجيرات يقولون: «أشعل جذوة الجهاد في أي مكان، ثم دعها تشتعل بعد ذلك من تلقاء نفسها»، وهؤلاء لا يدرون أنهم يشعلون النار في ذواتهم من الحركة الإسلامية كلها قبل أن يشعلوا النار في أعداء الإسلام!

أن الجهاد الحقيقي لا يقدح فيه ولا يطيقه من يسعى لإبطاله فحسب.. ولكن يسيء إليه -أيضاً- الذين يخطئون فيه؛ أولئك الذين يضعون السيف في غير موضعه، أو يقومون بالجهاد في المكان الخاطئ وفي الزمن الخاطئ، وبالطريقة الخاطئة.

أما الفصل الثاني الذي جاء بعنوان: نوايا صالحة، وأهداف خاطئة:

فقد ناقش فيه المؤلفون نتائج هذه الأعمال التي تحققت مقارنة مع ما كان يرنو إليه أصحابها، فإنهم كانوا يريدون جلاء أمريكا من الخليج، وأن تنصف قضايا المسلمين في فلسطين والعراق؛ ولكن هل

تحقق من ذلك شيء؟؟

للأسف إن القائمين بهذه الأعمال من ذوي التفكير غير المتعمق؛ فلذلك كانت الأمور عكس ما أرادوا؛ فقد أدت أعمالهم إلى اللبس والغموض في تعريف الإرهاب، وشموله للجهاد الوطني في فلسطين والشيشان.

إن ادعاء القاعدة بأنهم غير مسؤولين عن النتائج التي تترتب على (أداء الواجب الشرعي)؛ هذا الادّعاء يعتبر خطيئة شرعية كبرى؛ التبست على كثير من الشباب، لأن الإسلام يهتم بالنتائج كما يهتم بالأعمال؛ ولذلك أوقف الفقهاء الحدود في دار الحرب؛ خشية انضمام المحدود للأعداء فراراً من الحد.

«ما كان هؤلاء ليقاتلوا»:

كان هذا الحديث هو عنوان الفصل الثالث؛ والذي ركز على المفاهيم التالية:

١- إن لسيف المسلمين أخلاقاً؛ كما يقول مصطفى صادق الرافعي.

٢- القتال لا يكون إلا لمن انتصب لحرب المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]، فقتل النساء، والشيوخ، والأطفال غير جائز؛ إلا إذا شاركوا في القتال، وعلى هذا إجماع العلماء؛ كما نقله النووي في «شرح مسلم».

٣- يجب الحذر من استدراج الطغيان الغربي على بلاد

المسلمين لأبناء الحركة الإسلامية لاستخدام أخلاقهم في الطغيان والظلم والتعدي على الأبرياء والمسالمين.

٤- أحكام الجهاد تسوسها شرعة الرحمن وعدله ورحمته؛ ولا تعمل بالانتقام الشخصي.

الفصل الرابع: المستأمن في بلادنا.. ما له وما عليه:

وهذه مسألة مهمة، يتجاوز فيها كثير من المسلمين الشرع بعواطفهم، وتغيب عنهم سنة الله الكونية في جعل الناس شعوباً وقبائل، يحتاجون للحركة، والسفر، والعلاج، والتجارة؛ وإن اختلفت ديارهم وأديانهم، ولذلك كان لا بد من حالة من السلم والأمن تستقيم بها الأمور للناس أجمعين.

ولقد كان الأمن والسلم مدخلاً وسبباً لدخول الإسلام في كثير من البلاد؛ بواسطة التجارة، والرسل، والسفراء الذين عرّفوا الشعوب بعظمة وسماحة الإسلام.

ولقد أفرد الفقهاء في كتبهم باباً بعنوان «باب الأمان»، وفيه:

١- عقد الأمان هو: عهد بالسلامة من الأذى منك وعليك، ودليله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦].

٢- من له حق إعطاء الأمان؟

هذا الحق هو لكل مسلم شريف، أو وضيع؛ رجل أو امرأة؛ لقول النبي ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**».

٣- بمَ ينعقد الأمان؟

ينعقد الأمان بكل لفظ يفهم من الأمان معناه؛ سواء كان صريحاً، أو كناية؛ وسواء كان بالكتابة، أو الرسالة، أو الإشارة، بل إذا صدر من المسلم موقف فهِم منه غير المسلم الأمان؛ فقد حصل على الأمان.

وعليه؛ فإن كثيراً من الصور العصرية اليوم تعد أماناً لغير المسلم في الإسلام، مثل: الحصول على تأشيرة الدخول، وتصريح العمل والإقامة، أو الدعوة من إحدى الجامعات أو المؤسسات، وكذلك التجارة، وغيرها من الصور المحدثة اليوم.

٤- حدود عقد الأمان للأفراد:

للفرد المسلم أن يؤمن الواحد، والعشرة، والقافلة الصغيرة، والحصن الصغير؛ لقبول عمر ﷺ ذلك: «من عبدٍ أمن أهل حصن».

٥- ما جرت به العادة من الأمان:

الشرع مهتم بالمقاصد والغايات، ولذلك إذا كان هناك عرف جرى يعتبر أماناً؛ فهو أمان، مثل: أن يأتي تاجر غير مسلم ديار المسلمين؛ فله ذمة المسلمين، قال ابن قدامة: «إذا دخل الحربي دار الإسلام بغير أمان نظر؛ فإن كان معه متاع يبيعه في دار الإسلام، وقد جرت العادة بدخولهم إلينا تجاراً بغير أمان؛ لم يعرض لهم».

وعليه؛ فإن في زماننا يصبح أي علامة متعارف عليها أن صاحبها تاجر؛ فله ذمة المسلمين؛ كاشتراك في نقابة التجار، أو

بطاقات التعريف التجارية، وما شابه ذلك.

٦- نواقض الأمان:

أ- خروج المستأمن من دار الإسلام والعودة لداره.

وفصل الحنابلة في ذلك؛ فقالوا: (إن رجع إلى داره لتجارة أو حاجة على عزم العودة بالعودة إلى دار الإسلام؛ لم ينتقض أمانه، لأنه لم يخرج عن نية الإقامة فيها، ولكن إذا دخل دار الحرب مستوطناً أو محارباً؛ انتقض أمانه في نفسه، وبقي في ماله»، أي: إن كان له مال عند المسلين؛ فإنه محفوظ.

ب- إذا تضمن الأمان مضرة أو اقتضى مفسدة أو خيف من ذلك؛ فللحاكم أو من يقوم مقامه أن يلغي الأمان.

٧- حكم ما لو لم يقبل الأمان:

إذا صدر الأمان ولم يكن صحيحاً، مثل: إذا أمن أحد المسلمين غير مسلم وكان الإمام قد نهى عن التأمين، أو وضع شروطاً لم تتوفر في من منح الأمان؛ ففي هذه الحالة للإمام ألا ينفذ الأمان وأن يرده، ولكن ليس للمسلمين إلحاق الضرر به، بل يرد إلى بلاده سالماً.

٨- حكم ما لو غدر المستأمن؟

مثلما أن المستأمن ليس لأحد أن يضره؛ فعليه هو أن لا يوقع الضرر بالمسلمين، فلو فعل؛ فقد جاز للدولة إلحاق الضرر به وعقوبته حسب ما ارتكبه.

إن عقد الأمان من أهم العقود التي اعتنت بها الشريعة، وفصلتها، وحرمت الغدر بالمستأمن مهما كانت جنسيته، ومهما

كانت أفعال دولته.

ولـذلك؛ فـإن قتـل هـؤلاء خطـأ شـرعي جـسيم، وإراقـة لـدمائهم بغير حق وبغير موجب من الـشرع؛ ينبغـي علـى كـل مـسلم ملتـزم بـشرع الله الامتنـاع والتوقـف عنـه، ونـصح غـيره بـذلك، والإنكـار علـى مـن يفعل ذلك بكل سبل الإنكار الممكنة.

تساؤلات:

وتـرد الجماعـة علـى بعـض التـساؤلات في عقـد الأمـان لهـؤلاء الكفـار، مثـل: إن الحكومـات الـتي أعطـت الأمـان لهـؤلاء حكومـات غـير شرعية، فلذلك هؤلاء ليسوا مستأمنين؛ فيجوز الاعتداء عليهم؟

والجــواب: أن عقــد الأمــان ينعقــد بمــا يعتــبره المــستأمن أمانــاً، فحصول هذا الـشخص علـى تأشـيرة دخـول هـو أمـان بالنـسبة لـه، وهـو لا يعلم أن هناك من لا يعتبر هذا أمناً.

وهنــاك مــن يقــول: إن هــؤلاء الــسياح وغيرهــم هــم جواســيس، ويرتكبون الموبقات والمحرمات علناً؛ مما ينتقض أمانهم، ويحق قتلهم؟

والجـواب: أن المـستأمن إذا كـان هنـاك مـانع مـن أمانـه؛ فـإن أمانـه يرد، ولا يتعرض له بأذى، ويعاد إلى بلده.

وإذا غـدر المـستأمن؛ فإنـه يعاقـب بالعقوبـة المناسـبة، ولكـن لـيس كل ما عمله يبح دمه.

والذي يتولى ذلك هو الدولة؛ وليس الأفراد.

وحتـى إذا قـصرت الدولـة، فـإن في محاولـة الأفـراد إقامتهـا أضـراراً بالغة في هذا الزمان.

إذا وافقنا أن بين هؤلاء السياح وغيرهم جواسيس؛ فهل هذا يبح دماء كل السياح والتجار؟!

والذي دفع الجماعة للإطالة في قضية الكفار، وعقد الأمان؛ هو: الآثار البالغة السوء التي حصلت خلال الاعتداء عليهم وأهمها:

١- تشويه صورة الإسلام والمسلمين لدى غير المسلمين.

٢- أن المسلمين هم الذين يتجرعون ويلات هذه الأعمال في كل مكان.

أما الفصل الخامس؛ فكان موضوعه: التفجيرات، والقول الفصل في قضية التترس بالمسلمين:

أورد المؤلفون أحاديث عدة عن حرمة قتل المسلم وإراقة دمه، ومن ذلك: قوله ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق**»؛ **ولذلك نبه المؤلفون على قضيه هامة هي: أن الشيطان له تلبيس على كل صنف من المسلمين، فكما أنه يلبس على العباد بالعجب، وعلى العلماء بالغرور، فإنه يلبس على من يريدون الجهاد بإباحة دماء بعض المسلمين -والله المستعان!-.**

ولذلك؛ على كل من رغب بالجهاد أن يعمل بالقاعدة الذهبية «الأصل في دماء المسلمين الحرمة»، ولا تزول هذه الحرمة بالشك، فإذا لم نعمل بهذه القاعدة الفقهية العظيمة؛ نخشى أن تتحول هذه التفجيرات إلى نكال بالمسلمين.

وقد سالت دماء كثيرة مسلمة هذه الأيام استناداً لفتوى الترس، ولكن دون أن يدققوا في شروط العلماء فيها، ولذلك كان

لا بد من بيان حقيقة فتوى التترس، وشروط العلماء فيها:

ظهرت فتوى التترس في واقع المسلمين بقوة لما احتل التتار بلاد المسلمين، وكانوا يأسرون المسلمين، ويضعونهم في مقدمة الجيش عند قتال المسلمين؛ حتى لا يقاتل المسلمون التتار.

فأفتى العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية بإباحة قتل هؤلاء المسلمين؛ بشروط ذكرها العلماء من قبل؛ كالقرطبي، وابن قدامة، وغيرهم.

ولما قامت بعض الحركات الإسلامية بعمليات تستهدف الأجانب يقتل فيها غيرهم من المسلمين؛ تبنوا فتوى التترس بالمسلمين، وهذا قياس غير صحيح، وذلك أن العلماء وضعوا شروط لإباحة قتل المسلم الذي يتترس به الكفار، وهي:

١- أن يكون هناك جيشان متحاربان.

٢- أن يكون الترس (وهو المسلم الأسير) من المسلمين الذين أسرهم الكفار.

٣- أن تتحقق المصلحة، وتندفع المفسدة برمي الكفار؛ وفيهم الترس.

٤- أن لا يكون هناك سبيل للأمن من جيش الكفار؛ إلا بقتل الترس المسلم.

٥- أن تكون المصلحة في قتل الترس المسلم ضرورية وكلية قطعية.

وجاء الفصل السادس والأخير بعنوان: الآثار السلبية

للتفجيرات على بلادنا:

يرى المؤلفون -وهم قادة الجماعة الإسلامية- أن تفجيرات الرياض جاءت بعد عدة مواقف سياسية للدولة السعودية تصب في مصالح المسلمين، مثل: موقفها من غزو أمريكا للعراق، أو تغير نظام صدام بالقوة، وتشددها في رفض التطبيع مع إسرائيل.

وجاءت تفجيرات الرياض لتحدث آثاراً سيئة عدة على السعودية، وغيرها؛ وهي:

١) الطلب الأمريكي بالتدخل الأمني في السعودية لمحاربة التطرف والإرهاب.

٢) تأكيد عدد من المسؤولين الأمريكان على إلغاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣) زيادة الضغط الأمريكي في اتجاه التطبيع مع إسرائيل.

٤) الضغط باتجاه وقف تأييد ودعم الانتفاضة الفلسطينية.

٥) فصل ألف وسبعمائة خطيب.

٦) هجوم إعلامي شرس على السعودية، وعلى تمسكها بالإسلام، ومطالبتها بالتغير.

٧) سعي أمريكا لتحجيم المؤسسات الخيرية السعودية على المستوى المحلي، أو العربي، والدولي.

٨) مهاجمة جمعيات حقوق الإنسان السعودية لتطبيقها الحدود الشرعية.

٩) الطلب الأمريكي بتغيير المناهج الدراسية.

ويختم قادة الجماعة الإسلامية كتابهم هذا بقولهم: اليوم وجدنا لزاماً علينا أن نوجه النصح لكل الشباب المسلم؛ حفاظاً على هذا الدين العظيم، وحماية الأمة المنكوبة.

نحن نعلم جرائم أمريكا في حق المسلمين؛ لكننا نقول: إن محاربة قريشاً للمسلمين لم يمنع من نزول القرآن بالنصح والتوجيه؛ ولذلك نكرر ونكرر لا ينبغي علينا أن نتخذ من جرائم أمريكا مبرراً لأعمال من شأنها إضعاف أمتنا، وإعطاء أمريكا الحق للتدخل في شؤوننا الداخلية.

قد يكون بعض البسطاء من المسلمين قد سعدوا بما حدث في بالي، والرياض، والدار البيضاء... ولكن كل العقلاء وجموا؛ لأنهم يعرفون العواقب الوخيمة التي سوف تجرها هذه الأعمال، فلنحسب خطواتنا، ولنزن أعمالنا بميزان الشرع، ونعمل على توحيد وتمتين جبهتنا الداخلية.

حتى نستثمر «مراجعات الجهاد»

«الغد» (١/ ١٢/ ٢٠٠٧)

من السمات التي تميز بها هذا العصر: انتشار ثقافة العنف بين كثير من الشباب والحركات الإسلامية، وتحولها إلى منهج عملي يقوم على التكفير، والقتل، والتفجير.

وقد كانت بدايات هذه الثقافة في مصر فترة الستينات بواسطة أفكار سيد قطب، وحزب التحرير الإسلامي؛ حيث أن غالب قيادات جماعات العنف الإسلامية في مصر هم من المتأثرين بأفكار سيد قطب، وصالح سرية -قائد حادثة الكلية الفنية؛ الذي كان منتمياً لحزب التحرير-، ولا يزال فكر حزب التحرير لليوم أكبر محرض على ثقافة العنف في الوسط الإسلامي، وما تنظيم القاعدة وغيره سوى صدى لفكر حزب التحرير.

الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق كتب مطلع الثمانينات في كتابه «فصول في السياسة الشرعية» فصلاً عن ظهور ثقافة العنف في مصر سنة (١٩٦٥م)، بعنوان: (المفهوم الجديد للجهاد عند بعض الشباب المسلم)، نلخصه في: «**تكفير المجتمع أفراد وحكومات، المساجد مساجد ضرار، الخروج والجهاد هو الحل؛ والوسائل السلمية لا تجدي، جواز الخداع؛ لأننا في حرب، جواز الاغتيال، جواز قتل من**

تترس به الكفار، ليس للنساء والأطفال حرمة، الأموال والنساء مباحة، نحن في ديار حرب، لا يجوز العمل مع الحكومة، تقديم حرب المرتدين على الكفار الأصلين، فهم العلماء ليس حجة».

هذه ملامح ثقافة العنف؛ والتي لا تزال تجد قبولاً من كثير من الشباب؛ ليس في البلاد العربية والإسلامية فحسب؛ بل حتى في بلاد الغرب، ومن قبل شرائح شبابية متعلمة ومثقفة؛ بعكس الشرائح الشبابية السابقة غير المتعلمة -غالباً-.

علينا أن ندرس أسباب نشوء هذه الثقافة، وطريقة تكوينها؛ ليمكن مقاومتها وحصارها، وذلك أن هذه المشكلة لا تزال تعمل بنفس الآليات القديمة التي نشأت بها.

الدكتور كمال حبيب -وهو أحد القيادات السابقة لجماعة الجهاد المصرية- في كتابه «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص٨٠) **يشير لملاحظة منهجية مهمة حول غياب علم أصول الفقه وفقه السياسة الشرعية لدى قيادة جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، وأن هذا الجهل هو سبب رئيسي في تكوين البنية الفكرية لهم بهذه الطريقة العنيفة والمتطرفة.**

ولا يزال هذا الخلل المنهجي -وهو الجهل بعلم أصول الفقه والسياسة الشرعية- هو سبب انحراف كثير من الشباب وراء ثقافة العنف، كما أن فهم وتعلم أصول الفقه وفقه السياسة الشرعية هو وراء تصحيح المسار؛ كما حاصل في مراجعات الجماعة الإسلامية، وحاليّاً جماعة الجهاد، وتجربة الحوار في السجون؛ كما في اليمن، والسعودية.

إن المشكلة الحقيقية أن هذا الخلل المنهجي لم يكن خافياً على أهل العلم والدعوة، المشكلة الحقيقية أن الجهات الرسمية ذات العلاقة لم تستوعب للآن حقيقة المشكلة، ولذلك تبنت الحل الأمني الذي نجح مرحليّاً وجزئيّاً، لكنه أفرز فيما بعد تجذر للمشكلة بصورة أكبر وأعمق، وعلى مستوى عالمي بعد أن كان ذا طابع محلي.

ولعل من أهم أسباب دوام انتشار هذه الثقافة لليوم في أوساط الشباب المسلم:

١- زيادة بؤس الواقع السياسي للأمة على الصعيد الداخلي والخارجي.

٢- الاقتصار على المعالجة الأمنية، وغياب العلاج الفكري للعنف.

٣- حصر الاهتمام بالتعامل مع المتورطين بالعنف، وعدم العناية الكافية بالوقاية للمجتمع والشباب من ثقافة العنف.

٤- عدم اطلاع الشباب -القابل لثقافة العنف- على خبرة وتجربة من سبقه في هذا الطريق.

٥- تأزم العلاقة بين حركات الإسلام السياسي والسلطات، مما يفسر لدى حركات العنف بفشل المنهج السلمي، وصواب خيار العنف.

واليوم ونحن نعيش إعلان حركة الجهاد لمراجعاتها؛ يجب علينا أن نوسع دائرة الاستفادة منها؛ عبر إيصال الخبرة والتجربة التي تحتويها لمن يحتاجها فعلاً من الشباب، بدل أن تضل حبيسة النقاشات

النخبوية المغلقة؛ سواء بالقبول أو التحفظ أو الرفض.

يجب أن نكافح الدعاية الرمادية التي تسري تحت السطح وتروج لهذه الثقافة؛ عبر نشطاء حزب التحرير، وأنصار القاعدة؛ عبر صياغة خطاب شرعي مقنع وعقلاني، يستفيد من تجربة الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، ويكون موجه للشباب؛ وليس للنخب.

ويمكن اقتراح بعض الأفكار العملية التي تصب في ذلك:

- طباعة كتب المراجعات بطبعات شعبية.
- استضافة رموز المراجعات عبر وسائل الإعلام الشعبية.
- نشر خلاصات ومقالات تفكك ثقافة العنف بأسلوب سلس وجذاب في المنتديات الحوارية على شبكة الإنترنت.
- عمل لقاءات للخطباء والوعاظ ومدرسي الشريعة في المدارس والجامعات مع أهل العلم ورموز هذه المراجعات.
- تكثيف الاهتمام بعلم أصول الفقه وفقه السياسة الشرعية، وتحويلها لثقافة شعبية تحصن المجتمع من دعاوى العنف والتطرف.

باختصار يجب الانتباه أن ثقافة العنف لا تزال تجتذب الكثير من الشباب لدوامتها؛ بسبب الجهل من جهة، وغياب برامج التوعية الشرعية المقنعة.

نعم هناك العديد من الجهود والأبحاث والكتب والبرامج التي تحارب التطرف؛ لكنها -للأسف- لا تقرأ إلا من أشخاص هم -غالباً- مقتنعون بحرب التطرف، وذلك بسبب الخطاب المباشر

السطحي وغير المقنع، أو شخصية المؤلف غير المقبولة من الشريحة المستهدفة.

ولذلك لا بد من تقديم خطاب جديد، من شخصيات ذات مصداقية، تستهدف شريحة الشباب الذين لم يتورطوا بعد في دوامة ثقافة العنف، مما يساعد على حصر هذه الثقافة، ومنع امتدادها لقطاعات شبابية جديدة؛ لتنحصر دائرة المكافحة لهذا الفكر في دوائر محددة.

الباب الثالث

الحركات الإسلامية

إدارة الخلاف في العمل الإسلامي

«الغد» (٢١/ ٣/ ٢٠٠٩)

يعد الخلاف في ساحة العمل الإسلامي اليوم من أكثر الأسباب وراء فشل كثير من الأعمال المهمة والكبيرة، أو ضعف النتائج والمخرجات للمؤسسات أو المناشط العامة، أو ابتعاد كثير من الطاقات الحيوية عن ساحة العمل؛ لعدم رغبتهم أو قدرتهم على تحمل أعباء الخلاف والبقاء في دوامته المقيتة.

والخلاف المقصود بهذا المقال هو: الخلاف حول الأساليب والمناهج في حل المشكلات، أو إدارة الأعمال، ووسائل تحقيق الأهداف، وما شابه ذلك من القضايا الاجتهادية؛ والتي تتنوع فيها الأفهام والمدارك، وتختلف فيها ترتيب الولويات وتقدير المصالح والمفاسد، أما خلاف المخالفين للمنهج الإسلامي نفسه أو الإسلاميين من منطلق عقدي/ فكري مغاير للإسلام، أو الخلاف العقدي بين المدارس أو الفرق الإسلامية؛ فليس هو المقصود بهذا المقال.

إن بقاء الوضع الحالي في التعامل مع الخلاف سيبقي حالة التشرذم والتناحر والتصادم والتعارض في ساحة العمل الإسلامي قائمة، مما يعرقل كثير من الأعمال المجمع -على صحتها- بين مختلف

الفرقاء، كما أنه يمنع المخلصين من كافة الأطراف من التعاون على الخير المتفق عليه، ويكون سبباً في خروج أو إخراج بعض الكفاءات والطاقات المميزة من صفوف أي جماعة أو حزب أو تيار.

لقد اهتم العديد من العلماء والدعاة والمفكرين بقضية الخلاف وعلاجها، ومن آخر ما أطلعت عليه مجلد (أوراق مؤتمر العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق)؛ والذي عقد بالسودان سنة (٢٠٠٤م).

ولعل من أبرز الحلول العملية التي قدمت في هذا المؤتمر هو ما جاء في ورقة أ.د. جعفر شيخ إدريس؛ حيث قدم اقتراح بأن تكون اجتماعات نقاش وبحث القضايا الاجتهادية معلن، وكذلك التصويت ونتائجه، لأنه في العادة يعلن ويتبنى رأي الأغالبية في كل جماعة أو حزب، ويتم تجاهل ووأد رأي أو آراء الأقلية، حيث يرى شيخ إدريس أن من شأن ذلك أن لا يجعل الخلاف جماعي بين أحزاب وحركات، بل يصبح خلاف فردي؛ لأن الآراء التي لم تحض بالأغلبية تكون -أحياناً- مشتركة بين الأحزاب والجماعات، وإعلان هذه الآراء ونسبة التصويت يعلن أن هناك تقاطعات وتوافقات بين هذه المجموعات، وأن الرأي الغالب قد لايكون محل إجماع، بل هو بأغلبية بسيطة، مما ينتج عنه أريحية، وعدم تعصب بين الأفراد في تبني قول حزبهم أو جماعتهم، كما أنه يرسل رسائل للأطراف الأخرى أن رأيكم له قبول بين أوساط الجهة المقابلة، مما يولد قناعات بقرب المسافات والمواقف.

أما إذا بقي الحال على ما هو عليه من إعلان القيادة أو

المرجعية للقول المختار دون بيان حجته ودليله، ومن وافق عليه، ومن خالف؛ فقد ينتج عن ذلك -أحياناً- نزاع داخلي ينتهي بالانشقاق أو الفصل لبعض المخالفين لرأي القيادة والمرجعية، وينتج عنه -أيضاً- رفض كامل لرأي وطرح الجهة المقابلة، وعدم وجود مساحة مشتركة.

وهذا الإعلان لجلسات الحوار والنقاش يمتد للسماح بعرض وجهات النظر المختلفة عبر وسائل الإعلام التابعة للجماعة أو الحركة من أفرادها ومن غيرهم، مما يساعد على بناء بيئة حرة تستطيع التعبير عن نفسها ومناقشة قضاياها بصراحة؛ مما يقربها للوصول للحق.

واعتقد أن ما طرحه د. شيخ إدريس يشبه ما يوجد في تراثنا الفقهي من تعدد الأقوال في المذهب الواحد تجاه مسألة محددة، مما أثرى الفقه الإسلامي، ومنحه القدرة على مواجهة المستجدات، وتصويب نفسه، والاستفادة من آراء ومناهج المذاهب الفقهية الأخرى.

ويعتقد شيخ إدريس أن تقليد الإلتزام برأي الأغلبية السائد في الساحة الإسلامية تسرب إليهم من تقليد مبدأ الديمقراطية المركزية لدى الأحزاب الشيوعية، أي: الديمقراطية وتعدد الأراء محصور على أعضاء لجنة القيادة؛ ما داموا في اجتماع النقاش، فإذا اتخذوا قراراً وجب الإلتزام به، والدفاع عنه؛ ولو كان معارضاً له!!

بينما نحن المسلمون غير ملزمين إلا بما هو منصوص عليه في القرآن والسنة والإجماع، أما في مسائل الاجتهاد فنحن غير ملزمين باعتقاد قول محدد، وإن كان الموقف العملي يقتضى الإلتزام برأي

محدد يكون عادة رأي الحاكم/ الجماعة؛ مع إمكانية نقاشه.

وهـذا مـا فهمـه أصـحاب النبـي ﷺ؛ كمـا في أثـر عبـد الله بـن مسعود مع أمير المؤمنين عثمـان بـن عفـان، فحـين كـان عثمـان يـصلي في النـاس بمنـى أربعـاً، والـسنة أن يُـصلي قـصراً، كـان ابـن مـسعود رضي الله عنه يقول: «سنة المصطفى ﷺ أن يـصلي ركعـتين لا غـير»، فلمـا قيـل لـه: يـا عبد الله بن مسعود! تقول هـذا وأنـت تـصلي مـع عثمـان بـن عفـان أربـع ركعـات! لمـاذا؟! قـال: «يـا هـذا! الخـلاف شـر! الخـلاف شـر! الخـلاف شر!». رواه أبو داود بإسناد قوي.

فقد كان ابـن مـسعود علـى الـصعيد العملـي يلتـزم بـرأي الحـاكم - حيـث كـان عثمـان يعتـبر نفـسه مقـيم في مكـة؛ ولـيس مـسافراً حتـى يقـصر-، وإن كـان علـى الـصعيد الاعتقـادي أو الفكـري يقـول بخلافـه، وهذا كان سبب لأن يغير الحاكم بعد عثمان تصرفه ويعود للقصر.

فلعـل هـذا الإقـتراح بعلنيـة الحـوارات والنقاشـات والتـصويت علـى القـرارات أن يلقـى اهتمـام ونقـاش يتبلـور عنـده حـل أو آليـة سـليمة لإدارة الخـلاف؛ دون خـسائر أو مـشاكل في سـاحة العمـل الإسلامي.

حول السياسة الشرعية

«الغد» (١/٨/٢٠٠٨)

دار جدل ونقاش في الأسبوع الماضي حول نموذج من نماذج السياسة الشرعية؛ وذلك في مؤتمر «كوسوفا والعرب»؛ والذي دعا له مركز القدس للدراسات السياسية بعمان.

تركز الجدل حول ما قام به الرئيس الكوسوفي السابق إبراهيم روغوفا من تقديم الخيار السياسي والدبلوماسي على الخيار العسكري؛ خلافاً للزعيم البوسنوي علي عزت بيغو فيتش.

ومعلوم أن كوسوفا قد حصلت على الاستقلال مؤخراً، وبدعم من أمريكا وأوروبا، بعد عشرة أعوام من المفاوضات الشاقة مع الصرب المدعومين من روسيا، وقد اعترفت بها مجموعة من دول العالم؛ ليس فيها دولة عربية واحدة!

من النقاط التي دار حولها الجدل: هل يجوز شكر أمريكا على دعمها وموقفها في كوسوفا؛ الذي أنقذ أرواح وممتلكات المسلمين من الإبادة والفناء؟ أم أن هذه الحسنة هي لغايات سيئة خفية؛ كما يزعم البعض!

هل يمكن الاستفادة من هذا النموذج في أماكن أخرى من العالم الإسلامي؟ هل هذا الخيار هو الخيار الصحيح؟ أم كان لا بد من

خيار الجهاد والقتال؛ ولو قتل آلاف المسلمين، وجردت دمائهم أنهاراً في مذابح الإبادة الوحشية؛ كما حدث في البوسنة؟

هذا الجدل حول ما جرى في كوسوفا يعيدنا إلى قضية في غاية الأهمية، وهي «السياسة الشرعية» الواجب اتباعها في القضايا العامة، وغالب الخلاف والاختلاف بين العاملين في حقل العمل الإسلامي الرسمي والشعبي يدور حول ما هي السياسة الشرعية الصحيحة في هذا الموقف؟

عرّف العلامة ابن عقيل السياسة الشرعية بأنها: «ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ، ولا نزل به وحي» وهو معنى عام وواسع، يدل على أن السياسة الشرعية تشمل المجالات التي ورد بها النص، والتي لم يرد بها نص مطلقاً.

أما د. عبد الوهاب خلاف؛ فيعرف السياسة الشرعية بلغة عصرية بقوله:«تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح. ودفع المضار، مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين»، ولذلك ينبه الإمام ابن القيم من خطورة التسرع في التصدي لهذا الشأن الخطير؛ فيقول: «وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرءوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة إلى غيرها، وسدوا على نفوسهم طرقًا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له وعطلوها، وأفرطت فيه طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة، فسوغت من ذلك ما ينافي حكم الله ورسوله، وكلتا الطائفتين

أتيت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه».

وخطورة قضية «السياسة الشرعية» تنبع من أن الخطأ فيها يصعب تعويضه والاعتذار عنه؛ لأنه قد تزهق بسببه أرواح بريئة، وقد تتلف بسببه أموال معصومة، وترويع للمجتمع، سوى ما يترتب عليه من الإثم الشرعي إذا كان صادراً عن غير مؤهل أصلاً للاجتهاد في باب «السياسة الشرعية».

ومن أبرز الأمثلة اليوم على مركزية قضية «السياسة الشرعية» في تصحيح مسار العمل الإسلامي: ما نشهده اليوم مما يعرف «بالمراجعات» للحركات الجهادية، والتي بدأتها الجماعة الإسلامية ومن بعدها حركة الجهاد الإسلامي، وبعض الشخصيات المرموقة مثل: الشيخ سيد إمام، وهناك أخبار عن تراجعات قادمة لدى «الجماعة الإسلامية المقاتلة» بليبيا.

وقضية «السياسة الشرعية» الواجب اتباعها لا تزال محور نقاش وبحث لكثير من القضايا المعاصرة التي تواجهها أمتنا اليوم مثل: المشاركة في الحكومات التي يؤسسها الاحتلال؛ كما حدث في مشاركة الحزب الإسلامي العراقي، والشيخ عبد رب الرسول سياف في العراق وأفغانستان، وهما من المحسوبين على جماعة الإخوان المسلمين.

ومثل: قيام حكومة حزب العدالة والتنمية التركي بدور الوسيط أو العراب بين إسرائيل وسوريا!

أو السكوت عن مجزرة سجن صيدانيا بحق المسلمين؛ بحجة حساسية وضع حركة حماس بسوريا!

أو ما هو الموقف الصحيح من أمريكا؛ هل هو العداء المطلق أم الولاء المطلق؟ أم التقاطع بحسب المصلحة؟

هل يجوز السكوت والتغاضي عن الوقائع الثابتة على الأرض من قتل وإبادة وطائفية؛ بحجة عدم توهين صف «الممانعة»؛ رغم استعداد «الممانعة» لعقد صفقة مع «الشيطان الأكبر» إذا دفع ثمن مقبول من كرامتنا وحريتنا!!

من اللافت للنظر هو إزدواجية النظرة تجاه كثير من قضايا «السياسة الشرعية» لدى كثير من العاملين في حقل العمل الإسلامي، فهي جريمة إذا كان من يقوم بها طرف أو جهة ليست من حزبنا أو فكرنا، وهي مستورة ومعفو عنها إذا كانت من جماعتنا!

«السياسة الشرعية» قضية كبرى لا يزال يمارسها كثير من غير المؤهلين لها، مما يرتب على أمتنا نتائج وتكاليف باهظة الثمن، ولا يجوز بقاء كثير من «السياسات الشرعية» بيد شباب متحمس أو قيادات «تكنوقراط إسلامية»، أو موظفين رسميين، بل لا بد أن تصدر «السياسات الشرعية» عن هيئة موثوقة في دينها وعلمها بالشرع والواقع، ولا تقتصر على فئة دون أخرى؛ سواء من الحركات الإسلامية أو الجهات الرسمية.

كما أن تداعي المؤسسات الإسلامية المختصة؛ كدوائر الإفتاء، وكليات الشريعة، والجمعيات الإسلامية لعقد مؤتمرات وندوات حول «السياسة الشرعية» للوصول إلى قواعد تضبط وتقنن للمسلمين اجتهاداتهم ومواقفهم حتى لا نبقى ندور في دائرة مغلقة من التجارب القاصرة والخاسرة؛ أصبح من الضرورة بمكان.

أحداث رفح تؤكد حاجة الإسلاميين للتغيير!!

«الغد» (٢٨/ ٨/ ٢٠٠٩)

تعالت الأصوات، وتسارعت الأنفاس، وكثرت المقاطعات بين الضيوف في أمسية رمضانية؛ حين تناول الحديث أحداث رفح الأخيرة بين «جند الله» وحركة «حماس»، فأحدهم وكان متعاطفاً مع زعيم «جند الله» أبو النور صب غضبه على «حماس» وقادتها لقتلهم أبو النور، والمتعاطف مع «حماس» لم يصبر على هذه العبارات الشديدة بحق «حماس»؛ فترك الجلسة وهو يتمتم بكلمات غاضبة، وبقية الحاضرين كانوا يتوزعون بين سلفيين، ومستقلين، وبعض العامة.

وكعادة الحورات العربية في زمن «الاتجاه المعاكس»؛ فإنها لا تصل لنتيجة، ولا تفيد المستمع بفائدة؛ لأن الغرض منها -غالباً- هو الانتصار للنفس لا الوصول للحق، ولذلك أعتقد أن من أكبر أسباب بقائنا نراوح مكاننا هو تجذر كثير من السلبيات في أوساط الإسلاميين.

إن ما جرى في رفح لا يجب أن يكون مجرد حادثة حدثت، ثم تمضي الحياة على حالها، بل يجب أن تكون سبباً لوقفة جادة لدراستها واستخراج مدلولاتها، فحادثة رفح هي أول صدام إسلامي علني

مسلح، وفي بيت من بيوت الله ﷻ، في ظل وجود سلطة إسلامية في المشرق العربي.

فهل ما جرى هو نموذج ما ستكون عليهم الأحوال مستقبلاً؟ وهل هذا هو الذي سعى الإسلاميون للوصول إليه طوال العقود الماضية؟

لو حاولنا دراسة سلوك أطراف النزاع والقوى الإسلامية الأساسية في المشرق -بشكل أخص- تجاه ما حدث؛ فإنه يمكن تلخيصها بالعناوين التالية:

١- «جند الله»، ومعها تنظيم القاعدة، وأنصارها:

■ رغم مرور (٣٠) سنة على محاولة جهيمان الاستيلاء على الحرم استناداً على المنامات -وهذه مخالفة أساسية للمنهج السلفي-؛ إلا أن المنامات لا تزال تلعب دوراً في سلوك ومواقف هذه المجموعات، فأبو النور أعلن عن مجموعة منامات رآها تجاه حماس، ومن قبل ذكر تنظيم القاعدة في محاولة تبرير شرعية ضربة (١١ سبتمبر) أن البعض رأى مناماً لتلك الضربة!

■ لا تزال هذه المجموعات المحدودة تحاول خطف القيادة، وإجبار كافة الأمة أن تسير خلفهم؛ دون استئذانها أو حيازة ثقتها.

■ ولعل أبو محمد المقدسي خير من وضح السلبيات المستمرة لهذا التيار؛ حين كتب رسالته «مناصرة ومناصحة» من سطحية التخطيط والتنظيم لديهم، والتورط في وسائل وأساليب غير شرعية، وغياب الأولويات، وغيرها.

وقـد سـبق للـدكتور كمـال حبيـب -أحـد القيـادات الـسابقة للجهاد في مـصر- أن ركـز علـى الـضعف العلمـي بعامـة، وأصـول الفقـه خاصة لدى هذا التيار.

■ ردّاً علـى مـا حـدث تم تكفـير حمـاس وقادتهـا، ووصـمهم بـالردة والعمالة.

٢- حركة حماس، وجماعة الإخوان المسلمين:

■ لا ينكـر الـدور المحـوري والهـام الـذي قامـت بـه فـروع جماعـة الإخـوان مـن نـشر الـصحوة الإسـلامية، وإنـشاء المؤسـسات المتنوعـة لخدمـة هـذا الـدور، إلا أن دخـولهم في صـعيد العمـل الـسياسي لم يلـقَ النجاح بالمقارنة مع دورهم الدعوي.

■ لا تـزال جماعـة الإخـوان رغـم مـسيرتها الطويلـة الممتـدة لأكثـر مـن (٨٠) سـنة لا تهـتم بالتجـانس الفكـري بـين أفرادهـا، ولا في الأوسـاط الدعويـة؛ ممـا يـساعد علـى نـشوء محـاور في داخلـها أو ظلـها لأفكـار منحرفـة؛ حتـى تـصبح أورامـاً مزعجـة لا تقلـع إلا بكلفـة باهظـة الثمن.

■ للأسـف تميـز الـسلوك الحركـي لجماعـة الإخـوان علـى الـصعيد الـسياسي وبعـض الـدعوي بتجـاوز الآداب الـشرعية في كـثير مـن المواقـع والفعاليـات (انتخابـات المجـالس الطلابيـة، والنقابيـة، والبلديـة، والبرلمانيـة، وغيرهـا) تحـت تبريـرات متعـددة، مثـل: مـصلحة الـدعوة والتنظيم، وجماعة المسلمين.

ولعـل كتـاب د.سـيد عبـد الـستار المليجـي «الإخـوان المـسلمون

رهائن التنظيم السري» يوضح بعض هذه الممارسات تجاه الإخوان؛ فضلاً عن غيرهم.

■ تساهل الإخوان باستخدام العنف بدل ضبط النفس وتنويع الخيارات؛ وخاصة مع منافسيهم من الإسلاميين، وما حدث في رفح خير شاهد (مهاجمة المسجد، ضرب سماعات المسجد بالرصاص، إصابة بعض المجاورين للمسجد).

■ مما يؤخذ على الإخوان: مراعاتهم للعلمانيين في تصريحاتهم السياسية والصحفية، والقصور -أحياناً- في مراعاة الأحكام الشرعية في هذه التصريحات، مما جعل لتيار القاعدة مبرراً لتكفير جماعة الإخوان؛ كما في كتاب «الرد الأمثل على مفتي حماس» للمقدسي.

٣- السلفيون:

■ السلفيون الحركيون -على تنوع بلدانهم- كانوا أقرب لقبول رواية حماس لأحداث رفح؛ دون نقد أو اعتراض على طريقة حماس في معالجة الحدث.

ولعل ذلك يعود إلى دعوى حماس أنها سلفية المنهج، ولرغبة هذا التيار برؤية نصر للمسلمين يكون لهم نصيب فيه، وهذا الموقف عاطفي أكثر من كونه علميّاً أو عقلانيّاً.

■ السلفيون العلميون اتسم موقفهم بالسلبية عبر إطلاق نصائح عامة وفضفاضة؛ كما في بيان المجلس العلمي السلفي في فلسطين، وانتقاد نسبة «جند الله» للسلفية دون التطرق للحدث نفسه، ومعالجته ووضع حماس الآن.

وبعـد فهـذه جملـة لـبعض الـسلوكيات المرفوضـة شـرعاً وعقـلاً، وهـي تعرقـل الجهـود الـصحيحة والـسليمة، وتـدخل المـسيرة الإسـلامية في دوامـة النـزاع والخـلاف، وللأسـف أن هـذه الـسلوكيات ليـست شـيء عارض، بل أصبحت عادات راسخة!!

علـى الإسـلاميين أن يكونـوا النمـوذج في تغـيير سـلبياتهم للشعوب والقـوى غـير الإسـلامية والحكومـات، وبهـذا يمكـن لهـم تقـديم نموذج مشرق يحتذي به الآخرون.

إن التعـصب والانغـلاق والتهـور والـسطحية والـسلبية وعـدم التعـاون وسـوء التخطـيط آفـات يجـب الـتخلص منهـا، كمـا يجـب علـى الإسلاميين اليـوم تقـديم نمـاذجهم المـشرقة في مواقـع المـسؤولية الـتي تنـاط بهم.

لا نريـد أن نبقـى نفتخـر بروائـع الماضـي، بـل نريـد أن نـرى ونحـس هذه الروائع في دنيا الواقع الذي نعيش.

العلامة عمر الأشقر ومسيرته في الدعوة إلى الله

«الغد» (٤/ ٩/ ٢٠٠٩)

ذهل الحضور من شيوخ ودكاترة بدخول فتاة غير محجبة وهي تحمل وردة؛ وتقدمها للشيخ عمر الأشقر في مكتبه بكلية الشريعة!! وقد تبين لهم أن هذه الفتاة قطفت هذه الوردة من حديقة الكلية؛ لتعبر بها عن شكرها وتقديرها لإنصاف وعدل الشيخ الأشقر؛ حين أعطاها ما تستحقه من درجة مرتفعة في مساق مادة الثقافة الإسلامية؛ بغض النظر عن مدى التزامها بالحجاب الشرعي.

لعل هذه الحادثة تكشف عن منهجية الشيخ في دعوته إلى الله ﷻ، والتي تقوم على ركني: العلم، والرفق، وهذا يعلمه كل المحيطين بالشيخ أو المتابعين لكتبه ونشاطه، وقد فصل الشيخ جوانب من هذه المنهجية في كتابه الذي صدر حديثاً عن دار النفائس بعنوان: «صفحات من حياتي».

أنا من الجيل الذي تربى على كتب الشيخ عمر الأشقر؛ والتي كانت محل قبول في حلقات السلفيين والإخوان المسلمين على حد سواء -ولا تزال-، ولا زلت أذكر صلاة الجمعة خلفه في منطقة السرّة وحولي في الكويت، قبل ٢٥ سنة؛ حين كان يصحبني والدي معه، وفي عمان أتيح لي أن أزوره في منزله أكثر من مرة، ودوماً نخرج

بفوائد عزيزة.

ولد العلامة عمر الأشقر سنة (١٩٤٠م) في قرية برقة قضاء نابلس، وبقي في فلسطين حتى عام (١٩٥٣م)؛ حيث رحل إلى مدينة الرياض بالسعودية، فأكمل تعليمه المدرسي، ومن ثم دخل كلية الشريعة بالرياض، وتخرج منها في سنة (١٩٦٤م)، وأثناء دراسته في كلية الشريعة بالرياض اختاره الشيخ ابن باز أميناً لمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فأكمل دراسته انتساباً، ما أتاح له الالتقاء بكبار العلماء والدعاة هناك؛ وخاصة العلامة ابن باز، والعلامة الألباني، والعلامة الشنقيطي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وكانت بداية مسيرته الدعوية في المدينة المنورة، بعدها رحل من السعودية على إثر فتنة قام بها بعض المتعجلين لإنكار المنكرات باليد، فرجع إلى فلسطين.

ومن ثم سافر إلى الكويت في سنة (١٩٦٥م)، وبقي فيها حتى حادثة احتلال العراق للكويت سنة (١٩٩٠م)؛ حيث عمل في سلك التعليم بكافة مراحله من الابتدائية إلى الجامعة، وفي سنة (١٩٧٤م) حصل على الماجستير، وفي سنة (١٩٨٠) حصل على الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر، وقد كانت هذه المرحلة مليئة بالنشاط الدعوي على أكثر من صعيد.

بعد احتلال الكويت استقر الأشقر في عمان؛ حيث كان عضواً في مجلس الإفتاء الأردني، خلال الفترة (١٩٩٠-٢٠٠١م)، وعمل في الجامعة الأردنية مدة (١٠) سنوات من (١٩٩٢م إلى ٢٠٠٢م)، وبعد ذلك درّس سنتين في جامعة الزرقاء الأهلية، ليتفرغ للكتابة والتأليف في نهاية سنة (٢٠٠٥م).

والمطالع لكتاب «صفحات من حياتي» يجد الكثير من المعلومات الجديدة والمفيدة عن جوانب مهمة في تاريخ الدعوة والصحوة الإسلامية في السعودية والكويت على وجه التحديد، في فترة الستينيات والسبعينيات، والقليل من الناس من يعرف أبعاد الدور الذي قام به د. عمر الأشقر والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في الكويت وخارجها، ورغم أن الشيخ الأشقر لا يسهب في التفاصيل؛ إلا أن ما كتبه عن تلك المرحلة لعله لم يدون من قبل، مما يجعل من المهم جداً موافقة الشيخ على مزيد من البوح والإفصاح عمّا جرى والدروس والخبرات التي يجب أن تنتقل للأجيال القادمة.

ومما يلفت النظر في كتاب الأشقر عمق العلاقة الوطيدة بينه وبين الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق؛ حتى من كثرة ذكره للحوادث المشتركة بينهما، والرسائل الشخصية تذكرت علاقة العلامة رشيد رضا بالأمير شكيب أرسلان، والتي عبرعنها أرسلان بكتابه «السيد رشيد رضا، أو إخاء أربعين سنة»؛ حيث يخبرنا الأشقر أنهما تعارفا في المدينة المنورة سنة (١٩٦٢م)، وكانت لهما نشاطات دعوية في المدينة النبوية ومكة وجدة بمشاركة -أحياناً- من الشيخ ابن باز والألباني، ومن ثم إلى خارج السعودية؛ فسافروا إلى السودان برفقة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا المصري، وكان لهم صِلات بانصار السنة المحمدية هناك، وحثهم على العمل الجماعي والمؤسسي.

التقى الشيخان الأشقر وعبد الخالق من جديد في الكويت في سنة (١٩٦٥م)، وبدآ مسيرة الدعوة في الكويت؛ حتى أصبحت ركناً أساسيّاً في المجتمع الكويتي.

من الفوائد المهمة في كتاب الشيخ عمر هو: تقديم جوانب من شخصية الشيخين ابن باز والألباني في فترة شبابهما، واجتماعهما معاً؛ من حيث الاحترام، والحب المتبادل، والتعاون، والتمايز بين شخصيتهما، وطريقتهما العلمية، مما يحتاجه كثير من الشباب اليوم.

عرض الأشقر في كتابه لما ألفه من كتب ورسائل وأبحاث وتقارير، وأورد بعض الفتاوى التي أصدرها، وبعض الرسائل الشخصية بينه وبين بعض الأعلام أو الطلبة، وقد كان اختياره لهذه الفتاوى والرسائل يحمل الكثير من الدلالات والإشارات التي تناولت قضايا علمية وحركية وسياسية يدور حولها الجدل دوماً.

إن من السلبيات التي تعانيها مسيرة الدعوة الإسلامية - وخاصة السلفية اليوم-: ضعف الصلة بروادها وتجاربهم الدعوية من العلماء والمفكرين؛ سيما في القرن المنصرم، وبداية هذا القرن؛ مما يجعل الكثير منهم يقع في أخطاء وزلات كان بالإمكان تجاوزها بمطالعة تجارب السابقين، أو تحقيق إنجازات مهمة لو وجدت من يكمل الطريق، فكثير من قضايا واقعنا المعاصر هي تكرار لما سبق أو قريباً منه.

فمثلاً قضية التعامل مع المحتل؛ للأسف لم تجد من يستفيد ويراكم عليها من تجربة العلامة صديق حسن خان -زوج ملكة بهوبال في الهند-؛ والذي قام بشؤون مملكته تحت حكم الإنجليز لأكثر من (١٠) سنوات! أو تجربة العلامة عبد الحميد بن باديس في التعاطي مع المحتل الفرنسي الذي كان يتوزع بين منهجين: منهج القمع والإبادة بحق الجزائريين، وآخر يبدي شيئاً من الليونة، فكان

ابن باديس يعالج الأمور بطرق شتى، ويستفيد من هذه الاختلافات بما يحقق مصلحة الجزائر والجزائريين المسلمين؛ كما رصد ذلك د.عبد الكريم أبو صفاف في كتابه القيم «حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس، وأبعادها الثقافية والإجتماعية والسياسية»، أو تقييم تجربة مشاركة الشيخ إحسان إلهي ظهير في البرلمان الباكستاني ممثلاً لجماعة أهل الحديث منذ السبيعنيات من القرن الماضي!!

إن للشيخ عمر الأشقر تجربة عريقة في الدعوة إلى الله ﷻ، وكتابه هذا يؤكد الحاجة لأن يقبل الشيخ دعوات بعض القنوات الفضائية له لتقديم خبرته الدعوية للأجيال القادمة؛ على غرار ما قدمه بعض الدعاة والمصلحين.

النقد العلني كضرورة شرعية

«الغد» (١٠/ ١٠/ ٢٠٠٨)

لقاءات العيد فرصة للقاء بالعديد من الأقرباء والأصدقاء الذين لم نرهم منذ مدة قد تطول بسبب الإيقاع السريع لمتطلبات الحياة العصرية، وكثرة الأشغال العاجلة غير الضرورية!!

في واحدة من هذه اللقاءات؛ حدثني أحد المعارف عن زيارته في العيد لأحد كتابنا المعروفين؛ والذي شغل مؤخراً موقع رفيع في إدارة إحدى الفضائيات العربية في المهجر، وأنه صدم من رأيه في سياسة حماس من بداية دخولها اللعبة السياسية، والمشاركة بالانتخابات والحكومة المشتركة، إلى الاستفراد بقيادة غزة، وأخيراً تصادمها العسكري مع بعض العائلات في غزة.

سبب الصدمة عند محدثي أن كاتبنا هذا يعد من أقوى المنافحين عن حماس، ولكن هذا الرأي لا يجهر به بدعوى اقتضاء المصلحة دعم حماس، وموضوع دعم حماس ومساندتها في الحق ليس موضع خلاف ولا جدال، وكون حماس حركة إسلامية تتشرف بالجهاد موقع تقدير واحترام لا نقاش فيه، لكن هل هذا يبرر عدم نقد ونصيحة أي جهة تقوم بنفس الدور إذا أخطأت؟ وهل يجوز تبرير الخطأ بين الجماهير بدعوى الخوف من استفادة الخصوم من هذا

النقد؟

من المسلمات في الشريعة الإسلامية: وجوب النصيحة لكل المسلمين؛ كما في حديث تميم بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**». رواه مسلم.

بيان الحق بعدل وإنصاف في خطأ أي جهة أو فرد هو نصيحة لهم ولعموم المسلمين، وهو -أيضاً- من باب مساعدة المظلوم؛ كما في قوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، قالوا: يا رسول الله! هذا ننصره مظلوماً؛ فكيف ننصره ظالماً؟! قال: «**تأخذ فوق يديه**». رواه البخاري.

والحب والتقدير هو منبع النصيحة ونصرة المظلوم، لأننا نريد لمن نحب مقاربة الكمال والتمام، ولذلك لا يعد التغاضي عن أخطاء الحبيب من زوج أو ولد وعدم نصيحته من تمام المحبة.

وقد نبه الكثير من العلماء والمفكرين على خطأ تمارسه كثير من الحركات الإسلامية في مسيرتها العملية، من تعظيم الرابطة الحزبية أو الدعوية أكثر من تعظيم الحق، مما يترتب عليه الاستمرار على الخطأ وتضخمه حتى يصبح هو الأصل!!

ونبهوا -أيضاً- على عدم صواب ضرورة النصيحة السرية دوماً، وأن النقد العلني المصحوب بالحب والأدب ضرورة شرعية وعقلية، ألم يعاتب الله ﷻ حبيبه المصطفى ﷺ في القرآن الكريم في آيات عدة مثل: قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس:١]، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٣]، كما عاتب الله ﷻ المؤمنين المجاهدين في معركة أحد في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، والنبي ﷺ ألم يعاتب سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه علناً، ويتبرأ من قتله خطأً لبعض المسلمين؟؟

الوقوع في الخطأ ليس عيباً، بل العيب في سكوت العقلاء عنه، وفي الإصرار عليه بعد العلم به.

إن مما يفتح للإسلام القلوب والعقول قبل الحدود والدول هو التطبيق الصحيح والصادق لقيم الإسلام، هذا التطبيق الذي لا يقتصر على الزمن الذهبي للإسلام؛ فنبقى نتغنى بمقولة عمر الفاروق «أصابت امرأة، وأخطأ عمر»، أو بحادثة أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح بإعادة جزية أهل حمص حين عجز عن حمايتهم، وغيرها من المواقف المشرفة في تاريخنا المجيد.

إن التطبيق الصحيح للإسلام بالثبات على الحق والرجوع عن الخطأ هو الانتصار الحقيقي الذي يريده الله منا.

إن المسيرة المباركة للحركات الإسلامية مليئة بالإنجازات المشرقة، والمواقف الرائدة، وإشاعة روح النقد العلني البناء والمؤدب، مما يساعد هذه الحركات على تحقيق المزيد من الإنجازات، فحين تشعر هذه الطاقات الداخلية والخارجية أن نصائحها موضع تقدير، وأن الخطأ يمكن تقويمه عبر الحوار والتناصح تنهض همم هذه الطاقات المبدعة والمتميزة لدعم مسيرة هذه الحركات الرائدة؛ من خلال تقديم النصائح الصادقة والمخلصة، والاقتراحات الإيجابية.

لكن حين تسد الطريق أمام تقبل النقد الهادف والنصيحة

البنـــاءة؛ تـــصبح الطريـــق معبـــدة للانـــشقاقات والانقـــسامات، وبـــدء الحـــروب الأهليـــة مـــن قبـــل الطاقـــات الداخليـــة؛ كمـــا هـــو مـــشاهد للأسـف!! أو الـدخول في متاهـة المهـاترات والاتهامـات الخارجيـة، بمـا يضيع الحق ولا يورث إلا العداوة من قبل الطاقات الخارجية.

الحضور الإسلامي حق محتم

«الغد» ٣٠/ ٩/ ٢٠١١

يحاول بعض الموتورين إطلاق التهم والشائعات حول الحضور الكبير للدعوة الإسلامية في البلاد المسلمة!! وهذا نابع من حقد وكره للإسلام أكثر من كونه خلافاً مع القائمين على الدعوة الإسلامية أو منتسبيها، وفي هذه الآونة لوحظ زيادة تكرار هذه الشبهات والمطاعن وتعدد المنابر التي تلوكها، وليس من تفسير لذلك سوى التفسير البسيط والبديهي الذي يتفق الجميع عليه وهو «الصراخ على قدر الألم»، فهؤلاء الحاقدون والموتورون ليس لهم من مبرر لهذا الهجوم الشرس على الدعوة الإسلامية وحملتها سوى ضخامة الألم الذي يقع عليهم بحضور حملة الدعوة الإسلامية الذين يرفعون قِيم الإيمان والعدل والحق والطهارة والصدق في الوقت الذي لا يقوم سوق المناوئين لهم إلا إذا سادت الوثنية القديمة والمتجددة وشاع الظلم والباطل وغابت الطهارة وعمت القذارة والنجاسة.

وبأدنى تأمل نجد أنه حين يتمدد سلطان هؤلاء الحاقدين على شؤون المجتمع تعود من جديد مظاهر الوثنية والشرك فتُستعاد رسوم الوثنية باسم الفولكلور والفنون الشعبية أو تحت غطاء التراث القديم فتنصب التماثيل وتعظم الآلهة الباطلة ويروج سوق الأصنام من

جديد وتصبح زينة للبيوت حتى لو صنعت في الصين!!

كما أن هؤلاء - باسم الثقافة والفنون - يقيمون من الفعاليات ما ينتج لنا ضحايا المخدرات والإيدز وعبدة الشيطان، كما يعلم ذلك المختصون في الشرطة والقضاء والتربية.

وبسبب هذه الوثنية الظاهرة والمغلفة والانحطاط الخلقي لا يستغرب انتشار قصص الفساد الإدارى والمالى في القطاع العام والخاص والتي أصبحت اليوم تحال للهيئات الرسمية للتحقيق وننتظر أن نشهد مرحلة جديدة بمعاقبة الفاسدين حقيقة، ورغم تشدق هؤلاء وتباكيهم على القيم الديمقراطية وحرية الناس وضرورة المشاركة فإنهم هم من جسّد التسلط في أكبر صوره، والاحتكار في أبشع صوره، وهم الذين انقلبوا على الديمقراطية إذا لم تكن في صالحهم عدة مرات، ومن تأمل استقالة د. أحمد ماضي من رابطة الكتاب الأردنيين مؤخراً بسبب سياسة الإقصاء والتهميش التي تنتهجها الرابطة ووقوفها بجانب الديكتاتور بشار الأسد سيدرك حجم الفجوة بين الشعارات والممارسات.

فبأي عقل يريدون أن نصدّق أن الإسلام الذي وحّدنا ورفعنا وأعزنا لا نصيب له في المجال العام، أما التيارات الوافدة المنقطعة الصلة بتاريخنا وتراثنا ومجْدنا والتي لم تتسيد على بلادنا إلا بعون المستعمر الشيوعي أو المستعمر الرأسمالي لها هي فقط حق الوجود؟؟

إن الحضور الإسلامي في الفضاء العام لأمتنا هو حضور الحق الأصيل، ألسنا مسلمين ديانة وحضارة؟ وهل عشنا هذه القرون

سـوى بإسـلامنا؟ وهـل عزتنـا ومجـدنا الـذى عـشناه ونرجـوه كـان إلا بإسلامنا؟ فكيف يُستنكر حضور الإسلام وقوته بين المسلمين؟؟

ولمـا فـشل هـؤلاء في منـع الحـضور الإسـلامي مـن الوجـود ومـن ثـم فـشلوا في منعـه مـن الظهـور والـبروز والتفـوق علـى مـا عـداه مـن تيـارات وافـدة لـيس لهـا مـن هـم سـوى إزاحـة الإسـلام مـن القيـادة والتوجيــه، حــاولوا دراســة الحــضور الإســلامي في مئــات بــل آلاف الدراسـات وارجعـوا هـذا الحـضور لأسـباب متنوعـة اقتـصادية وسياسـية وســكانية واجتماعيــة وتاريخيــة علــى اضــطراب فيمــا بيــنهم، لكــنهم فـشلوا في فهـم طبيعـة هـذا الحـضور لأنهـم يجهلـون طبيعـة الإسـلام الـتي تغاير ما عـداه مـن الأديـان الـسماوية والوضـعية، فالإسـلام لكونـه الـدين الحق الـذي لم يتعـرض للتحريـف ولـيس مـن ابتكـار البـشر يمتـاز بخاصـية التجـدد الـذاتي، كمـا في الحـديث الـصحيح «إِن اللَّـهَ يَبْعَـثُ لهـذه الأُمَّـة على رأس كل مائـة سـنة مـن يُجَـدِّدُ لهـا دِينَهـا»، وهـذا لأن الإسـلام ديـن دعوة وليس ديناً مقفلاً كاليهودية مثلاً.

كمـا أن الإسـلام يجعـل مـن الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر واجبـاً فرديـاً يـشمل الجميـع، وبنـاء علـى هـذا قـدم د. فريـد الأنـصاري تعريفــاً للحركــة / الــصحوة/ الــدعوة الإســلامية في كتابــه (البيــان الــدعوى): «رغبــة طبيعيــة في التــدين أولاً كمــا جــاءت بــه أصــول الإســلام لكــن مــع مــن الإحــساس -ثانيـا- بالحرمـان ممـا جعلـها تصطبغ في بعض مظاهرها وتجلياتها بطابع رد الفعل».

وهــذا الحرمــان الــذي أشــار لــه د. فريــد الأنـصاري واضــح في تاريخنـا المعاصـر بمـا لاقتـه الأجيـال المـسلمة مـن عـذابات وإهانـات علـى

يد المحتلين الكفار بداية ومن ثم على يد أعوانهم الوطنيين كما حدث في تركيا ومصر وتونس وليبيا وكثير من البلاد، فعاشت هذه الأجيال غربة شديدة وعاشت معها الأمة مرحلة تيه عظيمة.

ولذلك قال بعض أهل التفسير إن الله عز وجل حين عاقب بني إسرائيل بأن يتيهوا ٤٠ سنة كانت الغاية خروج جيل جديد في بني إسرائيل بخلاف هذا الجيل المعاند، وهذا يكاد ينطبق على واقعنا المعاصر، فالصحوة الإسلامية يكاد يتفق الباحثون على أنها بدأت عقب هزيمة العرب أمام اليهود سنة ١٩٦٧. ونحن اليوم وبعد أكثر من ٤٠ سنة نشهد حضوراً مميزاً للصحوة والدعوة الإسلامية ونشهد تغييراً كبيراً في واقع الأمة يقف الإسلاميون في مقدمة صفوفه.

وأيضاً لو عدنا من هزيمة ٦٧ إلى الوراء ٤٠ سنة تقريباً فسنجد أنفسنا أمام إعلان إلغاء الخلافة العثمانية رسميا على يد كمال أتاتورك سنة ١٩٢٤، فقد احتاجت الأمة ٤٠ سنة لتجاوز محنة إلغاء الخلافة، واحتاجت ٤٠ سنة أخرى لتظهر بوادر نتائج الجيل الجديد في الأمة.

إن ما تشهده الأمة اليوم لهو بداية الطريق إلى استعادة هويتها وعلاقتها بربها أولاً والتي سترشدها للمنهج القويم في علاقتها بما حولها، وهذه المسيرة التي مرت بها الدعوة الإسلامية لم تخلُ من أخطاء وعثرات ونكبات، ولم تكن طريقاً مفروشة بالورود ولن تكون.

وفي هذه المرحلة فإن على حَمَلة الدعوة الإسلامية مواصلة المسير في هذا الطريق الذي بانت معالمه واتضحت نتائجه، مع الأخذ

بعين الاعتبار دراسة ما جرى لتجنب العثرات وتنمية الثمرات، والانتباه للمكائد والفخاخ المنصوبة في الطريق مع التخطيط للمستقبل.

لعل من أهم التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية اليوم تحدي المشاركة الإيجابية وهذا يحتاج إلى اعتماد الكفاءة والأمانة ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، والانفتاح على الطاقات المميزة ولو كانت من خارج الهيئات الدعوية، ويحتاج إلى أن ينتقل الخطاب الإسلامي من مربع وصف المشاكل إلى مربع تقديم الحلول، فقد أمضينا وقتاً طويلاً ونحن نصف ما لا نريد وجاء الآن أوان أن ننشغل بوصف ما نريد، ولا بد من مراعاة التدرج في الإصلاح، التدرج القائم على تقوى الله وليس أهواء الداخل والخارج، ولنا عبرة وعظة في قصة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز حين عاتب أباه الخليفة على عدم إقامة الحق كاملاً، والتجاوز عن بعض الأخطاء وقال بأنه مستعد بأن يتحمل التبعات مع أبيه حتى «لو تغلي بنا القدور فى سبيل الحق»، فردَّ عليه أبوه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قائلاً: «يا بني إن الله ذم الخمر مرتين فى القرآن قبل أن يحرمها، وإني أخشى أن أحمل الناس على الحق جملة واحدة فيتركوه جملة واحدة»، وفي القصة دلالة على أن في تراثنا المستمد من شرعنا واجتهادات علماؤنا وقادتنا مؤنة تكفينا البحث عن نظرية سياسية وافدة ندير بها واقعنا.

وهذا التحدي لا ينفك عن أن نواصل منهج الدعوة للإسلام وتربية الناس على أحكامه وآدابه ونشر العلم الشرعي بينهم وإقامة المؤسسات الدعوية والخيرية لهذه الغاية، مع مراعاة تحسين الخطاب

الـدعوي ورفـع مـستوى كفـاءة المؤسـسات الإسـلامية لتكـون النمـوذج في الإنتاجيـة والـشفافية والمؤسـسية الـتي نـسعى إلى أن تقـوم عليهـا دولنـا في هذه المرحلة الجديدة.

من مظاهر القطيعة مع جهود العلماء والمصلحين

«الغد» (١٨/ ١٢/ ٢٠٠٩)

إن البدايات المتكررة من نقطة الصفر هي طابع عام لكثير من المحاولات والتجمعات الفاشلة للتغيير؛ والتي غلب على القائمين بها حداثة السن وقلة العلم، بعكس تجارب ومحاولات العلماء والمفكرين المصلحين منذ بدايات القرن الماضي.

والبداية من نقطة الصفر، وعدم الاستفادة من النجاحات السابقة والمراكمة عليها، أو الاتعاظ من نقاط الفشل، والإخفاق بتجنبها؛ هو من الآفات المنتشرة في مجتمعاتنا على مستوى الأفراد؛ حيث يكررون نفس أخطاء الآخرين، أو على مستوى المؤسسات والشركات التي لا تتجنب عثرات من سبقها في مجالها، أو حتى على مستوى الوزراء والحكومات؛ حين يلجؤون لتجاوز ما أنجزه السابق والبداية من الصفر، وأحياناً من قبل الصفر؛ حين يقوم أحدهم بتجديد تأثيث المكتب الخاص به، ولم يمضِ على تجديده سوى فترة بسيطة!!

لذلك دعا القرآن الكريم إلى الاستفادة من التاريخ وتجارب السابقين، والاتعاظ بما حل بهم من خير وشر، وعدم الجمود على طرائق السابقين دون حجة وبرهان صحيح بصواب ما هم عليه من أفكار أو سلوكيات، قال

تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [فاطر:٤٤]، فيتعلمون من حالهم ومآلهم؛ فيحسنوا في موضع الإحسان، ويتجنبوا النقص والخطأ!! ولذلك تكررت قصص الأمم السابقة وقصص الأنبياء مع أقوامهم في القرآن والسنة؛ لتكون نبراساً ومصباحاً ينير لأمتنا دربها الحضاري مستفيدة من عبر التاريخ.

وفي حاضرنا حين قامت العديد من المحاولات من أفراد وجماعات وحركات للتغيير دون اعتبار بما سبق، ولا اتكاء على خبرات من تقدم، ولا استفادة من جهود من هم أكثر علماً وخبرة؛ تكررت المآسي والمصائب، ولم تجنِ أمتنا إلا زيادة نكباتها، وتفاقم أزماتها.

من نماذج عدم التواصل مع تجارب المصلحين: تكرار الأخطاء والبداية من نقطة الصفر، ومن أمثلته: الاصطدام مع الحاكم والحكومات، وقبول الوشايات والإشاعات عنهم؛ دون تحقق من صدقها، ولا قدرة على معالجة أخطاء الحاكم والحكومات معالجة صحيحة تحصرها، أو تقللها، أو تقضي عليها.

وهذا ما يزال يحدث لليوم دون استفادة من التجارب السابقة، فهذا هو سعيد حليم باشا (١٨٦٣-١٩٢١) -رئيس وزراء تركيا الأسبق-؛ والذي انخدع بدعاية جماعة الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد، وأنه مستبد ظالم، ولكنه حين تسلم رئاسة الحكومة أدرك أن فترة حكم الاتحاديين هي أشد فترات الدولة العثمانية ظلماً واستبداداً، وأن السلطان عبد الحميد كان مظلوماً، فاضطر للاستقالة، وسطر هذا في كتبه التي نشر د. عبد الرزاق بركات ستة منها في سنة

(٢٠٠٦)، بعنوان «لماذا تأخر المسلمون؟»، عن دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

وينقل د. بركات أن هذا الموقف -أيضاً- حدث مع د. رضا توفيق (١٨٦٨- ١٩٤٩) -خطيب وفيلسوف وشاعر الاتحاديين-؛ والذي اكتشف خديعة الإتحاديين له، فاعتذر للسلطان عبد الحميد في قصيدة قال فيها:

قلنا عنك: ظلوم به مس جان
ونادينا بالثورة عليك والعصيان
أيقظنا الفتنة بكل إتقان
ما كنت مجنوناً بل نحن الذين جُننا
وبأحبال واهية تعلقنا وتوهمنا

وقريب من هذا حدث مع محمد عبده؛ حيث قال: «لقد كنا نتنازع قبل الحرب وأثناءها، وكنا نرجو أن نحطم استبداد حكامنا؛ فرحنا نشكو من الأتراك ونعدّهم غرباء، وكنا نرجو أن نصلح أنفسنا سياسيّاً، وأن نتقدم على طريق الحرية مثل ما تقدمت أمم أوربا، أما الآن فنحن نعرف أنه هناك ما هو أسوأ من الاستبداد، ومَن هو أسوأ من الأعداء من الأتراك، نحن نرى فيهم أخوة لنا في الدين». علي شلش، «سلسلة الأعمال المجهولة لمحمد عبده»، (ص٧٣).

في هذه الأمثلة يتضح لنا خطورة بناء المواقف الحاسمة على أرضية هشة؛ بسبب العجلة، وعدم التدقيق في الدعايات والإشاعات، ومن ثم يتضح عدم صحة المعلومات والتحليل،

وكارثية الموقف والإجراء.

ومن الأمثلة المعاصرة: تغيير الجماعة الإسلامية موقفها من التفاخر بقتل السادات، إلى اعتباره شهيداً قتل في فتنة، ولنا أن نتخيل مقدار الفارق الكبير بين نتائج الموقفين، الأمر الذي يكشف لنا عن مدى حاجة أمتنا إلى الاستفادة من تجارب السابقين، وعدم البداية من نقطة الصفر.

ومن الطريف أن الجماعة الإسلامية في نقدها لاستراتيجية القاعدة ذكرتهم بأهمية تجنب أخطاء التاريخ، مثل خطأ الملك خوارزم شاه في استثارة التتار على المسلمين، وهذا التذكير صحيح لو أن الجماعة نفسها استفادت من تجارب التاريخ لتغيير وجه التاريخ المعاصر لمصر والأمة العربية.

من أوجه القطيعة مع جهود العلماء والمصلحين -أيضاً-: الانتقائية المخلة، ففكر العنف الذي ساد بين الحركات المصرية على وجه الخصوص استند على تأصيلات أبي الأعلى المودودي؛ والتي عمّمها سيد قطب، ولكن الغريب أن فكر العنف هذا لم ينتشر في بلد المودودي، أو بين أفراد حركته (الجماعة الإسلامية)، لأن فكر المودودي تطور، وتجاوز فكر التغيير بالعنف، واتسم بالواقعية؛ من خلال مشاركته في الشؤون السياسية التي رافقت نشأة وتطور دولة باكستان.

وينقل المستشار عبد الله العقيل في ترجمته للمودودي نصيحة مباشرة للشباب العربي في سنة (١٣٨١هـ) يقول فيها المودودي: «لا تقوموا بعمل جمعيات سرية لتحقيق الأهداف، وتحاشوا استخدام

العنف والسلاح لتغيير الأوضاع؛ لأن هذا الطريق نوع استعجال.. إن هذا الطريق أسوأ عاقبة، وأكثر ضرراً من كل صورة أخرى»!!

لكن الذي وصل للشباب العربي هو الفكر القديم للمودودي، وقد اشار لهذا د. محمد أبو رمان في كتابه «منهج التغيير في فكر المودودي».

وهذه الاجتزائية في التواصل مع العلماء والمفكرين تتكرر مع العلامة المحدث أحمد شاكر، فبعض دعاة العنف يجعل من الشيخ شاكر مرجعاً له في الموقف من قضية الحاكمية، لكنه لا يسير على نهجه في التغيير؛ والذي عبر عنه أحمد شاكر في كتابه «الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر» بقوله: «أنا أعتقد أن ضرر العنف الآن أكثر من نفعه... سيكون السبيل إلى ما نبغي من نصر الشريعة السبيل الدستوري السلمي: أن نبث في الأمة دعوتنا، ونجاهد فيها، ونجاهر بها، ثم نصاولكم عليها في الانتخاب».

ولذلك يبقى الكثير من محاولات الشباب الفتي والمخلص، وقليل العلم والتجربة في نفس الوقت تدور حول نقطة الصفر؛ أو فوقها بقليل، لكن في كل مرة يبدؤون فيها تكون نقطة الصفر قد ابتعدت أكثر عن خط النهاية؛ مما يكرس العناء!!

خطوة على طريق التواصل مع إرث المصلحين

«الغد» ٢٥/ ٧/ ٢٠١١

سبق أن بيّنا أهمية وضرورة التواصل مع جهود العلماء والمصلحين حتى لا نبدأ من نقطة الصفر، ونعيد تكرار الأخطاء والكوارث. ويبقى السؤال هو: كيف نتواصل مع هذا الإرث والتراث الكبير؟

أعتقد أن مما ساعد على نضوج العلوم الشرعية في تاريخنا المعاصر هو ما عرف بكتب المتون، وهي كتب مختصرة في باب أو علم من العلوم يحتوي على القواعد الأساسية والضوابط الكلية لهذا الباب أو العلم، وقد يكون نثراً أو شعراً وعندها يسمى منظومة، وتكون عباراتها قصيرة وذات دلالات كبيرة، حتى يتمكن الطالب من حفظها، ومن ثم يقوم العلماء بشرحها في دروس أو كتب، وتكون الشروح متعددة المستويات.

وفكرة المتون هذه ساعدت جداً على حفظ العلوم ونضجها، عبر الشرح والنقد والحذف والإضافة إليها، ومن كثرة الجهود التي تعرضت لها متون بعض العلوم قيل فيها: «أنها نضجت واحترقت»! فلا مجال لزيادة فيها.

وللأسف فإن جانب السياسة الشرعية والتاريخ لم يحظ بشيء

مناسب من هذا الاهتمام، فالمتون أو المنظومات فيه قليلة أو نادرة، وتدوين التجارب ودروس التاريخ مبعثر غير مجموع، مما جعل الكثير من المخلصين من غير المختصين لا يجد ما يساعده على الفهم والعمل.

ولذلك أعتقد أنه يجب البدء في وضع متون تؤصل قضايا السياسة الشرعية، ومناهج التغيير، وتجارب العمل الإسلامي، ومن ثم يقوم بعض العلماء والمفكرين بوضع شروحات لها، ومن ثم يفتح باب النقاش حولها، للوصول إلى خلاصات ونتائج جماعية، وقد يكون هذا من خلال مؤتمرات علمية أو ورش عمل.

وهذا الطريق هو الطريق الأقصر، لأن التجربة أثبتت أن التدوين في هذه القضايا المفصلية هو بوابة التغيير، فمثلاً قضية العمل الجماعي أو التنظيم حين طرحت مدوّنة وجرت نقاشات عديدة حولها، يكاد يمكن القول اليوم أن هناك شبه إجماع على جوازها وأنها هي الأصل في الدعوة الإسلامية، بعد أن كان هناك طرفا نقيض حولها: طرف يحصر الإسلام والمسلمين في أعضاء تنظيمه، وطرف يمنع أي نوع من التنظيم بسبب ذلك الطرح المتطرف، وبسبب عدم وجود مؤتمرات أو مجامع علمية تتصدى لهذه القضية، فبقيت المسألة تتطور عبر السجال بين الحركات الإسلامية، ولكن مع تطور وسائل الاتصال وظروف الواقع تم حسم المسألة كما بينا ولكن في مدى زمني تجاوز عدة عقود.

ويمكن اعتبار مسألة الدخول في البرلمانات مثالاً آخر، فبعد أن ساد رأي قاطع بعدم جواز المشاركة في البرلمانات لدى قطاعات

عديدة جداً من الإسلاميين، أصبح الرأي السائد اليوم هو الجواز أو اعتبارها قضية اجتهادية يجوز فيها الخلاف دون نكير، وطبعاً هذا في البرلمانات فقط، أما فيما يتعلق بالاتحادت الطلابية والنقابية والبلدية فالمشاركة فيها جائزة عند الجميع.

وسبب هذا التطور هو بعض الدراسات التي تناولت الموضوع وتطور وضع القطاعات المعارضة لها من قبل، من ناحية الدور والفهم.

ولوحظ في مسألة العمل الجماعي والمشاركة في البرلمانات أن هناك تناقضا بين رأي التيار الواحد بحسب الزمان والمكان، بسبب ضعف الاتصال والتواصل وعدم إفراد مسألة العمل التنظيمي أو الجماعي بتأليف مستقل عند الموافق والمخالف إلا ما ندر.

ونحتاج أيضاً إلى مزيد من الإهتمام بدراسة تجارب المصلحين وتقويمها واستخراج الدروس والعبر منها، لكن بطريقة تناسب العصر ومعطياته، وتقديم هذه الدراسات بلغة سهلة وطبعات شعبية لتكون بين يدى الشباب الذين هم المستهدفون من هذه الدراسات لا النخب الأكاديمية فقط.

وهذا التواصل مع جهود المصلحين والعلماء لا يقتصر على الكتابة والتأليف، بل لابد أن يجد طريقه عبر وسائل الإعلام الجماهيرية كالفضائيات والإذاعات، مع الحذر من الوقوع في فخ تقديمها عبر برامج مملة أو موجهة للنخبة فقط.

وفي الختام نلخص ما سبق في مطلبين:

١- نحتاج وضع متون تعالج مواقف السابقين في قضايا السياسة الشرعية وتجارب التغيير.

٢- نحتاج تعميم نتائج هذه المتون والدراسات بين شريحة الشباب، عبر تنوع وسائل الإيصال، وسهولة الطرح، وعدم الانغلاق على النخب.

وذلك كله لتجاوز فكر ومرحلة العنف والبدء بجهود سليمة في مسار النهضة المنشودة.

خواطر حول الهجرة النبوية في زمن الربيع العربي

«الغد» ٢٥/ ١١/ ٢٠١١

شكلت الهجرة النبوية تحولاً كبيراً في تاريخ الإسلام، ولما لها من محورية مهمة جعلها عمر الفاروق رضي الله عنه بداية التاريخ الإسلامي.

إذ بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بدأت الدولة الإسلامية تتشكل بقيادة النبي ﷺ، وبدأ الإسلام ينتشر بفعالية أكبر ويكسب قبائل ومدناً جديدة ويأخذ دوره العالمي خارج الجزيرة العربية، وشهدت الإنسانية عقب هذه الهجرة أروع حضارة عرفها التاريخ، حضارة صهرت فيها القوميات والعرقيات وسادها الحق والعدل والرحمة، فنشرت الحب والسعادة للضعفاء والمقهورين وهذبت الأقوياء ووجّهتم لنفع الناس من حولهم، ودفعت الجهل بأنوار العلم حتى فاقت الدنيا في معارفها وعلومها.

واليوم ونحن نستذكر الهجرة النبوية ودروسها التي لا تنتهي بل تتجدد بتجدد الأحوال والأحداث والتي نجد لها في دروس السيرة النبوية التي تتعدى حدود الزمان والمكان إشعاعات وومضات تنير الطريق وتهدي الحيارى.

الهجرة تعني الترك والانتقال من حال إلى حال أو من مكان إلى

مكـان، وهـذا لا تنفـك عنـه الحيـاة الإنـسانية الـتي تـستوجب اختيـارات صـعبة أحيانـا، وذلـك أرشـدنا الـنبي ﷺ بـأن المعيـار عنـد الله عـز وجـل لقبـول هـذا الـترك والتحـول والهجـرة هـو النيـة الـصحيحة، فقـال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكـل إمـرئ مـا نـوى، فمـن كانـت هجرتـه إلى الله ورسـوله فهجرتـه إلى الله ورسـوله، ومَـن كانـت هجرتـه لـدنيا يـصيبها أو امـرأة ينكحهـا فهجرتـه إلى مـا هـاجر إليـه» (رواه البخـاري)، فالفعـل واحـد ولكـن الاخـتلاف في مقـصود القلـب وغايتـه، وهـذا مـا نحتاجـه اليـوم ونحـن نـسمع ونـشاهد سـيل التـصريحات مـن الأنظمـة والمعارضـة بسعيهم نحو الإصـلاح والبنـاء ومحاربـة الفـساد، نحتـاج مـنهم صـدق النيـة مـع الله عـز وجـل أولاً الـذي يعلـم الـسر وأخفـى، لأن بـصلاح النيـة يصلح الله عـز وجـل أحـوالهم وأعمـالهم، ولننظـر إلى نمـوذج المـشير سـوار الـذهب، حـين صـدق وتخلـى عـن المنـصب كمـا وعـد، كيـف تحـول إلى نجم يسير على الأرض.

فكـم جنـت علـى أمتنـا النوايـا الـسيئة والمزيفـة، وكـم مـن هيئـات المعارضـة ودعاتهـا حـين لـوح لهـم بمنـصب تخلـوا عـن مبـادئهم!! وهـل حكـم الطغـاة هـذه المـدة إلا وهـم يزعمـون رفـع رايـات العـدل والحـق!! ألا يـصيح بـشار وعلـي صـالح بـأن مظـاهرات الـشعب ضـدهما اليـوم هي العائق عن الإصلاح!!

في هجـرة الـنبي ﷺ كـان أبـو بكـر الـصديق رضـي الله عنـه هـو المعاون المخلص والجنـدي الـوفي، الـذي سـخّر نفـسه ومالـه وأهلـه لخدمـة الـنبي ﷺ، حتـى شـكره الـنبي ﷺ بقولـه: «إن أمَـنَّ النـاس علـيّ في صـحبته ومالـه أبـو بكـر، ولـو كنـت متَّخَـذاً خلـيلاً لاتَّخـذتُ أبـا بكـر

خليلاً ولكن أخوة الإسلام» (رواه البخاري)، ومن العجيب أن الشيعة لا تعرف لأبي بكر الصديق رضي الله عنه حقه وفضله، بل تجعل دينَها وعبادتها سبّه وشتمه وبقية الصحابة رضوان الله عليهم، ويتفاخرون بذلك على فضائياتهم ومواقعهم على الإنترنت، وخاصة في يوم عاشوراء الذي يقْدُم علينا بعد مدة يسيرة، وليس العجيب من سب سفهائهم وعوامهم للصديق والصحابة بل العجيب عدم وجود عاقل بينهم ينكر عليهم ويعلمهم فضل الصديق والصحابة، فيا ويحهم ويا خسارتهم بسب صاحب النبي ﷺ وهُم يزعمون تعظيم النبي ﷺ!!

والصّديق - الذي تربى في مدرسة النبي ﷺ- حين ولي الخلافة خطب خطبته المشهورة: «أيها الناس فإني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»، هذه الخطبة التي تصلح أن تكون ميثاقاً يتعاهد الساسة عليه اليوم وهم يؤسسون لمرحلة جديدة من تاريخ العرب.

لم يهاجر النبي ﷺ إلا بعد أن أذن له الله سبحانه وتعالى بالهجرة، فأخذ بالأسباب المادية من تجهيز الراحلة والزاد وتوفير الدليل بالطريق، وهذا طبعاً جزء من تخطيط محكم فقد هاجر النبي

ﷺ من بيت أبي بكر ليلاً ومن باب خلفي، وسلك طريقاً غير مباشر للمدينة، وكان قد خدع قريشاً بنوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكانه.

وهذا يعلمنا أن الإسلام برغم أنه الدين الحق إلاّ أنه لا ينتصر بالمعجزات والكرامات - مع قدرة الله عز وجل على ذلك-، بل لا بد من الأخذ بالأسباب والتخطيط الجيد لتحركاتنا، وأن خسارتنا تنبع من تقصيرنا وعدم القيام بالمهام المطلوبة والتي منها الالتزام بأوامر الله الشرعية والأخذ بالأسباب، وهذا ما يحتاجه التيار الإسلامي اليوم بمختلف أطيافه، يحتاج زيادة التمسك بأوامر الله عز وجل في خاصة نفسه أولاً والأخذ بالأسباب كالوحدة ونبذ العصبية والحزبية، واليقظة لمكر الأعداء في الداخل والخارج، فإنهم اليوم ككفار قريش يدركون أن هجرة النبي ﷺ للمدينة تعني انتصاره عليهم في المستقبل القريب.

من دروس الهجرة المباركة أن النبي ﷺ رغم حرص الكفار على قتله وحربه إلا أنه لم يهاجر حتى رتب أمر إعادة أمانات قريش المالية لأصحابها مع علي رضي الله عنه، وهذا تأصيل لمنهج السياسة الشرعية بأنها شرف في الغاية وطهر في الوسيلة، وهذا هو المنهج الذي يجب أن يحرص عليه التيار الإسلامي في مشاركته السياسية اليوم، فبرغم شراسة الحملة ضده وبرغم قذارة كثير من أعمالها واتهاماتها للتيار الإسلامي، إلا أننا مطالبون شرعاً بالالتزام بمعاييرنا الأخلاقية وعدم الانجرار للمبادئ الميكافيلية الرخيصة التي يلجأ لها خصومنا.

وهـذا لا يعـني أن نـصبح دروايـش وسـذجاً لا حرمـة لنـا ولا كرامـة، كـلاّ فـنحن نـسير علـى مـنهج الفـاروق رضـي الله عنـه «لـست بالخـب ولا الخـب يخـدعني» والخـب المـاكر الخبيـث، وتاريخنـا الإسـلامي مليـئ بـالحوادث الـتي تظهـر عظمتـه الأخلاقيـة وذكـاءه في مواجهـة أعدائه.

وفي الهجـرة النبويـة مـشهد عظـيم لكـل مـسلم وهـو أن المهمـة الأساسـية للـنبي ﷺ ولكـل مـسلم هـي الـدعوة إلى الله عـز وجـل لهدايـة النـاس لِمـا يوصـلهم لمجـد الـدنيا ورفعـة الآخـرة، ففـي طريقـه للمدينـة لقي النبي ﷺ بُريـدة بـن الحـصيب الأسـلمي في ركـب مـن قومـه فـدعاهم للإسلام فأسلموا.

فـرغم أنـه مطـارد مـن قـريش ومـسافر مـن عـدة أيـام في الـصحراء إلا أنـه لا يـترك فرصـة لهدايـة إنـسان للحـق، والهمـة للـدعوة للإسـلام عنـد عـوام المـسلمين يقـف أمامهـا المستـشرقون متعجـبين لأنهـم لا يعرفـون أن هـذا مـنهج أسـسه رسـول الله ﷺ وسـار المـسلمون عليـه مـن بعده.

واليـوم يجـب أن يحـذر التيـار الإسـلامي مـن طغيـان العمـل الـسياسي علـى الجانـب الـدعوي في مناشـطهم، لأن الـسياسة في الإسلام هي لخدمة الدعوة وليست الدعوة لخدمة السياسة.